الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد (٢١١) - محرم ١٤١٥هـ - (يونيو / يوليو) ١٩٩٤م
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE 211 JUN/JUL 1994

الطيران
من بساط الريح إلى الطائرات الأسرع من الصوت

الاسكا
بلاد الحياة البرية والثلج الدائم

علم الفلك
آفاقه ومستقبله

«ثلاثون طريقة لتحسين قدراتك»





رسالة البعث

لسليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ/٨٨٩م.

ويعد المؤلف أمام أهل الحديث في زمانه. تحدث المؤلف في رسالته عن الموت، وعذاب القبر، والحشر، وحال الناس يوم القيامة، وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأمته. ثم أورد المؤلف مجموعة أحاديث نبوية تتحدث عن حال الكفار والعذاب الذي يلاقونه في جهنم بسبب كفرهم، ثم ذكر الجنة ونعيمها.

والمخطوطة تمت مقابلتها على نسخة أصلية في القرن التاسع الهجري، ويقدر تاريخ نسخها ببداية القرن نفسه.

كُتِبَ العنوان واسم المؤلف بالمداد الأبيض على أرضية مذهبة وسط مستطيل مزين بأشكال هندسية ونباتية، وبألوان متعددة. وتحت المستطيل دائرة مزينة كتب في وسطها اسم المؤلف بالمداد الذهبي.

وهي من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٢٥٣٢

- أعد هذه النبذة د. عابد سليمان المشوخي

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

في هذا العدد

مجلة الفيصل - العدد (٢١٢) - محرم ١٤١٥هـ - (يونيو/يوليو) ١٩٩٤م

ملاحظات عامة

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢- ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣- حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥- الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ -
فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

الأسعار:

السعودية ٨ريالات - الكويت ٦٥٠ فلسًا - الإمارات ٧دراهم - قطر ٧ريالات - البحرين ٧٥٠ فلسًا - عُمان ٧٥٠بيسة - الأردن ٥٠٠فلس - اليمن ٢٥ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٣ جنيهات - المغرب ٦دراهم - تونس ٦٠٠مليم - الجزائر ١٠دنانير - العراق ٤٠٠فلس - سورية ٢٠ليرة - ليبيا ٨٠٠درهم - موريتانيا ١٠٠أوقية - الصومال ٢٠٠٠شلن - جيبوتي ١٥٠فرنكًا - لبنان مايعادل ٤ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ريالاً سعوديًا، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً سعوديًا.

الإعلانات:

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

إطلالة



إن إهمال المسلمين اليوم للعلوم التطبيقية والتجريبية، واعتمادهم الرئيس على ما يدعه غيرهم من أبناء الأمم الأخرى في هذا المجال، وانصرافهم - في الوقت نفسه - إلى ما لا طائل وراءه من تنظير وجدل، يعد من علامات تخلف العالم الإسلامي وقعوده دون الوصول إلى مستوى من التوازن الحضاري الذي يجعله قادراً على تبوؤ المكانة اللائقة به.

ومن العجيب أن يكون هذا هو حال المسلمين، في حين يدعو الدين الإسلامي الحنيف إلى طلب العلم حتى جعله فريضة على كل مسلم. فالقرآن الكريم في آيات كثيرة يحث على التأمل والتدبر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض لاستخلاص الحقائق، وما فيه فائدة للإنسانية، مما يمثل دعوة قوية وصريحة للجد في طلب العلم.

ويتجلى تفرد التصور الإسلامي للعلم في أنه يجعله مرتبطًا دومًا بالعقيدة ورسوخ الإيمان، ذلك أن الإنسان يستطيع عن طريق العلم التفكر والتدبر في قدرة الله مبدع هذا الكون، فيقوده ذلك إلى الإيمان بعظمة الخالق، ومن ثم، تسكن عقله وقلبه عقيدة صحيحة خالصة من أي شائبة، يرتكز عليها في رؤيته للكون والحياة. فالعلم في المنظور الإسلامي ليس نشاطًا عبثيًا أو ترفًا، وإنما يمضي بالانسان إلى غايات محددة.

العُلومُ التَّطبيقيَّة

والمنظور الإسلامي للعلم يتضح بجلاء إذا ما قارنا بين الأسس التي نهضت عليها الحضارة الإسلامية، وتلك التي استندت إليها الحضارة الغربية، فالحضارة الغربية، التي كان انطلاقها منذ ما يسمى بعصر النهضة، بدأت إرهاصاتها بصراع عنيف بين الدين والعلم، لأن رجال الكنيسة بفكرهم المنغلق رفضوا كل نتاج علمي يخالف تصوراتهم للكون، التي كان معظمها أباطيل مستقاة من عقيدتهم المحرَّفة ، وكان حرصهم الشديد على مكانتهم المكتسبة من جراء سيطرتهم على عقول العامة، بإشاعة الأوهام والخزعبلات التي ابتدعوها - كصكوك الغفران - ، سببًا رئيسًا في الحملة التي شنتها الكنيسة على العلماء وأفكارهم وآرائهم الرافضة للانغلاق، ومصادرة حرية الفكر، وتحجيم الإبداع العلمي. وقد تعرض العلماء في ظل هذه الحملة الشعواء من قبل الكنيسة إلى صنوف من التعذيب، حتى إن كثيراً منهم أُجْبِرَ على التخلي عن آرائه، والاعتراف - قسراً - بخطأ استنتاجاته ونظرياته العلمية. ويعد جاليليو؛ الذي تخلى عن موقفه من كروية الأرض؛ من أبرز الأمثلة الدالة على طبيعة العلاقة بين الكنيسة والعلماء، التي اتخذت طابع العنف والمواجهة الحادة طوال الفترة التاريخية المعروفة بالقرون الوسطى، حيث ساد أوربا ظلام الجهل، وأطبقت عليها دياجير الخرافات. وقد انتهى هذا الصراع المحتدم بإقصاء الدين عن كل مجالات النشاط الفكري والعلمي.

وقد عدوا ذلك انتصاراً للعلم في معركته مع الدين، فأُطْلِقَ مُسمًّى عصر النهضة على المرحلة اللاحقة لفترة الصراع الذي أصّل في الغرب مفهوم العداء بين الدين والعلم،وحاول الغرب - ونجح إلى حد كبير - أن يشيع هذا المفهوم - الذي نتج من هذا الصراع - بين أمم الأرض جميعًا.

ونحسب أن الغرب كان محقًا في موقفه ذلك، لأن ديانتهم - بسبب ما اعتراها من تحريف وتغيير - صادمت الفطرة الإنسانية السليمة، وتناقضت مع سمو مرامي الرسالة السماوية التي تنشد إسعاد البشرية وتوجيهها إلى السبل السوية؛ لتَحَمُّل مسؤولية إعمار الأرض. ومما لاشك فيه أن ذَلك لا يمكن أن يكون بكبت الفكر وقهر الإرادة ومصادرة الحرية. وإذا كان الغرب محقًا في ذلك - بحسب تصوره - فإنه كان - من ناحية أخرى - متجنيًا على الإسلام. فالموضوعية والمنهجية - وهما دعامتا الروح العلمية - كانتا توجبان عليه إدراك أن الحضارة الإسلامية - التي استند إلى إنجازاتها العلمية لبدء نهضته - قامت على الإسلام، وتأسست وفق تعاليمه وقيمه.

فإذا كان الدين المحرَّف - بما فيه من خرافات وخزعبلات استغلها القساوسة والرهبان من أجل مصالحهم الشخصية - عائقا للغرب عن التقدم وبلوغ درجات من الرقي الحضاري المتوازن، فإن الإسلام كان المحرك القوي والدعامة الرئيسة لنهضة العرب والمسلمين في زمن قياسي يعد في حد ذاته إعجازًا.

ويوغل بعض علماء الغرب في التجني على الإسلام حين يطلقون على الحضارة التي نمت وترعرعت في ظل الإسلام «الحضارة العربية»، وبعضهم الآخر يعني بهذا المصطلح اللغة العربية التي عَبَّرَتْ بها الحضارة الإسلامية عن نفسها، حيث لا يفرقون بين العربي وغير العربي المسلم، أما أولئك فيرمون إلى إنكار فضل الإسلام في نهضة العرب، ونقلهم من حياة الجهل والتخلف والفرقة إلى حياة العلم والتقدم والوحدة والإبداع في مجالات الحياة الفكرية والعلمية كافة، بعد أن كانت الكلمة وحدها مجال إبداعهم الأساس . أي إن الإسلام كان محركًا لكوامن الإبداع في النفس العربية، مستنهضًا للهمم التي تراخت تحت وطأة الخرافة والبدع زمنًا طويلاً، مبرزًا لقدرات العقل العربي على التفاعل مع مقتضيات الواقع، فانطلق العربي المسلم يبحث عن الحكمة - التي هي ضالة المؤمن - في كل مكان، يأخذها حيث وجدها، ليستنير ويسترشد بها لبلوغ مراتب الأمم المتحضرة. ثم يدخل الناس من مختلف الأجناس في دين الله

والتوازن الحضاري

أفواجًا، فيذيب الإسلام الفوارق بينهم - لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى -، وتتكون شخصية إسلامية واضحة المعالم والصفات، متحدة القصد والمرمى. وكان الغرض الأسمى أن يسود الإسلام هذا العالم، ويشرق نوره على كل بقعة فيه، وكان الطريق واضحًا محددًا؛ فالمنهج الإسلامي للحياة يقر بأن العلم هو وسيلة السيادة والقيادة، ولا وسيلة غيره. وفي البدء عكف المسلمون على ترجمة ما لدى الأمم الأخرى من علوم وآداب وفنون إلى اللغة العربية لدراستها دراسة مستفيضة تقودهم إلى الفهم العميق لفحواها ومرادها، وقد تمكنوا من تجاوز مرحلة النقل والترجمة إلى مرحلة الإبداع والابتكار والإضافة الأصيلة في زمن قصير جدًا، بفضل حرية الفكر التي كفلها الإسلام لكل إنسان، ولاتساع اللغة العربية للمصطلحات العلمية والمفاهيم الفلسفية المتداولة في كل لغة ولسان.

وقد كان من أهم عناصر المنهج العلمي الإسلامي، الأمانة العلمية والدقة الموضوعية، فلم ينسب علماء المسلمين إلى أنفسهم جهدًا علميًا ليس لهم، بل ذكروا بكل صدق مصادر معلوماتهم، وردوا الفضل إلى أصحابه، كما جاء نقدهم لنظريات غيرهم من العلماء وتجاربهم العلمية موضوعيا منزها عن كل غرض، وكان التواضع ديدنهم دومًا، والحقيقة العلمية مبتغاهم. ولم يأت هذا المنهج العلمي القويم من فراغ، وإنما استند إلى شرع حنيف لا يقر الباطل، ولا يقبل إلا الحق. وهذا الضابط الأخلاقي هو ما يميز المنهج العلمي الإسلامي، ويوضح كيف تتكامل حرية الفكر مع الاستقامة التي يمليها الدين، وفي ظل هذا المنهج ظهرت براعتهم الفائقة في الكيمياء، والصيدلة، والطب، والفيزياء، والفلك، والرياضيات، وغيرها. ويكفي أن يكون المنهج العلمي التجريبي - الذي ينسب خطأ أو عمدًا إلى بيكون وغيره من علماء الغرب - إبداعًا إسلاميًا خالصًا، وهو المنهج الذي يُعَدُّ أساس تقدم العلوم التطبيقية وتطورها.

ومن الثابت أن فقدان الضابط الأخلاقي كان من أسباب انتحال علماء الغرب لجهود العلماء المسلمين، وإنكار فضلهم، كما أن الصراع الطبقي الذي صاحب الثورة العلمية - ولا يزال - يعد نتيجة طبيعية لغياب الضوابط الأخلاقية والاجتماعية التي توجه تلك الحضارة نحو غايات سامية تحقق صالح طبقات المجتمع جميعها، وأفرز هذا الصراع نظريات اقتصادية مغرقة في المادية، لا تحكمها ضوابط أخلاقية، وقد كانت الماركسية - التي انهارت مؤخرًا - أبرزها. وتعلو حاليا - في الغرب - أصوات تنادي بالعودة إلى إحياء الجانب الروحي المغيب في حضارته بعد أن تفاقم انتشار الظواهر الاجتماعية السيئة التي تهدد إنسان تلك الحضارة بالفناء. والمحزن أن يكون نصيب المجتمعات الإسلامية من حضارة الغرب السفسطة واللغو المكرور حول نظريات لا تتفق والمنهج الإسلامي، وثبت عقمها في تربتها الأصلية، وتجاوزها الزمن، فلم يعد هناك مجال للحديث عنها، وطرحها على بساط التداول والنقاش. وكان الأجدر بالمسلمين أن ينظروا بعين فاحصة ومدققة في أسباب صعود نجم حضارتهم - في زمن كان العالم فيه غارقًا في ظلمات القرون الوسطى - وأسباب أفوله أيضا، بغرض الوصول إلى مقتضيات التقدم الحضاري، ومن ثم سلوك سبيل استعادة أمجاد الأسلاف. ولا جدال أن إحياء الروح العلمية المهتدية بالتوجيه الآلهي، التي انطفأت جذوتها في النفوس، من أهم مسالك الحضارة الإسلامية التي ضل عنها المسلمون منذ أن تقلد غيرهم مكان السيادة والريادة في هذا العالم .

إن حديثي عن وجوب الاهتمام بالعلوم التطبيقية والتجريبية لتحقيق الرقي الحضاري، وارتباط ذلك بضرورة تجاوز مرحلة التنظير العقيم إلى مراحل العمل الجدي المثمر - الذي يكون باتباع طرائق التفكير نفسها التي كانت عاملاً مهمًا في نهضة الأمة الإسلامية وعلو كعب حضارتها لقرون طويلة -، يجيء تعليقًا على مقالتين من مقالات «الفيصل» في هذا العدد، أولاهما بعنوان « الفلك في المملكة العربية السعودية ومستقبله»، والثانية عنوانها «الحداثة تفاعل بين العقل والزمن والمكان». وقد كان الدافع لهذا التعليق أن علم الفلك من أهم مجالات إبداع علماء المسلمين، فقد فاقوا غيرهم في هذا العلم، فأنشأوا المراصد الفلكية، وحددوا بدقة حركة الكواكب السيارة، وصححوا نظريات غيرهم من العلماء، وقد كان كتاب الفرغاني «كتاب في الحركات السماوية وجوامع علم النجوم»، الذي تُرْجمَ إلى اللاتينية في القرن السادس عشر، من ركائز تطور هذا العلم في العصر الحديث، وبرز من علماء الفلك المسلمين التبريزي والبتاني وابن يونس والبيروني وغيرهم. وفي الوقت نفسه فإن الحديث عن «الحداثة» مرتبط بداء اللغو الذي أصاب العالم الإسلامي، وتبرزالمقالة المنشورة عنها في هذا العدد من «الفيصل» عقم الجدل الدائر حولها ، بتوضيح العلاقة الصحيحة التي يجب أن تربط بين الأصالة والحداثة، وخلاصتها أن «الأصالة بمثابة التربة الصالحة الخصبة، والحداثة بمثابة المجهود الإنساني المبذول في خدمتها وتعهدها بالعزق والبذر والري».

إن الأصالة تستدعي أن يبذل المسلمون جهدهم لإدراك كنه حضارتهم، وفهم الأسس التي قامت عليها ، وأسهمت في ارتيادها لآفاق لم تكن مطروقة من قبل في مجالات العلوم المختلفة، ولا يتعارض مبدأ النقل والاقتباس من الأمم الأخرى مع المنهج العلمي الإسلامي، فقد كانت الترجمة من لبنات الحضارة الإسلامية، كما أن التكامل بين الأصالة والمعاصرة في المنهج الإسلامي واضح وبيّن لا يحتاج إلى براهين وأدلة، بقدر ما يحتاج إلى تطبيق عملي يحل محل التنظير الذي لا طائل منه، ويعد طرح القضايا المتعلقة بالعلوم التطبيقية، والتعمق في دراستها من قبل المتخصصين دعوة إلى التفاؤل والبِشْرِ بمستقبل واعد لها في المجتمعات الإسلامية.

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

اليهود وحساب الزمن



د. حسن ظاظا

يصف اليهود أنفسهم بأنهم «الشعب الأبدي» وبالعبرية (عام عولام) وهي صفة مُغْتَصَبة لا صدى لها في التوراة ، حيث لم يظفروا بهذا اللقب مرة واحدة. وهم أحرار في ادعائهم هذا بشرط ألاّ يحاولوا إقناع غيرهم من أمم الأرض بأنَّ كلَّ مَنْ عليها فَان، إلاّ اليهود. ولكن ـ إحقاقا للحق ـ نجدهم يسمون المقبرة التي يوارون فيها موتاهم «بيت الأبدية» وبالعبرية التلمودية (بيت عالْمين)، وبهذا المعنى ـ الذي لا يقصدونه ـ تكون «الأبدية» قدرا مشتركا بينهم وبين سائر أمم العالم، (الجوييم) في لغتهم. وإذا كانت الأبدية هي اللانهاية في الزمان، فإن ادعاءهم أنهم شعب «لانهائي» فيه مبالغة، ومشاركة لله ـ تعالى عن ذلك علوًّا كبيرا ـ في أبديته. وبالنيّة الحسنة يمكن أن نتسامح ونفهم من هذا معنى سياسيا، لاعلاقة له بالأبدية الحقة، يقصدون به أنهم الشعب الذي استعصى علي الفناء والانقراض حتى الآن، على الرغم ممّا واجهوه عَبْر التاريخ من عداوات وكوارث. ومع ذلك فمن النادر أن نجد شعبا آخر قد انقرض عن آخره. فمن المؤكد أن السومريين في العراق القديم، والإتروسك في إيطاليا القديمة، والآزتيك في أمريكا الوسطى، وغيرهم قد اختفوا من الخريطة السكّانية للعالم، لأنهم اندمجوا في شعوب أخرى، أو لأن حضارات قامت مكان حضاراتهم . واليهود أنفسهم يعترفون ويجاهرون في كتاباتهم بأن عشرة من الأسباط الاثني عشر من بني إسرائيل قد بادوا على إثر الغزو الأشوري لفلسطين في القرن السابع والسادس قبل الميلاد، على يد الإمبراطور سنخاريب. وهم يزعمون في كتاباتهم التلمودية، أن أي إنسان يعطف على اليهود، يحمل في دمه قطرات من تلك الأسباط البائدة؛ لأن الناس ـ في تصورهم ـ لابدّ أن يكونوا أعداء لليهود، إلاّ هؤلاء الأقارب البعداء!

والسنة اليهودية التي نحن فيها الآن هي ٥٧٥٤، وقد بدأت يوم ١٦ سبتمبر ١٩٩٣م وتنتهي يوم ٥ سبتمبر القادم عام ١٩٩٤م. ويؤكد اليهود أن تقويمهم هذا يبدأ من اليوم الأول لخلق السماوات والأرض ! لدرجة أن أحد رجال الدين في إسرائيل أفتى بتحريم إنتاج مصنع اللبن الزبادي لأن العلبة التي تحتويه تحمل رسم (الدينوصور) علامة تجارية لها، وهو من الزواحف العملاقة التي عُثر على بقايا متحجّرة منها ترجع إلى ملايين السنين. ويقول هذا الحاخام: إن رسم الحيوان على علبة اللبن حرام لتحريم الصور عندهم، ثم إنه يتحدى إجماع الأمة على أن السماء والأرض قد خُلقتا منذ خمسة آلاف وسبع مائة وأربع وخمسين سنة فقط، لا منذ ملايين السنين كما يزعم العلمانيون اعتمادا على بقايا هذا الدينوصور اللعين!

حساب الزمن في التوراة

وأمام هذا الجدل، وبمناسبة بدء العام الهجري عندنا ـ وكل عام وأنتم والأمة الإسلامية كلها بخير ـ أخذتُ أفكرّ في قصة هذا التقويم اليهودي العجيب، متى استعمله أبناء عمومتنا بنو إسرائيل؟ مَن الذين قام بعمل هذا الحساب؟ مَن فرض هذا التقويم على تلك الأمة؟ ولم أجد أثرًا له في التوراة التي يتعبدون بها، اللهم إلا إشارة خاطفة إلى أن الله تعالى خلق الشمس والقمر والنجوم لتضيء على الأرض، ولتكون آيات للناس، يعرفون بها حساب السنين. وكان ذلك في اليوم الرابع من بدء الخليقة، قبل خلق آدم بيومين، فقال الله: لتكُنْ نيرّات في رقعة السماء لتفرق بين النهار والليل، وتصير آيات وأوقاتًا وأيامًا وسنين. وتكون ساطعة في رقعة السماء لتضيء على الأرض، فكان كذلك. وخلق الله النيّرَيْن العظيمين، النيِّر الأكبر لتصريف النهار، والنيِّر الأصغر لتصريف الليل، والكواكب. وجعلها الله في رقعة السماء لتضيء على الأرض ولتُصرِّف النهار والليل، وتفصل بين النور والظُلمة. ورأى الله أن ذلك حسن، وكان مساء وكان صباح، يومٌ رابع (التوراة ـ سفر التكوين ١ : ١٤ ـ ١٩).

فيما وراء هذا كان اليهود ـ كغيرهم من الأمم القديمة ـ يحسبون الزمن انطلاقا من حادثة مهمة في حياتهم، أو حكم ملك، أو حرب، أو نحو ذلك. فأحد أنبيائهم ـ بعد سليمان ـ يقول: كلمة الرب التي كانت إلى هُوشَعْ بن بئيري في أيام عُزِّيا ويُوثَامْ وآحَازْ وحزْقيا ملوك يهوذا، وفي أيام يَرُبْعام بن يوآش ملكَ إسرائيل (سفر هوشع ١:١)، وكذلك: رؤيا إشعيا بن أموصْ التي رآها على يهوذا وأورشليم، في أيام عُزِّيا ويُوثام وآحاز وحزْقيا ملوك يهوذا (سفر إشعيا ١:١)، وكذلك: في السَنة الأولى لقورش ملك فارس (سفر عزرا

١:١). ونجد الشهر اليهودي في بداية سفر النبي نحميَا: كلام نحميَا بن حَكَلْيَا. كان في شهر كَسْلُو في السنَة العشرين إذ كنت في شُوشَنْ القَصر (سفر نحميا ١ : ١)، وأيضًا: وفي السنة الثالثة عشرة لبُخْتنصَّر، في اليوم الثاني والعشرين من الشهر الأول (سفريهوديت: ٢:١).

وإذا مـــا وصلنا إلى تاريخ المكابيين - وهم الزعماء اليهود الذين قادوا المقاومة ضد الاحتلال اليوناني على إثر فتوحات الإسكندر الأكبر - وجدناهم يصطنعون التاريخ اليوناني في كتاباتهم، بل يكتبون أسفارهم باللغة اليونانية (سفر المكابيين الأول والثاني).

وقبل هذا بقرنين من الزمان، كان إمبراطور الفرس قمبيز قد فتح مصر، وكان يحتقر المصريين وطقوسهم الدينية، حتى قرر قتل معبودهم (العجل أبيس) كما يروي ذلك هيرودوت اليوناني في تاريخه. وزيادة في إذلال المصريين أحضر جالية يهودية وأسكنها في أقصى الجنوب من مصر، في جزيرة الفيلة، بالقرب من أسوان. وكان أولئك اليهود يتولون مهمة (الترفيه) عن جيش الاحتلال الفارسي، بتقديم الخمر، والنساء، والغلمان، وبيع البضائع المختلفة. وشجعهم قمبيز على أن يبنوا لهم معبدا ضخما فخما، يفوق معابد المصريين، فهب المصريون في ثورة عارمة كانت فيها نهاية الاحتلال الفارسي. وقد عثر الآثاريون في جزيرة الفيلة على مجموعة كبيرة من العقود والوثائق التجارية كتبتها هذه الجالية باللغة الآرامية، وأرختها بالتقويم الفرعوني، لا اليهودي ولا الفارسي!

فكيف ومتى تمّ حساب التقويم اليهودي؟

التوقيت بحركة الكواكب

نحن نعلم أن الأمم القديمة كانت من الرعاة، أو الفلاحين، أو الصيادين، أو البَحَّارة. وكان الرعاة بحاجة إلى تقسيم الزمن بحسب فترات خصوبة المرعى، وتوالد الماشية، وكثرة الحليب والصوف، كما كانوا يخشون مواسم القحط والجفاف والوباء، فكانوا يحسبون الأزمان طبقا لذلك. أما الفلاّحون فكانوا يميزون بين الفصول إذ عليها تتوقف الزراعة والحصاد وجني الثمار. وكان الصيادون يقسمون الزمن بحسب مواسم هجرة حيوان الصيد، والجهات التي ينتجعها، ومع الصيد تكثر الوحوش الكاسرة المفترسة التي تفتك بالصيد وبالإنسان معا، فكان لهم حساب فلكي ومناخيّ وإقليمي في آن واحد.

وأما البحّارة فكان تقسيمهم للزمن يتبع العواصف والأنواء واتجاهات الريح وطبيعة الجو في البحار.

لهذا كان حساب الزمن مختلفا. لكنه يهتم بحركة الشمس والقمر والكواكب في كل الأحوال.

وانعكس هذا على وثنية تلك الشعوب القديمة، فعبد كثير منهم الشمس ، وعبد الجوّابون في الصحارى والبحارة القمر، وعددا من النجوم التي كانوا يهتدون بها في البر والبحر، ويتوقعون من مراقبتها ما قد يكون في غد من الأجواء المناسبة أو الصعبة. فالمصريون القدماء عبدوا الشمس لدقة تحديدها لفصول الزراعة، وكان «دَرَعْ» أي قرص الشمس كبير آلهتهم منذ ما قبل التاريخ، والبابليون عبدوا «شَمَشْ» أي الشمس أيضا في العراق، باستثناء البوادي حيث كان المعبود هو «سِنْ» أي القمر، الذي زحف إلى صحارى مصر، فعبدوه باسمه السومري، وسميتْ صحراؤهم «سيناء» نسبة إلى القمر. ومن الراجح أن يكون بنو إسرائيل، في بداوتهم ورحيلهم، قد أحاطوا القمر بقدسية خاصة. فهم - حتى الآن - يحتفلون ببزوغ الهلال كل شهر على مدار السنة، ويسمون هذه الحفلة «روش حُودشْ» أي رأس الشهر، والقمر في لغتهم يسمى «يَارِيَّحْ» من الأشورية و«أَرْخُو» أي الشهر أو القمر، والمعنى القديم لهذه الكلمة هو «الجوّال، السائر، السائح». ونجد كلمة «أُرْحَا» تعني بالسريانية طريق القوافل، ثم القافلة نفسها، وفي اللغة السبئية القديمة «وَرْخ» معناه القمر، وكان عندهم مقدسًا، يحسبون به الزمن، ومن ذلك جاء«وَرَّخَ» أو « أَرَّخَ» أي حسب الزمن طبقًا لسير القمر، وقالوا من هذا «التأريخ» أو «التاريخ» بمعناه السائد اليوم. أما الكواكب فقد استعانوا بها على التنبؤ بالمطر أو الريح، وسموها أنواء، لأنها تنوء أحيانا، أي تميل بما يدلهم على تغير متوقع في الطقس. واشتهرت من ذلك الجوزاء، والثريا، والشِّعْرَى التي عبدتها أمم كثيرة باسم «عشتروت» حتى ندّد القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى : ﴿وأنّه هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ (النجم: ٤٩). وكذلك كانوا يهتدون في سفرهم بنجم الجنوب «سُهَيْل».

وأجمع العالم القديم على وضع الشمس في مقدمة معبوداتهم، إمّا حبًا (في المجتمعات الزراعية) وإما خوفًا (في المجتمعات الصحراوية). ومن أسمائها في اللغة العربية «الإلهة» وكثرت في نطقها اللهجات، مثل «لَاهَتْ» وكذلك «لات» أو «اللات»، وبهذا الاسم الأخير كان للعرب صنم يزورونه ويقدمون له القرابين.

فالتوقيت بالقمر للشهور، والتوقيت بالشمس للفصول، والتوقيت بظلّها للساعات - بالنهار طبعا - أما بالليل فكان الناس قديما يعرفون الساعات بالنجوم، أو بمرور دورية الحراسة في المدن. وكان اليهود يعرفون ثلاث دوريات، واحدة في أول الليل وثانية في أوسطه والأخيرة في آخره ، وتنتهي بطلوع الفجر. واليهود يسمّون كل فترة حراسة ليلية «إشمُورَه» أي نوبة أو دوريّة . والهزيع من الليل في لغتنا العربية هو نوبة طواف الحَرَس، من «هَزَعَ» أي تحرك وأسرع ، ولذلك قالوا في كتب اللغة: الهزيع من الليل: الطائفة منه، عندما يطوف الحُرّاس.

ومعذرة في هذه الوقفة اللغوية التي أرجو ألاّ تكون قد شردت بنا عن السؤال عن منشأ التقويم اليهودي، وردّه إلى اليوم الأول من الشهر الأول من السنة الأولى، منذ خَلْق السماوات والأرض: ٥٧٥٤ عامًا.

المفاجأة هنا - وبعد أن استعمل اليهود التقويم بحسب حكم ملوكهم حينا، وتقويم الأمم الأخرى أحيانا، مثل التاريخ الفرعوني، أو قورش إمبراطور إيران، أو بختنصر الكلداني، أو الإسكندر اليوناني، و خلفائه البطالمة في مصر، أو السلوقيين في أنطاكية، أو الرومان - هي أنّ إقرار حساب الزمن عند اليهود من يوم أن خلق الله تعالى السماوات والأرض حديث جدا، بعد موسى بأكثر من ألف وخمسمائة سنة، يُنسب إلى عَالم من مشاهير رواة المشْنا في القرن الثاني بعد المَيلاد، اسمه (يوساي بن حَلَفْتا). ورواة المشْنا هم الذين نقلوا هذه المجموعة من الأحكام الشرعية الشفهية في أجيال متعاقبة تشغل أربعة قرون (من أوائل القرن الثاني قبل الميلاد إلى أواخر الثاني بعده) بطريق التحديث والعنعنة، وزعموا أنها ترتفع إلى موسى عليه السلام، مع أن أسانيدهم تنقطع بعد موسى بألف سنة!

اليهود وحساب الزمن

ويُعْزَى إلى يُوسَاي بن حَلَفْتَا كتاب في تسلسل التاريخ - مشكوك في نسبته إليه - عنوانه «سجلّ العالم الكبير». والباحثون المدققون من اليهود أنفسهم يؤكدون أن تحرير هذا الكتاب يرجع إلى زمن متأخر عن جيل هذا الراوية. وطريقة الحساب المتبعة فيه هي أنه قرر أنّ خلق آدم - حسب ماذكرته التوراة - كان بتاريخ اليوم السادس، من الشهر الأول، من السنة الأولى لخلق العالم. ثم تتبع أجيال بني آدم حرفيًا كما جاءت في التوراة : آدم - شيث - إنُوشْ - قينَان - مَهَلَئيل - يارِدْ - حَنُوك - مِيتُوشالِحْ - لامِكْ - نوح - سامَ (وحامَ ويافث) - أرْفَخْشَدْ - شيلَحْ - عَابِرْ - فَالِجْ - رعُو - سَرُوجْ - ناحُور - تارِحَ - إبراهيم - إسحق - يعقوب - الأسباط الاثني عشر ... ثم يتسلسل النسب من لاوي بن يعقوب إلى موسى وهارون، ومن يهوذا بن يعقوب إلى داود وسليمان وإلى المسيح عليه السلام.

ومع اختلاف طفيف في بعض المواضع حول هذه الأنساب، فقد رتبها الحاخام الذي تولى هذا الحساب، فكان يقيّد عمر كل أب عندما أنجب ابنه، ويحسب ما عاشه الابن بعد أبيه، وهكذا يطرح السنين عندما تتداخل الأجيال والمواليد، ثم جعل مولد المسيح - على حسابه هذا - عام ٤٠٠٤ من خلق العالم ! وقد طرأت على هذا الحساب تعديلات وتصحيحات كثيرة، من جانب اليهود، وكذلك من جانب المسيحيين، حول تاريخ ميلاد المسيح، وحول الفَرْق بين التقويمين الغريغوري واليولياني، إلى أن وصلت هذه الحسابات إلى أوضاعها الثابتة السائدة الآن.

الشهور اليهودية

وشهور اليهود هلالية قمرية تبدأ مع شهورنا الهجرية ، وإن كانوا يعتمدون في إثباتها على حساب تلمودي دقيق، نادرا ما يختلف مع نظام الرؤية المتبعة عندنا نحن المسلمين، وعندهم في حساب الأيام أن الليل يسبق النهار، اعتمادا على ما نصّت عليه التوراة من أن الظلام كان يغشى الكون عند بدء الخلق: أول ما خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خلاءً عماءً، وظلامٌ على وجه الغمر، وريح الله تهبّ على وجه المياه، وقال الله: ليكُنْ نورٌ، فكان نورٌ (سفر التكوين ١: ١، ٢). واعتمدوا كذلك على نص آخر تكرر مرارا في تلك القصة، يقول: وكانَ مَسَاءٌ، وكان صباحٌ، يومٌ واحد (التكوين ١:٥).

واليهود يجعلون سنتهم (شمسية قمرية) شهورها تتبع الهلال وفصولها تتبع الشمس. ولما كان الفَرْقُ بين السنة القمرية والشمسية عشرة أيام تقريبا، فإنهم يلجؤون إلى نوع خاص من النسيء كل ثلاث سنين، فيضيفون شهرًا تصير به السنة

> **يزعم اليهود أن خلق السموات والأرض كان قبل ٥٧٥٤ سنة !**

(الكبيسة) ثلاثة عشر شهرًا لتعويض الفرق بين الحساب الشمسي والقمري، ويأتي هذا الشهر الإضافي بعد شهر آذار (مارس) ويُعطى في التقويم اسم (آذار الثاني). وكان العرب في الجاهلية ينسؤون . ولكن الناسئ كان يرتشي ليُحلّ جزءًا من الشهر الحرام تجده بعض القبائل مناسبًا لحروبها وغاراتها على قبائل أخرى. ولذلك ألغاه الإسلام بنصّ قرآني في قوله تعالى: ﴿ إنّما النَّسيءُ زيادةٌ في الكُفْرِ يُضَلُّ به الذين كفروا ﴾ (التوبة: ٣٧).

وكانَ عندهم ناسيء محترف يسمى (القلمَّس)، وربما كان أصل التسمية آتيا من اللغة اللاتينية، ففيها كلمة (كَلَنْدَسْ) تدل على أوائل الشهور الرومانية، ومن هذه الكلمة جاءت الألفاظ التي معناها حساب الزمن في كثير من اللغات الأوربية كالإنجليزية والفرنسية والإيطالية . قال الفيروز أبادي في « القاموس المحيط »: «القَلَمَّسُ - كَعَمَلَّسٍ - الكثير الماء من الركايا، والبحر، والرجل الخير المِعْطَاء، والسيد العظيم، والرجل الداهية المُنكَر البعيد الغور، ورجلٌ كِنَانيّ من نَسأة الشهور، وكان يقف عند جمرة العَقَبة ويقول: اللهمّ إنيّ ناسئُ الشُهُور وواضعُها مَوَاضِعَها، ولا أُعابُ ولا أُجاب، اللهم إني قد أحللتَ أحد الصفَرَيْن، وحَرّمتُ صَفَرَ المؤخر، وكذلك في الرَجَبَيْن - يعني رجبًا وشعبان - انْفرُوا عَلَى اسم الله تعالى! وذلك قوله تعالى: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ - ويبدو من عبارة القاموس أن القَلَمَّس، بمعنى الناسئ، ليس باسْم علم ، بل هو اسم صناعة هي التوقيت، وتعيين الحلّ والحَرَم من الشهور، وكأنها صناعة مرتبطة بديَانات الوثنية الجاهلية، تشبه صناعة الكهنة والمنجمين.

فالقلمّس يعلن عن نفسه أثناء شعائر الحجّ، ويتخير لوقفته مكانا معظمًا مقدسا، وهو مطمئنّ إلى أنه مسموع الكلمة، نافذ الأمر.

وأسماء الشهور اليهودية الاثني عشر تنتمي في أصلها إلى التقويم البابلي الأشوري في العراق، إذ كانت المعابد مراصد للنجوم، وكانت عبادة هذه النجوم هي محور الدين عندهم. ومن هنا كثر تحذير أنبياء اليهود من عبادة النجوم، وهاجموا كل أمة تتجه إليها بأعيادها وصلواتها، والتلمود يختصر اسم هؤلاء الكفّار بالحروف الأولى من صفاتهم في لفظة (عكوم) ويقرؤونها «عُوبدي كُوكَبيم ومَزَّلوتْ» أي « عابدوا الكواكب والمنازل» أي منازل القمر والبروج. وأسماء الشهور في معظم تقاويم الأمم تحمل بعض أسماء معبوداتهم أو صفات مناخ الشهر عندهم أو اسم حاكم عظيم من حكامهم. بل قد يميزون بعضها بترتيبها في شهور السنة. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك أسماء شهور السنة الميلادية الأوربية، التي كانت تبدأ بشهر مارس - وهو اسم إله الحرب في وثنيتهم - ثم شهر يولية الذي يحمل اسم الإمبراطور يوليوس قيصر، ثم أغسطس وهو اسم من أسماء الإمبراطور أكتافيوس، وأما سبتمبر فمعناه باللاتينية السابع، لأنه كان سابع شهر في التقويم القديم الذي يبدأ بشهر مارس، ثم أكتوبر ونوفمبر وديسمبر ومعناها اللاتيني الثامن والتاسع والعاشر، كما أننا نجد السنة المصرية الفرعونية تبدأ باسم الإله «تحوت» الذي يُنطق «توت» - كما نجد «هاتور» اسمًا لرمز من معبوداتهم يُذكّر بالسماء، ويصورونه على شكل بقرة حَلُوب، وبشنس وهو اسم واحد من معبوداتهم أيضا.

وأما شهور السنة اليهودية فهي - كما قلنا - بابلية الأصل، وترتيبها على النحو التالي:

١- تشْري: وهو ثلاثون يوما. واليوم الأول منه عيد رأس السنة، واليوم العاشر هو يوم الغفران أو الكفّارة، وهو عاشوراء اليهود، واليوم الخامس عشر هو بداية عيد الظُّلَلْ، وهو يقع في سبتمبر (أكتوبر) من التقويم الميلادي.

٢- حشْوانْ: تسعة وعشرون يوما (أكتوبر- نوفمبر)، ويسمى أيضا مَرْحِشْوان، وقد يكون ثلاثين يومًا.

٣- كسْلوْ: ٢٩ أو٣٠ يوما (نوفمبر - ديسمبر)، وفي الخامس والعشرين منه تبدأ أيام عيد (الحانوكة) أي التدشين، احتفالاً بذكرى إعادة افتتاح الهيكل في القرن الثاني قبل الميلاد بعد أن كان أنطيوخوس إبيفانيس قد زحف عليه ودمّره ودنّسه بجيشه قادمًا من سوريا. ويبدو أن الذين وضعوا التقويم اليهودي قد تعمدوا أن يكون تاريخ هذا العيد قريبا جدا من عيد الميلاد النصراني، حتى لا ينجذب أطفالهم نحو النصرانية أو يندمجوا في مجتمعها.

٤- طبتْ: ٢٩ يوما، واليوم العاشر منه يوم صيام، (يوافق ديسمبر - يناير).

٥- شباطْ: ثلاثون يوما (يناير - فبراير)، ويوم الخامس عشر منه عيد رأس السنة للشجر.

٦- آدار: ٢٩يوما أو ٣٠ (فبراير - مارس). وفي الرابع عشر منه عيد «بوريم» وهو عيد إستير النبيّة، أو عيد الأزياء التنكرية والاحتفالات الصاخبة، ويسميه المسلمون عيد المسخرة، أو المساخر. وفي سنة النسيء يُضاف «آدار الثاني»، كما قلنا، وهو ٢٩ يوما.

٧- نيسان: ٣٠ يوما (مارس - أبريل)، ويبدأ أسبوع عيد الفصح اليهودي في الخامس عشر من هذا الشهر.

٨- إيّار: وهو ٢٩ يوما (أبريل - مايو) ويقع في الخامس منه العيد الوطني لقيام دولة إسرائيل الصهيونية.

٩- سيوان: ٣٠ يوما (مايو - يونيه)، ويقع في السادس منه عيد شبوعوت، وهو عيد الحصاد.

١٠- تموّز : ٢٩ يوما (يونيه - يوليه)، ويقع في السابع عشر منه صيام .

١١- آب: ٣٠ يوما (يوليه - أغسطس)، وفي التاسع من آب يصوم اليهود حدادا على تخريب بختنصر ثم الرومان للهيكل في أورشليم (القدس).

١٢- إيلول: (أغسطس - سبتمبر) وهو ٢٩ يومًا.

وأشعر بسؤال يتردد في ذهن القارئ : ما أصل أسماء هذه الشهور؟ إن أسماء شهور السنة العربية واضحة أصيلة في عروبتها: المحرّم شهر حرام لايجوز فيه القتال، وهو هدنة إجبارية فرضها العرب على أنفسهم في جاهليتهم . وصَفَر لأن الأرض فيه تُصْفرُ من الخُضرة. إذ يكون حرّ الصيف قد أحرَق كل شيء، وذلك قبل إلغاء النسيء وفصل السنة القمرية عن دورة الشمس، فكان صَفَر يأتي في آخر فصل الصيف. وربيع شهر الخضرة والعشب مع اعتدال الخريف. وجمادى شهر البرد الشديد حيث يجمد الماء في الآبار والغدران. ورجب شهر مُرَجَّب، أي مُعظّم، لأنه شهر حرام. وشعبان يبدأ فيه الربيع، وتسيل الوديان والشعاب بالماء. ورمضان شهر الرَّمْضَاء، أي الحرّ الشديد. وشوّال شهر عشار الإبل، تشول فيه النُوق بأذنابها للحَمْل. وذو القعدة فيه الحر

اغتصب اليهود - كدأبهم - لأنفسهم التقاويم الفلكية البابلية

والقحط، فيقعد الناس عن الرحيل تجنبا لأخطار الحرّ وهجوم قُطّاع الطريق . وذو الحجة هو شهر الحجّ إلى البيت الحرام في مكة المكرمة. وكانت لهذه الشهور أسماء أخرى قبل هذه هي أيضا عريقة في أصالتها وعروبتها.

ولما كنت لاعلْمَ لي بتقاويم الأمم القديمة البعيدة مثل الصين أو الهند أو الأزتيك أوالمايا في أمريكا، فإنني أمسك عن القول فيها، وإن كنت أشعر - مما تركوه مرسوما على آثارهم أو متوارثًا في سلالاتهم - بأن الأمور كانت تدور عندهم مع دوران الأفلاك وحركة الشمس والقمر والنجوم، وكان بعضهم يضفي على السنين ألقابا أسطورية كالصينيين مثلا، حيث يتحدثون عن سنة القرد أو الأرنب أو التنّين. أما بنو إسرائيل فقد كانوا - كدأبهم - ينهبون الجيران، ويسطون على تراثهم، ثم يدّعون أن الله قد ساق إليهم ذلك من السماء. فندر من علمائهم من حاول أن يَرُدَّ هذه الأسماء إلى أصولها، وأندر منهم من ألقى السؤال أو لمسه لمسًا خفيفا رفيقًا بلا إلحاح أو تعمق. مع أن الأمر واضح، وبخاصة بعد إقامتهم الإجبارية في أرض بابل (العراق) في القرن الخامس قبل الميلاد. وكان البابليّون قد برعوا في علوم الفلك، وألّفوا فيها دراسات لايزال الكثير من علماء الغرب المعاصرين يستنطقون أسرارها إلى الآن. وكان من أسهل الأمور على اليهود أن يغتصبوا لأنفسهم التقاويم الفلكية البابلية ، خصوصا وأن نهب تراث الأعداء من فنون البطولة القومية التي تغري الناس جميعا إلى الآن.

فالشهر الثالث اليهودي كسْلوْ كان اسمه في التقويم البابلي كسْليمُو، والشهر الرابع طبت مسطور في الألواح المسمارية الأشورية طبيتُمْ، وقد أخذه منهم التدمريّون في سوريا أيضًا. ويبدو أنه في الأصل كان يُنطق طبِعْتُمْ وضاع حرف العين الحلقي في البابلية والأشورية، لأن المادة كانت تعني غَرِقَ - في الوحل خصوصا - وشهر طبت (ديسمبر / يناير) كثير الأمطار والأوحال في العراق شتاءً.

وشهر شباط (يناير- فبراير) مأخوذ كما هو من التقويم البابلي، واسمه في بابل شَبَاطُو، واشتقاقه من فعل معناه آذَى وأهلك ، لأنه هناك شهر البرد الشديد. وأما أدار فاسمه في البابلية مشتق من صفة معناها: العظيم، والفخم. واسمه غير مذكور في التوراة ولكنه مثبت في تقويمهم للاحتفال بعيد «إستير» النبيّة، كما قلنا. وشهر نيسان معروف باسمه هذا في التقويم البابلي، وقد استعمله الكتاب الذي يتلوه اليهود. ولم يرد في هذا الكتاب اسم الشهر الذي يليه. إيّارْ (أبريل - مايو) وهو ثابت مسطور في تقويمهم إلى الآن.

وورد الشهر الذي يليه سيوان (مايو - يونيه) وهو في البابلية الأشورية «سيمَانو».

واسم شهر تموز (يونيه - يوليه) جاء في التقويم البابلي باسمين: دَامُوزو، ودُوزُو، وهو اسم معبود اشتهر في الأساطير الكنعانية والفينيقية. أما شهر آب (يوليه - أغسطس) وإيلول (أغسطس - سبتمبر) وتشري (سبتمبر - أكتوبر) وحشْوان أو مَرْحشْوان فلا ذكر لها في كتابهم، وهي مشهورة في تقويمهم. والعجب أن تشري شهر فيه عيد رأس السنة اليهودية، فيكون الله - تعالى عن ذلك علوًا كبيرا، - قد بدأ خلق السماوات والأرض يوم أول تشري، ولم يذكره في التوراة، على الرغم من وجود عاشوراء اليهود (يوم الغفران) فيه ، وكذلك عيد الظُلل بعد ذلك

اليهود وحساب الزمن

بخمسة أيام. عجيب جدا! مع أنه شهر بابلي أيضا انتقل إلى الآراميين والسريان باسم «تشرين»!

تحذير
بمناسبة السنة الجديدة!

وبعد، فإن تعلق اليهود بالعرافة، وحساب الطوالع والمنازل، وبذل الجهد في خرق حُجُب الغيب، قد جعل من حساب الزمن الفلكي وسيلة للكسب الحرام، بادّعاء الإنْباء بالمستقبل، ورؤية ما سيكون، من خلال تاريخ الميلاد باليوم والساعة التي جاء فيها الإنسان إلى الحياة، وبحساب النجم الطالع في أفقه، وبرج الكوكب الذي شهد نزوله من بطن أمه، ومنزلة القمر في تلك الليلة، وحساب الحاصل من جمع حروف اسمه واسم أبيه وأمه، وقسمة هذا على اثني عشر، بعدد البروج، والشهور، وأسباط بني إسرائيل ... وهلمّ جرّا. ثم اتسعت هذه الوسائل الخرافية، وانتشرت على أيدي أولئك التلموديين الشيطانيين. فما يذهب الإنسان إلى الغرب إلاّ أذهلته الآلاف المؤلفة من أولئك المنجمين، وأكثرهم من اليهود، أو إخوان الجان من الهند أو أفريقيا السوداء، حتى جذب هذا المورد العذب الكثير من الأوربيين والمسلمين، وصارت لهم في كثير من بلاد العالم المتحضر نقابات، ومطبوعات، ومجلات. وليس ذلك بجديد، فقد سرى هذا الوباء الطفيلي على حسابات الزمن إلى بني إسرائيل منذ أقدم العصور، ولعله صحبهم من سحرة فرعون عند خروجهم من مصر.

وبعد موسى بثلاثة قرون فقط نجد نبيّهم صموئيل يتعاطى هذا الفن. قال الراوي: إنّ تاجرا من تجار الحمير - وكان إذ ذاك يعادل صاحب وكالة للسيارات في زماننا التكنولوجي هذا! - اسمه قيس بن أبيئيل قد ضل له بعض الحمير، فأرسل أحد أبنائه العشرة ومعه عبد للبحث عن الحمير الضالة. وكان هذا الابن - واسمه شاءول - جسيما فارع القامة جميل الطلعة. ولمّا لم يعثرا على الحمير، همّ الولد بالرجوع إلى أبيه لأن الليل كان قد أرخى سدوله، فقال له العبد إنه يفضّل أن يذهبا لسؤال «رجل الله» - يعني صموئيل - عن تلك الحمير. وأخبر شاءول أن معه ربع مثقال فضة إذا أعطياه لهذا الرجل أخبرهما بمكان الحمير! «وكان الرب قد أوحى إلى صموئيل قبل أن يأتيه شاءول بيوم، وقال له: غداً، وفي مثل هذه الساعة، أُرسلُ إليك رجلاً من أرض بنيامين، فامسَحْهُ قائداً على شعبي، إسرائيل، فيخلّص شعبي من أيدي الفلسطينيين، لأني التفتّ إلى شعبي، إذ وَصَلَتْ استغاثتهم إليّ» (سفر صموئيل الأول ٩:١٥، ١٦). وكانت الحمير قد اهتدت إلى الدار قبله هو والعبد. وبعد مغامرات طويلة نفّذ صموئيل مشروعه، وأقام في فلسطين أول ملك على بني إسرائيل. وتبين أن هذا الشاب الجسيم الوسيم القسيم كان ضعيفا، ينهزم في كل موقعة يخوضها ضد الفلسطينيين، حتى أصابه انهيار عصبي عجز الأطباء عن شفائه. فأحضر أعوانه من صحراوات الجنوب الفلسطيني راعيا من سبط يهوذا اسمه داود، اشتهر بأنه يشفي بمزاميره المصروعين والمجانين. فشفى الملك من أمراضه وكان يخرج معه في كل موقعة فينتصر. فَعَلاَ شأن داود في الشعب مما ملأ شاءول حقدا عليه، ومنعه من مصاحبته وهو خارج لمحاربة الفلسطينيين، فانهزم شر هزيمة وانتحر. وفي أيامه الأخيرة كان صموئيل قد مات. وراح شاءول يبحث عن السحرة والعرّافين والمنجمين: «ولما رأى شاءول معسكر الفلسطينيين، خاف وارتجف قلبه بشدّة. فسأل شاءول الربّ فلم يجبه الربّ، لا بالأحلام، ولا بالكهنة، ولا بالأنبياء. فقال شاءول لعبيده: التمسوا لي امرأة ذات تابعة من الجنّ. فتنكرّ شاءول، ولبس غير ثيابه وانطلق هو ورجلان معه وأتوا المرأة ليلا، فقال لها: تكهّني لي بالتابعة، وأظهري لي من أسمّيه لك. فقالت المرأة له: قد علمْتَ ما صنع شاءول من قطع أصحاب التوابع والعرّافين من الأرض، فلماذا تنصب لنفسي شركا لتهلكني؟ فحلف لها شاءول قائلا: بحياة الربّ إنه لايلحقك جريرة في هذا الأمر، فقالت المرأة: مَنْ أسْتَحْضِرُ لك؟ قال: استحضري صموئيل. فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم، وكلّمت المرأة شاءول وقالت: لماذا خدعتني؟ وأنت شاءول! فقال لها الملك: لا تخافي! ما الذي رأيت؟ قالت المرأة لشاءول: رأيت (آلهة) تصعد من الأرض! فقال لها: ما هيأته؟ قالت: شيخ صاعد مكسوّا بعباءة. فعرف شاءول أنه صموئيل، فخرّ على وجهه إلى الأرض، وسجد! فقال صموئيل لشاءول: لماذا أزعجتني، وأحضرتني؟» - (سفر صموئيل الأول: ٢٨ :٥ - ١٥). وجاءت نبوءة صموئيل بأن شاءول سينهزم أمام الفلسطينيين هو وكل بني إسرائيل. ولسنا بحاجة إلى بيان المسامرات المخترعة في تلك القصة، التي تفنن فيها المؤلّف حتى يبرز العظمة والبركة والفخار والانتصار مع مجيء داود على رأس بني إسرائيل. وقد كان الأمر أيسر من هذه الشطحات، لو اكتفى المؤلف بالإفاضة في فضائل سيدنا داود عليه السلام وبلاغته وحكمته، ولكنه عندما انتقل إلى ذكره لم يعفه من لسانه المسموم، وبخاصة في شهواته ومغامراته النسائية، ووحشيته، بل جبنه أحيانًا، ذلك أن داود عند بني إسرائيل ليس نبيا بل شاعراً وملحّنًا وقائدًا وملكًا!

التوقيت بحركة الشمس والقمر والكواكب انعكس على وثنية الشعوب القديمة

وحساب الزمن الفلكي والجغرافي والمناخي أمر ضروري لإرشاد الناس إلى أحسن الأوقات للرعي والصيد والزراعة والسفر في البر والبحر والجوّ وما وراء الجوّ في العصر الحديث. فإذا انقلب إلى خداع البسطاء بالإنْباء بالمستقبل، واختراق حُجب الغيب، عاد خطرا على المجتمعات. وقد كانت التقاويم قديما متخصصة: زراعية أو صحية تبين على سبيل النصح ما يُستحبّ أكله أو شربه أو الحذر منه. ولكن بداية السنين عادت الآن دافعا إلى نشر طوالع كلها خزعبلات، أردتُ أن أحذّر منها بمناسبة بدء السنة الهجرية . وكل عام وأنتم بخير.

الحداثة
تفاعل بين العقل والزمن والمكان

محمد العربي الخطّابي

إنّ لبعض الألفاظ سحراً ملحوظاً يستحوذ على نفوس أناس فينشّط خيالهم، ويوقظ فضولهم، ويبعث فيهم الرغبة في استيعاب معاني هذه الألفاظ، واختبار قدرتهم على تمثّل دلالاتها واستجلاء تأثيرها في تصرفاتهم ومواقفهم.
ومن هذه الألفاظ السحرية لفظ «الحداثة» الذي تتباين حوله التفاسير وتختلف وجهات النّظر بقدر تباين الآفاق التي تسرح فيها مفاهيم «الحداثة» كالعلوم والآداب والفنون، ووسائل الترفيه والإعلام، وأنماط الحضارة، ومظاهر المعاش، وأساليب السلوك وما إلى ذلك.
وسأعرض فيما يلي خواطر وتصورات لها صلة ما بالحداثة، من غير أن أتكلف الخوض في بيان العلل والأسباب التي تكمن وراء هذا التيار الإنساني المندفع الذي لا يقاوم، بل تنقاد له النفوس كرهاً أو طوعاً ما تعاقبت الأزمان وتغايرت الأمكنة.

الجديد والبالي

يمكننا أن نقول في تعريف الجديد أقوالاً عديدة، متقاربة أو متباعدة، ولكنّها جميعاً تؤدي إلى القصد بصورة أو بأخرى، فمن هذه التعريفات:

١ - «الجديد هو كلُّ شيء يَحدث بعد أن لم يكن»، فهذا تعريف يبدو إيجابيًّا في مدلوله، لكن يعوزه الوضوح من حيث إنه أقرب إلى تعريف مفهوم «الكون» عند الفلاسفة. فهم يقولون: «الكون _ Generation _ هو ما يحدث دفعة واحدة بعد أن لم يكن»، ويضاده الفساد Corruption،وهو إستحالة الجوهر إلى ما هو دونه.

٢ - «الجديد هو كل شيء يؤول إلى البلى عاجلاً أو آجلاً»؛ فهذا تعريف سلبي في الظاهر، وربّما اتّسم بشيء من التشاؤم.

٣ - ا لجديد هو ما تقع عليه العين أول مرة»، فهذا هو التعريف الذي نختاره دون غيره، لا لأنه أصحُّ من غيره وأدقُّ، بل لأنه يأخذ بنسبية الأشياء، ولأنه ينطبق بصورة أفضل على وضع الإنسان وموقفه تجاه التاريخ والحضارة، وهو تعريف مؤداه أن ما هو جديد في نظر زيد ليس بالضرورة كذلك في نظر عمرو. فالذي يشاهد البحر كلَّ يوم - مثلاً - لا يجده مع تعاقب الأيام جديداً، بخلاف الذي يراه لأول مرّة.

إنّ الجدّة والبلى إنّما يرجعان إلى تغيُّر نظر الإنسان إلى الأشياء المحسوسة والمعقولة تبعاً لتغير ظروف الزمان والمكان واختلاف أمزجة الناس وتقلبات أحوالهم النفسية، وهذا ما نشاهده ونلمسه في حياتنا اليومية باستمرار، فالفكرة التي تظهر لنا اليوم جديدة وطريفة نراها غدا أو بعد غد قديمة مستهلكة. والذي يقتني فراشاً «جديداً» يبيت فوقه ليلة فإذا أصبح عليه الصباح، انقضت جدّته في نظر صاحبه، وصدق من قال: «ولكلّ جديد لذّة»؛ لأن من شأن اللذات جميعاً ألاّ تدوم.

ألا ترى أيضاً أن عالم الآثار الذي يُنفق جهداً مضنياً في الحفر والتنقيب عن «القديم»، حتى إذا ما وَجَد تمثالاً مكسوراً، أو شَقفَة معفّرة، أو جمجمة متحجرة، تهلل وجهه فرحاً، وراح يعلن أنّه عثر على مادة «جديدة» تفيد العلم، وتنير طريق الدارسين؟

الحداثة تفاعلٌ بين العقل والزّمن والمكان

هذا، ونحن لا نفتأ نشاهد في الطبيعة، وفي آفاق الكون المنظور أجساماً، وظواهر موغلة في القدم، يراها بعضنا دائمة التجدد كالشمس التي تسطع فوقنا وتبعث الضياء والحرارة منذ ملايين السنين، وكالتّربة العتيقة تتعاورها سواعد الفلاحين جيلا بعد جيل، وتعالجها بالحرث والبذر والغرس والسّقي، فتنبعث فيها مع كل موسم حياة «جديدة»، بما يكسوها من خضرة، وينبعث فيها من يَنع.

الجديد والحديث

بالرغم من التقارب الملحوظ بين لفظي الجديد والحديث، فإن بينهما فروقا لا تخطئها العين الفاحصة، فالجديد مجرّد انطباع يحدث في النّفس، ويحتمل الزوال والتغير، وهو شبيه بالومضة التي تبرق، ثم تختفي بسرعة. وأما الحديث فهو واقع معين موسوم بعلامات مخصوصة، ومقترن بمدّة زمنية معلومة. وكما أن الجديد يَخْلَق فيصير باليًا، فإنّ الحديث تنقضي مدّته ويعقبه ما هو أحدث منه، فيصير الحديث الأول تالداً والحديث الذي يليه طريفاً، وهكذا دواليك.

وأما المحدث، فهو كل موجود لا يتصف بالقدم والبقاء، وتكون له بداية ونهاية، وهذا شأن المخلوقات كلّها، المتحرك منها والنامي والجامد. والمحدث إما أن يكون إبداعاً يأتي على غير مثال سابق، وإما أن ينظر إليه على أنه مجرّد تكرار للفعل مقترن بالزمان، خاضع لسنن الطبيعة، مع احتمال تغيّر في الصورة لا في الجوهر، وهذا شأن أجيال الناس والحيوان والنبات الأفلاك، وما إلى ذلك.

وقد نفى «لافوازييه» أن يكون في الأشياء إبداع ما، سواء تعلّق الأمر - في نظره - بالفن أو بالطبيعة، وزعم أنّ لا شيء في الوجود يتلاشى، وأن كل شيء يخضع للتغير والتحوّل(١). وفي هذا القول نظر، وهو ربما يجوز أن ينطبق - من الناحية النظرية - على العناصر المادية التي تقع تحت البصر، وتكون موضوعاً للتحليل والتجريب، ويتم اكتشاف القوانين المتحكمة في تغيّراتها، وأما ما عدا ذلك من الظواهر التي يقصر العلم التجريبي عن الإحاطة بها وإدراك كنهها، فهي من الأسرار الكونية الموسومة بالإبداع الدائم، الذي يسري فعله على العناصر المادية نفسها؛ فأنت ترى كل قطرة من المطر الذي ينزل من السماء لا تشبه القطرة الأخرى في الحجم، ولا في الشكل، وحتى حينما تجمد القطرة من الماء بفعل البرودة، أو تنحل النُدفة من الجَمْد فتصير سائلة بفعل السخونة، فإن هذه الظاهرة إنما تحدث في الحقيقة عن إبداع ولو سمّاه بعضنا تحوّلا.

الإنسان إزاء الجديد والحديث

ذكر أصحاب معاجم اللغة أن الرّؤية هي النظر بالعين والقلب(٢)، وهو كلام صائب؛ لأنه إذا كانت العين هي التي تقع على الأشياء وتبصرها، فإنها مع ذلك مجرّد أداة تتوقف في أداء وظيفتها على الدّماغ والأعصاب، شأنها في ذلك شأن الحواس الأخرى، أما التمييز والحكم فهما للعقل الذي يتم به الإدراك والتصوّر والتصديق، وتتعايش في كيانه العجيب قوى التفكر والتخيّل والحفظ والذّكر والحدس. فهذه القوى التي تجعل من الإنسان نفساً عاقلة، هي التي تمكّنه من استيعاب الموجودات، وترتيب صورها المحسوسة والمعقولة، وتخزينها للرجوع إليها عند الحاجة.

مفهوم التجديد وحدوده

قد يُراد بالتجديد إعادة النّظر من حين لآخر في الأشياء المادية والمعنوية التي تتصرف في معاش الإنسان وسعيه وتدبيره، فإنّ من طباع البشر كراهية البقاء على حالة واحدة، والتبرّم من الجمود والرتابة وتشابه الحركات والسكنات. ومن هنا ساد الاقتناع بضرورة حدوث تغيير دوري يضفي على الأشياء مسحة من التجديد تُشعر الناس بالانتقال من حالة سائدة إلى حالة أخرى مرجوّة، يظنّ - سلفاً - أنها ستكون أفضل من الأولى وأكثر ملاءمة لسير الزمن وتقلباته.

وهكذا فإن التجديد لا يعني مجرّد العمل على تغيير مظاهر المعاش والعمران، بل هو مع ذلك إحساس يتدفّق في النفوس بدافع الحاجة إلى مسايرة نواميس الطبيعة التي تتصارع فيها - بلا انقطاع - عوامل الثبات والتغيّر.

وحينما يتعلّق الأمر بالأشياء المعنوية - أي المبادئ والقيم - فإنّ التجديد لا يمكن أن يعني بحال محو كلّ شيء موجود، وتعويضه بجديد مستحدث، لم تثبت التجربة صلاحيته وقابليته للتطبيق، بحيث يخشى أن يفضي إلى اختلال نظام العمران؛ نعم إنّ للإنسان أن يغيّر - مثلاً - آلة الحرث أو مركبة السفر في سياق نشدانه للتجديد، وتطلّعه إلى الرخاء، لكن لا يجوز له أن يجازف بتغيير مبدأ راسخ الدعائم، كمبدأ العدل، ومحوه من سجلّ القيم الإنسانية المشتركة، واعتباره كمًّا باليا يستحقّ الإقبار. على أنه لا شيء يمنع الناس من تجديد النّظر في هذه القيم من جهة التحليل والتفسير، وتحسين آليات المراجعة والتطبيق، وفقاً لما هو مقرر ومسلّم به من أنّ لكل عصر قضاياه وأحكامه ونظمه.

ولو كان التجديد يعني صرف النّظر كلية عن منجزات الأجيال السابقة، وطمس آثارها، لتعذّر تقدم العلوم والمعارف والصناعات، ولجمدت الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولأدى الأمر إلى تضييق سبل التفكير والتدبير والمعاش. لأن الحضارة بنيان قائم يساهم في توسيعه وتحصينه ودعمه خلائق الناس جيلا بعد جيل، وفي هذا السياق يندرج مفهوم التجديد.

الإنسان والزّمان

يقول مسكويه: «إنّ النفس أعلى من الزمان، وإن أفعالها غير متعلقة بشيء من الزمان ولا محتاجة إليه، إذ الزمان تابع للحركة،

والحركة خاصة بالطبيعة» (٣) فإذا كان هذا القول صحيحاً، فإنّ الإنسان مع ذلك لا يتحرّك ولا يعيش خارج الزمان، بل إنه يواكبه ويتفاعل معه ويساهم في جريانه، ويتابع امتداده، ويتقلّب في تعاقبه، ويتّخذه مقياسا لأطوار حياته.

والإنسان أيضا لا يسعى خارج المكان، بل يَدبّ في طوله وعرضه وارتفاعه، ويتحرّك في حدوده، وينفعل بعناصره، والمكان شأنه ثبات الجوهر، وتغيّر الأعراض المتعاقبة عليه، بفعل انسياب الزّمن.

ولّما كانت عناصر الوجود كلّها مؤلفة من أضداد موهومة يتوقّف بعضها على بعض في الفعل والانفعال، والامتداد والانحسار، والبقاء والزّوال، فإنّ الإنسان يجتاز مدّة عمره أطواراً طبيعية، ينتقل فيها من الحداثة والفتوّة والغضارة إلى التكهّل والشيخوخة والهرم، فيبلى عُوده بعد طراوة، ويتقشّف إهابه بعد نعومة، وتبعا لذلك يتغيّر نظره إلى نفسه، وإلى ما حوله، فهو يحوم حول الجديد، ليحسّ بأنه لا يزال موجوداً، ثم تراه يحنّ إلى القديم ويتمسّك به لأنه جزء من ذاكرته، والذاكرة «هي الأساس الحقيقيّ لوجودنا» حسب عبارة برجسون(٤).

ومع التشبّث بالقديم فإنّ الإنسان مجبول على تجديد نظره إلى الموجودات، والإحساس بأن الأشياء حوله تتغيّر على الدوام. ومن أجل ذلك فإن الناس متواطئون على تقسيم الزّمن، وتجزئته إلى أحقاب اصطلاحية، فجعلوا منه ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، ثم بدا لهم أن يضبطوا تسلسل التاريخ بطريقة منهجية تربطه بالأحداث الكبرى، فقسّموا الزمن إلى عصور، والعصور إلى قرون، والقرون إلى عقود، والعقود إلى أعوام، وهكذا دواليك إلى الدقائق والثواني والثوالث إلى ما شاء الله، وكل هذا حرصا منهم على حفظ الوقائع وتذكرها، وتيسير انتقالها من جيل إلى جيل، وفق علامات فاصلة اصطلحوا عليها لقياس أشواط المسيرة التاريخية للإنسان في محيطه الحيوي.

التقدّم والتطوّر حركتان متكاملتان

التقدّم لفظة وثيقة الصلة بالحداثة، وهي مع ذلك تحتمل من المعاني والإيحاءات، أكثر مما يتّسع له مدلولها اللغوي الذي يفيد السير إلى الأمام، لبلوغ غاية معلومة أو مجهولة، يتطلّب بلوغها بذل مجهود بدنيّ أو ذهني، كبير أو صغير، حسب مقتضى الحال، إلا أن التنظيرات الفلسفية والمنازع الفكرية (الإيديولوجية) تريد أن تضفي على هذا اللفظ معاني تبدو متباينة الأغراض، متناقضة الأبعاد.

فالتقدم ـ عند بعضهم ـ نزوع فطريٌّ يدفع الناس إلى التمادي في نُشدان الكمال، بقصد توفير أكبر حظّ من الرفاهية المادية ورخاء العيش.

وتتدخل الماركسية في الأمر لتجعل من «التقدمية» شعاراً يوهم بانهزام الليبرالية الرأسمالية، وانتصار الطبقة العاملة أو الكادحة (البروليتاريا)، في ساحة صراع الطبقات وهيمنة سلطانها على الناس وموارد الثروة ووسائل الإنتاج، وفقا لمقولات الجدلية المادية بكل تناقضاتها.

وقد أثبتت الوقائع الدامغة أن هذه «التقدمية» المزعومة تحمل في أحشائها جرثومة التراجع والتقهقر، وهو ما جعل أصحابها من الماركسيين وأضرابهم يعترفون بإفلاسها في المجال النظري، وعلى صعيد التطبيق.

وأما المذاهب الحرة (الإيديولوجية الليبرالية)، فإن «التقدم» يعنى في نظر دعاتها والمتحمّسين لها حثّ السير في طريق الإنتاج والاستهلاك، لبلوغ أقصى غايات النمو الصناعي والتفوق التقني (التكنولوجي) والتحول الاجتماعي بجميع الوسائل المتاحة، ومنها تسخير فتوحات العلم، ومُكتشفاته، من أجل ما يزعمونه من توفير أوفى حظوظَ الرفاه المادي للمواطنين من غير اكتراث ولا اهتمام بسلامتهم الروحية والخلقية.

ومن الواضح أن هذا التصور القاصر لقيمة التقدم وأهدافه، يبدو أبعد من أن يتيح للمجتمعات الإنسانية فرصا حقيقية للشعور بالأمان وطمأنينة النفس، وأنّى لهم ذلك وقد انقلب وسواس التقدّم أو كاد ينقلب إلى تيار جارف يصعب التحكم فيه؛ لاعتماده على العلم والتقنية اللذين يتقدّمان باستمرار ويزودان آلة «التقدّم» بقوة التوالد الذاتي الذي يوشك أن يفلت من سيطرة الإنسان وتحكمه العاقل، ليتحول إلى قوة عارمة للتدمير الذاتي.

نعم، إنه لا أحد يستطيع أن يوقف عجلة التقدّم العلمي والتقني، فهذا لا يحلم به مخلوق، وإنما المطلوب الحدّ ـ إن أمكن ـ من غلواء هذا التقدّم والتحكّم في دواعيه وتوجّهاته، حتّى لا يتحول إلى طوفان يهدّد سلامة الإنسانية، ويقوض أملها في استعادة توازن قواها المادية والمعنوية والخلقية.

ومن الطرائف التي تُذكر في هذا الباب أن الفيلسوف النّمساوي المعاصر «كارل بوبر» زعم في أحد كتبه أن «التقدّم العلميّ قد يتوقّف يوما ما بالرغم من وجود أفضل النّظم وأصلحها له، فقد تنتشر النزعة الصوفية – مثلاً – على هيئة وباء بين الناس، وهذا أمر لا شك في أنه ممكن الوقوع» (٥).

فإذا لم يكن هذا القول صادراً من صاحبه على سبيل الدعابة، فإن أسوأ ما يمكن أن يصيب الحضارة هو انهزام العقل والعلم أمام نزعات طوباوية، قد تدفع الناس إلى الاستكانة وترك العمل والاستسلام لأحلام اليقظة.

وأودّ أن أضيف ـ تعليقاً على كلام بوبر ـ أن التقدّم العلمي والتقني (التكنولوجي) لا يستطيع إيقافه إلا الدمار الذي يمكن أن يسببه الغلو في استخدام البحوث وإجراء التجارب بدافع الرغبة في الغلبة والهيمنة والعدوان على الغير، أو بقصد التلاعب بالمكونات الحيوية (البيولوجية) والوراثية للكائنات الحية، من غير مراعاة لأي وازع خلقي أو رادع من عقل أو ضمير.

إن التقدم حركة أفقية مقرونة بعمل الإنسان وسعيه، وأما التطور فهو حركة رأسية مرتبطة بالسنن الكونية التي لا يد للإنسان في جريانها، ولذلك فإن العقل يحكم بأن يكون تقدم العلم والحضارة مسايراً لسنن التطور، موافقاً لأحكامها، مستفيداً من نظامها البديع الذي يسهر عليه خالق الموجودات ومدبّرها؛ وهذا يعني أن يكون التقدم المادي الذي تتيحه المعارف العلمية وتطبيقاتها موازيا لتعميق الإحساس بقيمة المزايا الخلقية والروحية والفكرية النبيلة، وضرورة التشبث بها، وتوسيع أفقها، والاستفادة منها، من أجل تحقيق التوازن المادي والمعنوي للإنسان الذي لا تستقيم من

الحداثة تفاعلٌ بين العقل والزّمن والمكان

دونه حضارة ولا يصح تقدم.

إن من المفكرين الغربيين المعاصرين مَن يذهب بهم التشاؤم مذهباً بعيداً، يجعلهم ينكرون حصول أي تقدم ملموس في ميادين الأخلاق والفكر الخالص بالقياس إلى القفزات المذهلة التي تحدث باستمرار في ساحة العلوم و(التكنولوجيا)، وفي هذا الصدد يرى «أندريه فروسار» عضو المجمع العلمي الفرنسي (الأكاديمية الفرنسية) في كتاب عن الإنسان وأحواله، صدر له حديثا، أن «الإنسانية قد قطعت في ميدان الأخلاق أشواطا من الزيغ العارم والانحرافات المفرطة البعيدة عن كل فكرة للتقدم، وأن الفكر الخالص لم يتقدم خطوة واحدة إلى الأمام منذ عصر أفلاطون وأرسطوطاليس»(٦).

ربما يكون «فروسار» مبالغاً في رأيه هذا، ولا سيما إذا اعتبرنا المسألة من جانبها النظري، فنحن لا بد لنا، والحالة هذه، من أن نُقرَّ بحصول تقدم كبير في مجال البحوث المتعلقة بالأخلاق وبجميع مظاهر السلوك الإنساني، وبأن الحكماء والفلاسفة والباحثين الذين تعاقبوا منذ عصر أرسطوطاليس قد قطعوا في طرق البحث والنظر أشواطاً، تجاوزت ما وصل إليه فلاسفة اليونان المشهود لهم مع ذلك بفضل السبق في العديد من المسائل التي اختصوا بالنظر فيها. والظاهر أن «فروسار» يبني كثيرا من أحكامه انطلاقاً من واقع المجتمعات الغربية المتشبعة بتأثير الثقافتين الكلاسيكية (اليونانية ـ اللاتينية)، والنصرانية، من غير أن يأخذ بعين الاعتبار مساهمة المجموعات الإنسانية الأخرى ـ غير الأوربية ـ في تقدم الفكر، وتهذيب قواعد الأخلاق، وإرسائها على أسس نظرية وعملية، تزاوج بين المطالب الروحية والحاجات العقلية والمادية للإنسان، كما هو الشأن في التراث الفكري الإسلامي. وهذا التضييق واضح في جميع فصول كتاب «فروسار» الذي نقلنا منه الفقرة المذكورة من قبل.

وأما على الصعيد العلمي فإننا لا نجد مناصا من الاعتراف بما يصيب الإنسانية في هذا العصر من تدهور القيم الروحية والفكرية، وتغلّب سلطان المادية الذي يفتك بالمجتمعات الإنسانية، ويوشك - إن استمر على حاله - أن يعصف بالحضارة والعمران؛ لوجود أسباب التداعي وتعدد وسائله، كالأسلحة الفتّاكة، والأوبئة الوافدة الجديدة، وفساد المحيط الحيوي، وتلوث العقول والأمكنة، وتفاحش ظاهرة الإجرام، وتخلخل كيان الأسرة، وتعاظم أمر المخدرات، وتواطؤ أجهزة الإعلام ومؤسسات اللهو والترفيه على نشر الفساد بطرق منظمة لا يحكمها سوى قانون الربح والخسارة.

الحداثة في الزمن والفكر

إن «الحداثة» ـ بمفهومها التاريخي الخاص ـ هي حقبة معلومة، تحدها بداية ونهاية عند الذين اصطلحوا على تقسيم التاريخ إلى عصور، يقترن كل عصر منها بحدث مهم في سلسلة تطور الحضارات، وتقلب أحوال العمران، وعلاقات الشعوب بعضها ببعض؛ فالعصر الحديث في اصطلاحهم هو الامتداد الزمني الذي ينطلق من نهاية «العصر الوسيط» بسقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م، وينتهي باندلاع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م. وتقترن بدايات هذا «العصر الحديث» بظهور معالم «النهضة» الأوروبية (La Renaissence).

وكيفما كان موقف مؤرخي الشعوب غير الأوروبية من هذا التقسيم الزمني الاصطلاحي لأطوار التاريخ، فإن الذي يعنينا هنا هو المفهوم العام للحداثة من حيث كونها نزوعا فكريا يوهم بتحرك عجلة التطور في ميادين الثقافة والاجتماع والاقتصاد والسياسة، وينطلق من حاجة الإنسان الدائمة إلى تجديد النظر في الأفكار الموروثة، والأوضاع القائمة، سواء تعلق الأمر بالأزياء والمساكن والأثاث والطعام وأدوات العمل، أو بالعلوم والآداب والفنون والقوانين وأساليب السلوك الخلقي والسياسي، ونحو ذلك.

والحداثة - كما لاحظ بعض المفكرين من رجال هذا العصر - إما أن تكون إعرابا عن تحوّلات حقيقية تُمْليها الضرورة وتَحدث بالتدريج، وإما أن تكونَ سطحية تنطوي على التعلق بالجديد كيفما كان، وتعتمد على مجرّد الاعتراض والتظاهر والمزايدة (٧).

ومن هنا فإنَّ الحداثة في ميدان الفكر والسلوك الاجتماعي والسياسي لا تتمثل فحسب في السعي الرشيد لاستيعاب المستحدثات والأخذ بأسبابها، بل إنها تتطلب مع ذلك توافر شروط لا يتم الغرض إلا بها، ومن ذلك:

أولا: المشاركة العقلية والوجدانية النشيطة في تهيئة أجواءالحداثة، وضبط مناهجها، وتقويم اتجاهها؛ حتى لا تتحول إلى إعصار يبدد ذاكرة الجماعات البشرية ويفصلها عن أصولها.

ثانياً: حرية القرار وسلامة الانتقاء مع حسن التمييز في مواجهة كل جديد مستحدث، إذ ليس كلُّ جديد محموداً بالضرورة، ولا كل مستحدث مأموناً، فلا بد ـ إذن ـ من مراعاة بعض المقاييس الخلقية والفكرية قبل الاندماج في عالم الحداثة والتوغل في شعابها.

ثالثاً: إجماع الجمهور العريض - ضمناً أو تصريحاً - على ما ينبغي أخذه أو تركه من كل جديد مستحدث، لا سيما في مجال الأفكار والسلوك العام، ولا بد ـ في كل ذلك ـ من مراعاة التدرج في قطع المراحل، وتجنّب المحاكاة الزائغة والتقليد الطائش المسببين لذوبان الشخصية واختلال توازن المجتمع.

إن الحداثة إذا كانت تعني - من وجهة نظر جانبية - الاهتمام بالاطلاع على التيارات الفكرية المختلفة، ومتابعة شتّى مظاهر السلوك الإنسانية في

المجتمعات المعاصرة، فإن ذلك لا يعني بالضرورة تقليد ما نَطَّلع عليه من ذلك من غير تمحيص، ولا مراعاة لاختلاف أنماط الحضارة، وتباين أساليب النظر، وطرائق السلوك الخلقي والاجتماعي، فإن محاكاة مذهب ماركس أو فكر نيتشه وهيجل وماركيوز - مثلاً - لا تقوم دليلاً على أننا أخذنا من الحداثة بالنصيب المطلوب، بل إن إخضاع مذاهب هؤلاء وآرائهم للنقد المنهجي ومقارنتها الواعية والمتبصرة بما لدينا من قيم خلقية وفكرية ثبتت جدواها، هو عينها الحداثة، ودليل نضجها في عقولنا وأحاسيسنا وتصرفاتنا، وهو طريقنا إلى المساهمة الفاعلة في تقدم الفكر والثقافة في العالم على أسس خلقية وإنسانية تحظى بالقبول الواسع.

وأما في ميدان العلوم والتقنية (التكنولوجية) فإنَّ التشبع بروح الحداثة يفرض علينا ألا تقتصر جهودنا على الأخذ من غيرنا، بل لا بد لنا من توجيه العناية إلى المشاركة في تقدم العلوم مشاركة إيجابية، من طريق تنمية البحث، وتوفير ما نحن في حاجة إليه من مؤسساته. والبحث العلمي أيضاً يخضع لأخلاقيات وآداب لا بد من مراعاتها، لكيلا ينقلب العلم إلى أداة للإفساد والتخريب.

حقيقة الأصالة

إن التأمل في هذه الشروط يفضي بنا إلى التطرق لمسألة الأصالة التي كثيرا ما ترد عند بعض الدارسين وأهل الفكر مقابلة للحداثة، مقابلة النقيض للنقيض. وليس الأمر في الحقيقة كذلك، فهما عنصران مترابطان يكمل أحدهما الآخر. فالأصالة بمثابة الحصن المنيع الذي يحمي الجماعة البشرية من الغارات المباغتة المدمِّرة، ويقوي ثقتها بنفسها لتكون أقدر على التجديد وأكثر سداداً في تقبل التغيّرات الضرورية التي يقتضيها كل عصر. فالحداثة لا تنشأ من فراغ بل تبنى على أسس من القيم الخلقية والفكرية التي لا يكتمل بناء الشعوب والحضارات من دونها.

ولا بد - في هذا الصدد - أن نفرق بين التراث والأصالة. فالتراث كمٌّ محسوس يشمل الموروث من المعارف والعادات والمعالم الفنية والأثرية وما شابه ذلك من المخلّفات المنقولة عن السلف جيلاً بعد جيل. والتراث بهذا المعنى فيه ما يبقى نموذجا يحتذى، أو حافزاً إلى التجديد ومواصلة السير إلى الأمام، وفيه ما يَصْلُحُ للعبرة والاعتبار أو لإمتاع البصر والقلب، فَيُحافظ عليه ويصان احتراماً للتاريخ وشحذا لذاكرة الجماعة.

أما الأصالة فهي صفة نوعية تشمل كل شيء حر أصيل نافع مما لا يجوز التفريط فيه ولا التخلي عنه. إن الأصالة هي خلاصة التجربة الإنسانية الواعية، بل هي جوهر الحضارة وعنوان الوجدان المشترك، وهي المنطلق الصحيح نحو الحداثة الحقيقية والإيجابية. فالأصالة بمثابة التربة الصالحة الخصبة، والحداثة بمثابة المجهود الإنساني المبذول في خدمتها وتعهدها بالعزق والبذر والريّ.

نقد الحداثة

هذا عنوان كتاب صدر في فرنسا في أواخر عام ١٩٩٢م استهلّه مؤلفه «ألان تورين» بسؤال عن معنى الحداثة التي تتبوأ - كما قال - : «مكان الصدارة في أفكارنا وأعمالنا منذ أكثر من ثلاثة قرون، وهي اليوم محل ارتياب أو رفض أو مطالبة بتعريف جديد»(٨). وفي معرض الجواب عن هذا السؤال دخل المؤلف في متاهات فكرية ليس هذا محل الخوض فيها، ونكتفي بإيراد بعض العناصر الواردة في تقديم الكتاب والمُعْربة عن اتجاهه العام. يقول المؤلف: «إن فكرة الحداثة في مفهومها الأكثر طموحا كانت تعني أن قيمة الإنسان تتجلى فيما يعمل، وهذا يستوجب قيام تطابق متين بين إنتاج قويت فاعليته بفضل العلم أو التقنية (التكنولوجيا) أو الإدارة، وبين تنظيم المجتمع من طريق القانون، ومعيشة الأفراد التي تحركها المنفعة، فضلا عن إرادة التخلص من القيود كلها. فعلى أي أساس يقوم هذا التطابق الذي يربط بين المعرفة العلمية والمجتمع المُنظَّم والأفراد الأحرار، إذا لم يكن قائماً على انتصار العقل؟ إن العقل وحده هو الذي يتيح التطابق بين العمل الإنساني ونظام العالم. وهو ما كانت تبحث عنه طائفة من التيارات الفكرية الدينية التي شلّ التعصب حركتها»(٩).

ويرى المؤلف - فيما يراه - أنه لا بد من إعادة بناء الحداثة بالرجوع أولاً إلى أصولها(١٠). وكأنه يعني بالأصول: التيارات الفكرية التي انطلقت من عصر النهضة في أوروبا، وأفضت إلى الثورة العلمية وما نتج عنها.

وقد أشرت إلى الكتاب لا لمتابعة السير مع مؤلفه إلى الغاية التي رسمها له، بل لأثير الانتباه إلى أن الحداثة الفوضوية - التي هي من مميزات هذا العصر - مشكلة تشغل بال المفكرين وتستأثر بنصيب من اهتمامهم. وتتمثل الحداثة الفوضوية في الإصرار على مجاراة تيارات مادية ونفعية، لا ضابط لها، ولا هدف، فهي إنما تثير الرغبة في الاستسلام، والحرص على التقليد الأعمى والمحاكاة الببغاوية دون مراعاة لمنطق التاريخ ولا لسنن التطور التي تسري أحكامها على الموجودات دون انقطاع.

وبعد، فإن الحقيقة واحدة مهما تعددت زوايا النظر إليها، والحقيقة صيغة من صيغ الحق، والحق دليل العدل، والعدل مقياس الخير، والخير رائد الحرية، والحرية زمامها العقل، ولا عقل من دون حكمة، فهي إذا انعدمت أو اختلت اهتز الوضع الإنساني كله، وآلت الحضارة إلى التداعي، وحينئذ لا ينفع ماض، ولا يشفع حاضر، ولا ينجلي مستقبل، فالخيار إذن في يد الإنسان، في عقله وحكمته وبعد نظره، فإما حداثة رشيدة وإما تخبط في ظلام لا نهاية له.

الهوامش

١) لافوازييه Lavoisier عالم كيماوي فرنسي، (١٧٤٣-١٧٩٤م). والنظرية التي أشرنا إليها مفصلة في كتابه: Traité Elémentaire de Chimie.

٢) انظر «لسان العرب» لابن منظور.

٣) «الهوامل والشوامل»، تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر، ص ١٢٥،القاهرة، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م).

٤) «التطور الخلاق»، تأليف هنري برجسون Bergson، ترجمه د. جميل صليبا، ص ٢٠، (بيروت ١٩٨١م).

٥) كارل بوبر (Karl Popper)، «بؤس الإيديولوجيا»، ترجمة عبدالحميد صبرة ص١٥٩، دار الساقي ، بيروت ١٩٩٢م.

٦) Frossard, André, l'homme en questions, stock, (Paris 1993) p.75.

٧) Lalande, A. - "Vocabulaire technique et critique de la philosophie" P. 640 - PUF (Paris 1980).

٨) Touraine, Alain - "Critique de la modernité" P. 11 - Fayard (Paris 1992).

٩) المصدر السابق، ص ١١.

١٠) المصدر السابق، ص ١١.

الضحك حتى الموت
أو: من رسائل مثقف سعودي (٢)

يوسف الشاروني

«هذه هي الحلقة الثانية من موضوع فريد في أدبنا العربي الحديث، إذ يروي من خلال رسائل مثقف سعودي هو المرحوم الأستاذ سعيد سليمان كردي تلك الصداقة الأدبية الحميمة التي ربطت بينه وبين أديب مصري هو الأستاذ يوسف الشاروني الذي يواصل في هذه الحلقة رواية قصة تلك العلاقة».

تعددت بعد ذلك لقاءاتنا في القاهرة كلما جاءها في مهمة رسميّة أو مستشفيًا أو سائحًا بعد إحالته إلى المعاش. أما خطاباته فقد أخذت ترتفع كومتها على مرِّ السنوات.

«أخي الكريم:

لا شك أن سؤالا يدور بذهنكم: يا تُرى ماذا فعلْت ببطاقة الدعوة. أذهبت للحفل، ورأيت المسرحية والمسرح، وشاهدت المتفرجين، وتعرفت على بعضهم وبخاصة الروائيين والقصاصين، وما تعليقك على موضوع المسرحية؟

لا، لم أذهب. حدث ما لم يكن في الحسبان «لا» تختلف عن القصة الطويلة التي تُنشر في جريدة أخبار اليوم. بطل القصة «لا» المصرية مظلوم كُتبَ عليه الموت وهو لا يزال حيًا بزنزانة السجن بها؛ ففقد بذلك أمله.. حبه.. وعمله.

أما «لا» السعودية فبطلها ظالم لنفسه بشدة حرصه وتمسكه حتى فقد الكنز. وإليك الحدوتة:

اتصلتُ هاتفيا باستعلامات الفندق ليبعث بطاقة الدعوة إلى الحجرة رقم «٢٢٧» خوفًا من أن تمتد لها يد تحرمني متعة السهرة والمشاهدة. وثوان جاءت البطاقة تسعى على عجل، فوضعتها بين دفتي كتاب: قصصنا الشعبي للدكتورة نبيلة إبراهيم.

في ضحى يوم ٨ ديسمبر عام ١٩٧٤ م - وهو ما أسميه يوم النسيان - تأكدت من وجود البطاقة بموضعها واطمأننت عليها. لو كان لها كتف لأحسّت بربتي وحُنوّي عليها. وحين انتويت الخروج أخذت البطاقة وهي لا تزال نائمة بين دفتيْ الكتاب، لم أشأ إيقاظها ووضعتها بجيب السترة خوفًا من تكسُّر «غشاها» أو إصابتها بطيّات وانثناءات فيُكسر لها ضلع أو تُفك رقبة.

«اتلطعت» على الرصيف نصف ساعة في انتظار سيارة أجرة تنقلني الزمالك حيث مبنى السفارة.. أخيرًا جاء تاكسي يتهادى ليفرغ حمولة بشرية أو قل أعواد أبنوس تتحرك: أربع قوارير كوكاكولا يتقصعن، لَسْنَ عربا من السودان، الأصل من أفريقيا، والكلام من فرنسا.

«انجعصت» بالسيارة، أدار سائقها المحرك ولوى مفتاح العداد، وارتجت السيارة كأنها عربة «كارو» لها صراخ وأنين. وحين استويت قاعدًا قلت للسائق: الزمالك يا أسطى، شارع محمد الكامل.

وعندها فتح السائق حوارًا اكتشف معه بالسليقة أو بحكم العادة أني ضيف بالقاهرة:

- من فين سيادتك؟
- من بلاد عربية.
- أندونيسيا أو الهند؟
- ليست بلادًا عربية، لا هما مني ولا أنا منهما.
- من الكويت؟
- جارة عزيزة لنا.
- من الإمارات العربية؟
- خير جيرة وخير جيران.

- من البحرين؟
- شعب كريم بيننا وبينه بحر.
- بالله من أي بلد عـربي أنت؟ احـتـار دليلي.
- من بلد يتحرك له قلبك، يهفو من أجله وجدانك، تتجه إليه خمس مرات يوميًا إجباريًا، وآلاف المرات إن أحببت.
استيقظ السائق من غفوته الفكرية، انتفض كيانه قائلا:
- الآن فهمت، من السعودية أنت.
في ثوان أمضيت مهمتي بالسفارة وعدت إلى الفندق. كان الوقت ظهرًا يتشعبط عقربا الساعة برقم اثني عشر.
في المساء من يوم النسيان، وفي الساعة السابعة مساء بالضبط تهيأت للخروج. «زودّت» في الأناقة، ارتديت أحسن ما معي، سهرة كحلية كأني ذاهب لحفل عرس لا لدعوة مسرح.
وقتها بحثت عن بطاقة الدعوة، لم أعثر عليها. أدركت ضياعها مع الكتاب الذي كانت به. لا أعلم أنسيتها بالسفارة أو التاكسي الذي أعادني الى الفندق. الله أعلم. البحث عنها - وحتى في حالة العثور عليها - سيأخذ وقتًا طويلاً يفوّت موعد الحفل «خيرها في غيرها».
لتسمح لي باستعارة عبارة واحدة من بيدبا الفيلسوف لدبشليم الملك من قصه «كليلة ودمنة» حين الانتقال من حدث إلى حدث، ومن قصة لأخرى: هذا ما كان من أمر البطاقة، أما ما كان من أمري فاستمع إليه:
غادرت الفندق بهيئتي التي أنا فيها دون أن يكون لي اتجاه معيّن، ضاع من قدمي الطريق. لم أحس بنفسي إلا داخلا إلى مكتبة بشارع عماد الدين تمتلىء أرففها بروايات وقصص مقروءة، الكثير منها ممزق، والقليل هو الصالح، يباع بقروش زهيدة أقل من قيمتها المسطورة على غلافها. بقايا من سور الأزبكية التليد.
بالتقليب في المجموعات القصصية وفرفرتها أطلت برأسها مجموعتكم «حلاوة الروح» المنشورة بالعدد ٤٥ لشهر ديسمبر عام ١٩٧١ م في «كتاب اليوم». عادت روحي بعد هروبها، عدت للفندق، عشت وشخصيات القصص فكان أول ما فعلت أن حضرت مأتم المرحوم عبد الغني مسعود، وواسيت محمد مظلوم لمَا سُرق منه، ولعبت في فرح صبياني مع موظفي الشركة في قصة «اللعبة»، وأتممت السهرة مع زينات «بس» على الورق.
صرعني النوم فأُسدل ستار على ماحدث. تسقطت أخبار المسرحية، علمت ممّن حضرها وشاهدها أنها جيدة معنى ومبنى.
لولا ضياع البطاقة لما كانت هذه الرسالة الطويلة. ولك مني ألف سلام».
« بعد تقديم فروض الصداقة وسننها ونوافلها..
أنا لواء لكن من نوع آخر، أخفق وأرفرف خفقانًا ورفرفة مختلفة الأداء درجة وشدة. أنا طالب أبدي، ليس له مرحلة معينة، ومنهج مقنن، واستراحة بين الحصص، ليس له أرقام تُرصد، وجداول تُعد، ونتائج تبثها إذاعة وصحافة. أنا الناظر والأستاذ والمراقب وعم متولي البواب.
عاشق كتاب، مغرم صبابة بالحرف، ساهر بالليل وأطراف النهار. أما وسطه فيخفف لهب العشق إذ أسعى خلف رزق أسدّ به الرمق، ولإطعام طير زغب الحواصل لا ماء ولا شجر.
... أراوح في مكاني كجندي مستجد. يراني البعيد يظنني ماشيا، يدرك القريب حقيقة الأمر. واقف لا أريم، أرفع قدما، أنزل أخرى، كخذروف يدور ويلفّ في نقطة واحدة. أما منّي وعنّي!
انفض ما علق بي من غبار الزمن، حياتي متاهات، شبابي صحراء، طفولتي قاسية، رضعت الحنظل، شربت المر. حُرمْتُ حنان الأم وعطف الأب، وفقدت صداقة الأخ. جئت وحيدا، انتزع القدر مني والديّ بعنف وأنا لا أزال لحمًا طريا ملفوفا في خرق، مشدودا بقماط.

أنا جرح يمشي على قدميه
وخيولي قد هدها الإعياء
وأنا الحزن من زمان صديقي
وقليل في عصرنا الأصدقاء
مضغ الموج مركبي، وجبيني
ثقبته العواصف الهوجاء

صرير الأقلام موسيقى يرتاح لها سمعي وما تخطه وترسمه يستقر عنده بصري، ما تقذفه المطابع غذائي. بهذه الأحدوثة لا جديد تحت الشمس، ولا فوق القمر».
أخوك...
« تحية شوق، وحب، وإخلاص
الأول يزيد، الثاني بعمق، الأخير يثبّت فاعلية أخويه السابقين.
أبصبص في الصحافة العربية عامة، أبحلق في الصحف المصرية خاصة، تزداد بحلقتي في صحيفتي الأهرام والأخبار. في الصفحة التاسعة من جريدة الأهرام الصادرة يوم الاثنين ٦ ديسمبر عام ١٩٧٦ م لفت نظري مقالكم المنشور تحت عنوان «شكوى الموظف الفصيح» - ومن عندي: اللي من البيضة يصيح - والتوقيع: ضيق الخلق والمثانة زيد ابن عبيد.
كلنا في الهم شرق، هذا الهم نسبيا يكثر ويقل. عدد كبير من المواطنين كتبوا عن مشكلات عاشوها، تأذوا منها، خافوا إرسالها لمن وُجهت لهم، فكانت تنفيسا لما في صدورهم من غل، وليست تنفيذا لما دار

الضحك حتى الموت

أو: من رسائل مثقف سعودي (٢)

في رؤوسهم من أفكار.
سبق أن وقعت في تجربة قاسية مريرة.
ابتسم
اضحك
حذار إخبار أحد.

في قريب الزمان، وحال العصر والأوان، كان يا ما كان:

في بلد ما ويوم عطلة، نزلت للسوق أتجول هنا وهناك، تشدني بعض المعارض، وتوقفني واجهات المحلات، لمشاهدة ما بداخلها ما لا عين رأت ولا يد لمست،آخر ما وصلت إليه يد الإنسان في القرن العشرين، في باريس ولندن وخان الخليلي من فن وإبداع. ينتهي الأمر غالبا بشراء ما حلا وغلا من تلك المعروضات.

وبينما أنا سارح في تجوالي، أحسست بكركبة في بطني والتواء بأمعائي وصراخ بمعدتي، كأنها حرب داخلية قامت استُخدمت فيها الأسلحة البيضاء.

قلت عاصفة لا تلبث أن تهدأ، لكن .. اشتدت العاصفة، تراكمت السحب، أرعد الجو،... أسرعت الخطى بحثا عن موضع مختص، ضاع من قدمي الطريق، والمنزل بعيد.

عقربا الساعة تصلبا، الثانية دقيقة، والدقيقة ساعة، والساعة يوم. كل المخاوف ثقبت رأسي... فجأة دون إنذار صدمت عيني بقالة كبيرة تربطني وصاحبها صداقة عابرة. دخلت البقالة مسرعًا، بل مستنجدًا متسائلاً: أيوجد بالقرب مكان عام؟ جاء الجواب سريعا في كلمة واحدة: لا.

سقط قلبي، بينما تابع صاحب البقالة قوله: لدينا بالمحل مطلبك، تفضل.

ما هي إلا دقائق حتى خرجت رافع الرأس، منتصب القامة، مشرق المحيا، عبارات الشكر لصاحب المحل تسبقني.

المضحك في الأمر أنني كلما دعتني الظروف إلى المرور من ذلك الشارع أقابل صديقي البقال فيرحب بي ويرد تحيتي بأحسن منها، ثم يذكرني بما مضى حين يردف ترحيبه بقوله: أية خدمة؟ يحمرّ خداي خجلا، أتذكر اليوم المشؤوم، أفرّ مسرعا عائدًا للبيت.

أو لست بعد كل هذا قريبا لزيد بن عبيد بالرغم من اختلاف النسب، وتلون النّحل؟». « تحية إجلال.

للمرة الثانية أفتح عيني لمقالكم المنشور في الأهرام الصفحة التاسعة من العدد الصادر في ٢٣ يناير ١٩٧٧ م عن مذكرات زيد بن عبيد، الموظف التعبان الغلبان الكحيان الذي انتقل إلى رحمة ربه، وترك خلفه مذكرات تقاعس عن إرسالها. أخفاها في درج مكتبه، عشش عليها العنكبوت فبنى قصورًا، وعلَتها طبقة غبار ترسب بعضه فوق بعض ليكوّن جبلاً رسوبيًا.

زيد بن عبيد كبير عقل.. واسع أفق.. بعيد نظر.. يريد إصلاح ما يُفسد الدهر. إلا أنه ضعيف قلب، مصاب بعقدة خوف. لم يجرؤ أن يبعث بمذكراته إلى المختص الذي كُتبَتْ له. في موقفه هذا أضاع وقتًا، وورقًا، وحبرًا. جئت أنت فعرضتها وأوصلتها لمن هي لهم بصوت رقيق.

لا أكتمك سرا إن قلت إني قريب الشبه بزيد بن عبيد، أجتمع وإياه في جد ضاع اسمه مني. المثل يقول: يخلق من الشّبه أربعين. أنا واحد، وتسعة وثلاثون منتشرون على وجه البسيطة. كثيرا ما كتبت مذكرات، لا ألبث أن أمزقها تحسبا من أن تثير عاصفة في فنجان، أو تكون النتيجة قبض ريح وحصاد هشيم. ويأتي تحرير المذكرات والسهر لكتابتها، إهدارَ وقت وهروبَ نوم، وقلقًا مستمرا.

وما يدريك، لعلي في وقت ما - والله أعلم - أصعد للسماء روحا، فيأتي شاروني جديد - لك العمر الطويل - يَدسُّ عينيه ويحشر أنفه فيما تركت من مذكرات، وخلفت من خطابات، فينشرها.

هذا ما فتح الله به عليّ من ثرثرة جاءت من القلب».

« تحية إخلاص وودٍّ

... عملت بديوان المظالم (أربع عشرة سنة) خَلَتْ كمندوب من وزارة الداخلية في لجنة التحقيق في قضايا الرشوة والتزييف والتزوير. أمضيت بالوظيفة فترة طويلة، أعيش في حدود راتبي.

أخيرًا تمت إحالتي للتقاعد. لم تكن هذه الإحالة لبلوغ سن المعاش فبيني وبين هذه السّنّ خطوات، لكنه إجراء تقتضيه نظم عسكرية.

عملي الجديد سيكون قراءة متنوعة في علوم الدين وفي كتب التراث وفي القصة، ثم خربشة قلمية في بعض الأحيان. الحضور للمكتبة الساعة التاسعة صباحًا والخروج منها الثانية والنصف بعد الظهر، ساعات الدوام الرسمية. العودة لها ثانية السادسة مساء.

مكتبتي بها اكتفاء ذاتي، تقع بالجنوب الغربي من الفيلا، زوّدتها أخيرا بثلاجة صغيرة وسرير وبرفان ليحجب السرير، وكنكة لعمل القهوة، وإبريق شاي وسخان كهربائي ومكيف لتلطيف الجو بالإضافة إلى كمية سكارين. الجميل في الأمر إحساسي كعصفور انطلق من قفصه بعد طول احتباس، وحقّ له التنقل والتجول حيثما أراد وأنّى شاء.

الأم أحق بالزيارة والولاء والحب والإخلاص. مصر أم الدنيا. كلمة حلوة وَعَيْناها صغارا، استقرت في قلوبنا شبابا، وصلت عقولنا كبارًا. أول خميلة أحطّ بها مصر. العطلة الكبيرة ستكون لمصر. فإلى لقاء».

(للرسائل بقية)

الرّوَايَة

بين المضمون وتعدّد الرّؤية
الحدث الروائي ومفهوم رواية الهجاء

عبد القادر عنداني

الرواية، كفنّ أدبيّ، جديدة على الأدب العربي، بل على الآداب العالمية ذاتها إذا ما قِيستْ بالشعر والمسرح والحكاية، وكأن الإنسان أحسَّ بالحاجة الماسة للتعبير عن الحياة تعبيرًا متكاملاً فاتجه إلى الرواية يبني لبناتها لبنة لبنة؛ حتى تبلورت في أشكالها المعروفة اليوم، ولن يكون للرواية شكل واحد، ولن تخضع للمعايير الصارمة والقواعد الحازمة، بل ستظل مرنة، لتكون أكثر استيعابًا للأحداث الإنسانية، وسيظل الإنسان المبدع يطوّر في أساليبها وتقنياتها لتكون ملائمة ومنسجمة مع تغيرات الحياة ومستجداتها، فالرواية هي الفن الأكثر قدرة على التعبير عن واقع الحياة.

الرواية والمضمون

إنَّ ظهور الرواية ـ بشكلها المعروف الآن ـ يرتبط بالرأسمالية، فالرواية ملحمة المجتمع البرجوازي، كما أشار إلى ذلك فلدنغ وهيجل ولوكاتش وجولدمان. وأكثر الروايات تقدم علاقة ورؤية جماعية واجتماعية، والروائي الانجليزي فلدنغ هو أول من رأى ارتباط الرواية بالملحمة أي بالماضي مع ملاحظة نثرية الرواية. وارتباط لغة الرواية بالنثر ـ أي عمليًا بعامة الشعب ـ هو ما جعل باختين يقرن ظهور الرواية بظهور دور الشعب على مسرح التاريخ(١).

ولكنْ، كيف يكتب الروائي روايته؟!! هل يحدّد إحداثيات التاريخ ثم ينطلق؟! أو يعتمد على الخيال ويطلق الواقع ثم يبدأ؟! ثم ما مواصفات العمل الروائي والتقنيات التي يجب أن يتبعها وهل هناك أسس تقعيدية لا غنى عنها ولا يمكن أن يحيد عنها الروائي؟!.

يقول بن جونسون: إن التعاريف مربكة، ولكننا لا نسعى إلى التعريف بقدر سعينا إلى المفهوم ولو كان وصفيًا، لأن الوصول إلى تعريف له حدود بعيد في الأصل من مفهوم الرواية، ولهذا قال فرانسوا مورياك: على كل كاتب روائي أن يبتكر التكنيك الفني الخاص به، تلك هي حقيقة المسألة، فكل رواية جديرة بهذه التسمية، تشبه كوكبًا كبيرًا أو صغيرًا، له قوانينه الخاصة به وكائناته الحية التي تعيش فيه، وعلى هذا، فإن التكنيك الفني عند فولكنر هو أحسن تكنيك يمكن أن يُرسم به عالم فولكنر، وكابوس ـ كافكا ـ أنتج أساطيره الخاصة التي جعلت منه شيئًا قابلاً للفهم(٢).

والروائي يقدم الزمن في حركته وفي ندوب هذه الحركة على أجساد البشر وفي نفوسهم وفي نموّ البشر وتطورهم خلال هذه الحركة، إنها تَقَدُّم التغيير الذي يواصل الإنسان به حياته، وبذلك تضع الرواية يدها على المفصل الذي يصل ما هو عام بما هو زمني، وما هو مجرّد بما هو شخصي، وتضع يدها على آلية حركة الذهاب والإياب بين الخاص والعام، وتقدم الرواية الزمان والمكان مجردًا

الرواية

بين المضمون وتعدد الرؤية

مشخصًا في علاقة جدلية(٣).

أما عندما تقتصر الرواية على التشخيص دون أن تستطيع الارتفاع إلى التعميم والتجريد، فإنها تتحول إلى مجرد تسجيل، وتقع في السطحية لأنها أخفقت في تقديم مفهوم عن العالم أو رؤية تستطيع أن تخترق زمانها ومكانها؛ لتصل إلى الماضي والمستقبل(٤).

تعدّد الرؤية الروائية

وإذا كان كل عمل أدبي روائي غير مستقل عن السرد الروائي الذي يبني العمل الروائي، فينبغي أن نلاحظ زمنية البناء والسرد على المستويين المتميزين اللذين يحددان كلا من زمن السرد الروائي وزمن القصة المتخيلة(٥) فالقصة المتخيلة تعكس السرد الروائي الذي يولّدها، فهي لا تعكس شيئًا خارجيًا، وإنما تجهد في أن تكون صورةً حيةً للفن الكتابي ذاته، فأشياء العالم الكتابي وحوادثه وانفعالاته، هي أشياء قد ولّدتها جميعًا آليات الكتابة المبدعة، وهي مفهومة لدى القراءة على أكمل وجه بالرغم من الفرق الأساسي الذي يفصلها عن العالم اليومي إلى مفهوميتها أي قابليتها لأن تُفهم أو تُعقل على أنها شيء أدبي(٦). إنّ وظيفة الفن، هي أنْ يجدد إدراكنا، لنكفّ عن رؤية ما تعوّدنا أن نراه، فالكاتب يهزّ المشهد المألوف ويفعل ما يشبه السحر، ولهذا نرى فيه معنى جديدًا(٧) ومجال الروائي هو عالم الأهواء الإنسانية، وهذا يعني عالم الخطيئة بالضرورة مع كل العوالم الإنسانية الأخرى(٨).

إنّ الرواية تقدم علاقة اجتماعية متشابكة، وذلك هو مستواها الحكائي، لكنها تصبح فنًا جماليًا، ورؤية للعالم عندما تصل إلى بعدها الثاني، أي عندما تصل إلى مستوى التعميم، وتقدم رؤية عامة للوجود الإنساني والاجتماعي، عندها تصبح الرواية مثل العلم، أي تصبح حاملة للمعرفة، بل مرشداً يحمل الميزة الكبرى لكل علم ذي منهج في البحث والمعرفة(٩).

إن الرواية هي عبارة عن رؤية مجموعة بشرية، وأحيانًا رؤية مرحلة اجتماعية كاملة، وبالتالي، فالروائي حامل لهذا القول الجماعي، وليس مخترعه، كما في رواية الحرب والسلام لتولستوي وثلاثية نجيب محفوظ. والإيجابية في الشخصية الروائية، تعني امتلاك القيم التي لا يمكن للحياة والإنسان أن يستمرا في حياة عادلة دونها، وهذا يعني الإيمان بجدوى حياة البشر وتعاونهم وسعيهم نحو الحياة الكريمة والعدالة، وقد قال هرقليط: لقد كان هوميروس على خطأ حين قال: ليت الصراع يختفي بين الآلهة والناس، إذ إنه لم يدرك أنه كان يدعو بذلك لدمار العالم، فلو استُجيب لدعائه لفنيت الأشياء جميعًا، فالصراع سر البقاء، فكل واقع هو نقصان يحلم بالكمال، والرواية عندما تسجل هذه الوقائع الناقصة، تسجل أحلام التجاوز، وفي عملية رصد وتمثل أحلام التجاوز يُعاد تسجيل الواقع الذي لا يكتمل إلا على شكل انكسار الحلم(١٠).

الرواية والحدث

والرواية تحتاج إلى زمن لتستوعب الحدث، وهي مرتبطة بالواقع، وتتحدث غالبًا عن التحولات في تاريخها ومنحاها، وكل رواية عظيمة تقدم حالة أو مجتمعًا كاملاً أو وصفًا اجتماعيًا واضحًا وناجزاً، ونمط حياة اجتماعي واقتصادي كاملاً، وقد تكون بعض الروايات تأملات في الوجود والتاريخ والزمن كروايات ديستويفسكي مثلاً، يقول نجيب محفوظ: ليس هناك حدث فني بل حدث سياسي في ثوب فني(١١).

فانطلاق الرواية في شبكة العلاقات الاجتماعية بعموميتها وتشابكاتها وتناقضاتها، وتقديم رؤية كونية عامة مستخلصة من معاينة شبكة العلاقات الواقعية هذه، يجعل الرواية قادرة على تقديم المعرفة، معرفة الواقع الاجتماعي والإنساني، ومعرفة النفس البشرية، ومعرفة الواقع السياسي على أنه انعكاسات فردية واجتماعية واقتصادية، فرواية كوخ العم توم لبنشرستود، ورواية لا تقتل عصفوراً لهاربر لي، والنفوس الميتة لغوغول؛ تجعلنا نعرف الواقع الاجتماعي والاقتصادي والإنساني ومجمل العلاقات السياسية معرفة جيدة، وقد فضحت هذه الروايات في وقتها الواقع القائم، وأثارت قضايا اجتماعية مهمة، بل أدت إلى معارك سياسية وتغييرات جذرية، ذلك أن ضرورة الرواية قد نشأت من مشكلة المحظور لأكثر من سبب، إنها ليست مجرد حاجة إلى التخيل، بل كذلك حلاً لمشكلة القيود الموضوعة على تصوير الآخرين(١٢).

إن جوستاف فلوبير صاحب رواية «مدام بوفاري» كان يطالب الروائي أن

يكتب عن الحياة المادية كما يكتب التاريخ والملاحم. وكان هنري جيمس يقول عن الرواية: إنها انطباع شخصي مباشر عن الحياة!! ومهمة الروائي، كما حددها كونراد هي أن يجعلنا نرى بوضوح كل شيء من حولنا، ولا شيء أكثر من ذلك، فإذا نجح الروائي في مهمته هذه، فإننا سنجد الباقي، سنجد كل ما نريد، وسنجد التشجيع والمواساة والخوف والفتنة، بل قد نجد زيادة على ذلك تلك النظرة الخاطفة للحقيقة، وهي ما نسينا أن نطلبه في زحمة الحياة!!

إن الروائي في كل ما يفعل يحاول أن يصنع الحلم، ويؤكد أن الحلم ليس وهمًا، إنه الأمل والهدف مرسومًا على شكل أمنية، وإذا استعان الروائي بالماضي، فإن ذلك نتيجة انكسار الأحلام وعندها ينكص الحالم نحو الماضي، فالنكوص إلى الماضي آلية دفاع نفسية تشبه الحلم تمامًا، إنها هروب إلى الماضي بعد إخفاق الهروب إلى المستقبل، كلاهما رغبة في الخلاص من حاضر يمضي في التجاوز، كلاهما ملجأ للشخصية الهاربة.

والكاتب من أجل أن يكون وفيًا لفنه لا بد أن يكون وفيًا لعصره، وتعدد أشكال ومضامين الرواية يكون بقدر صدق الروائي لفنه وعصره.

رواية الهجاء

رواية المعلم ومرجريتا للكاتب السوفييتي بولفاكوف، هي رواية يمكن أن نُطلق عليها اسم رواية الهجاء، لأنها تجسّد الكابوس المرعب، وعَبْرَ هذا الكابوس، قدّم الروائي رؤيته الفنية لفترة الثلاثينيات في الاتحاد السوفييتي، فترة الملاحقات والإعدامات والتطهيرات والمحاكمات.

إن التقنية في هذه الرواية، أصبحت قولاً روائيًا يشي بموقف الكاتب، والتخيل أصبح واقعًا دون الحاجة إلى السيرة الشخصية المحددة، سواء أكانت سيرة الكاتب أم سيرة وسطه المحيط به.

لقد أصبحت التقنية في رواية المعلم ومرجريتا رؤية تَطَابق بين الواقع الفني، والواقع كما هو في جوهره.

فمن هو بولفاكوف؟ ولد ميخائيل بولفاكوف عام ١٨٩١ م، وتخرج طبيبًا في جامعة كييف ليعمل بعد تخرجه عدة



فرانز كافكا

سنوات طبيبًا في الريف، وفي عام ١٩٢١م انتقل إلى موسكو، بعد أن شعر أن مصيره هو الكتابة لا الطب. وقد اشتهر بولفاكوف في حياته بوصفه كاتبًا مسرحيًا، ومن مسرحياته المعروفة : أيام آل توربين، والهروب ، وحياة السيد موليير، والأيام الأخيرة، وهي عن الشاعر الروسي بوشكين. كما نشر بولفاكوف العديد من القصص والروايات، ومن هذه الروايات: مذكرات طبيب شاب، والحرس الأبيض. أما روايته المعلم ومرجريتا، فقد بدأها عام ١٩٢٨م، وتوفي وهو يعمل فيها، وكانت

وفاته في ١٠/٣/١٩٤٠م وعلى مدى هذه السنوات الاثنتي عشرة، أعاد كتابتها ثماني مرات، بل إنه، عام ١٩٣٠م، أحرقها ولم يَعُدّ إليها إلا بين عامي ١٩٣٢ - ١٩٣٣م، وظلت الرواية مخطوطة في أرشيف صاحبها لم تر النور إلا عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧م حين بدأت تظهر فصولاً في المجلة الأدبية «موسكوفا».

لقد جسّد بولفاكوف موهبته الهجائية أعمق تجسيد في روايته - المعلم ومرجريتا - حيث تسود الرواية حرية الخيال المبدع الموفقة وصرامة الفكرة التركيبية والمعمارية، فهناك - الشيطان - بطل الرواية، الذي يقيم حفلته الراقصة الكبرى، بينما المعلِّم الملهم يَكتبُ روايته الخالدة، وهناك حاكم اليهودية - رمز الحاكم المتسلّط - يسوق يشوع - رمز الشعب - إلى الموت بينما مواطنون أرضيون بكل معنى الكلمة ممن يغص بهم شارعا بادو فايا وبرونايا في العقدين الثاني والثالث من هذا القرن، يسعون ويتملقون وينتهزون ويخونون. والضحك والحزن، والفرح والألم تمتزج معًا كما في الحياة، وبدرجة عالية من التركيز لا تبلغها الا الحكاية الخرافية أو القصيدة!!

ورواية المعلم ومرجريتا هي إلى ذلك قصيدة غنائية فلسفية نثرية عن الحب والواجب الأخلاقي، ولا إنسانية الشر، وعن الإبداع الحقيقي الذي هو دائمًا تجاوز لما هو غير إنساني ونزوع إلى النور والخير.

وقد تكونت فكرة الرواية ونمت متغلغلة بجذورها في طبقات جديدة من تربة إبداع بولفاكوف الفكري، وقد قال بولفاكوف في رسالة له عام ١٩٣٨م، أي قبل عامين من وفاته إلى زوجته

الرواية

بين المضمون وتعدد الرؤية

إيليناسيرغييفنا بولفاكوفا متنبئًا: إنها آخر رواية قبل الرحيل.

إن أحداث رواية المعلم ومرجريتا كلها، تبدأ في الربيع وفي أصيل يوم لم تشهد موسكو لحرّه مثيلاً في بتريرشبي برودي مع ظهور الشيطان وحاشيته في العاصمة ذات الأحجار البيض، وكانت قصة الجولة الفنية التي استغرقت أربعة أيام لتلك القوة «التي لا تريد دائمًا إلا الشر، فلا تفعل دائمًا سوى الخير» وهذه هي نقطة استناد الحدث في الرواية، وهي التي مكنته من التطور المتسارع في الزمان!!(١٤).

إن موضوع الشيطان - وهو أحد المواضيع المحببة إلى بولفاكوف - يؤدي في رواية المعلم ومرجريتا دورًا واقعيًا تمامًا، ويمكن اعتباره مثالاً باهرًا على كشف تناقضات الواقع الحي عن طريق الفانتازيا المغالية في سخريتها!!

إنّ فولند القوي والمالك لكل قوة تغيير، يَمرّ كالعاصفة فوق موسكو منزلاً العقاب بكل ما هو شائن وسافل، والماورائيات والغيبيات لا تتلاءم مع هذا السيد القوي، وإذا لم يكن لشخص مثل فولند من وجود، فمن الواجب اختلاقه!!

والتحول الخيالي للقضية، يُمكّن الكاتب من تمرير مجموعة كاملة من الشخوص ذوي النفوس القبيحة أمام أعيننا، ومن تعرية اللامنطقي واللاواقعي من الناحية الأخلاقية في الحياة نفسها، واللقاء المباغت بالقوة الشريرة يقلب ظاهر أمثال برليوز ولاتونسكي وميغل وألويزي وموغاريتش ونيكانور إيفانوفتش - وغيرهم على قفاهم.

وحفلة السحر الشيطاني التي يقدمها فولند ومساعدوه في مسرح العاصمة فاريتيبه يُعرّي بالمعنى الحرفي والمجازي المزيفين المتواجدين في الصالة، لكن أهداف الشيطان مختارة، فالضربات التي يوجهها ولكمات التعرية التي يسددها، هدفها القصد الأخلاقي. ففولند الذي هو أمير الظلام، لم يتعرّض لمن يعرف معنى الشرف ويعيش به ويتقدم، لكنه يتسلّل إلى النوع الثاني على الفور عندما يُتْرَك له ثقب صغير إلى من يتراجع ويسقط ويتوهم أنه اختبأ!! يتسلل إلى صاحب البوفيه وسمكه الطازج وقطعه الذهبية المخبوءة، وإلى البروفسور الذي نسي قليلاً قسم «أبوقراط»، وإلى الاختصاصي البارع جدًا في اكتشاف الأشياء القيمة!!

لقد استمد بولفاكوف صورة فولند الكلاسيكية من التقاليد الأدبية الفنية، من فاوست جوتة وغيره، لكنه أعاد تفسير هذه الصورة التي احتفظت ببعض صفاتها الأوبرالية واستطاع تطويعها!!

وليس الشيطان هو الذي يخيف المؤلف وأبطاله المُفَضَّلين، فقد لا يكون الشيطان موجودًا بالنسبة إلى بولفاكوف بالفعل، وإنما هناك إيمان آخر عميق يعيش في روايته، هو إيمانه بالإنسان التاريخي وبالقوانين الأخلاقية الثابتة، فالقانون الأخلاقي بالنسبة إلى بولفاكوف كما بالنسبة إلى كانط من قبله، الذي لم يكن ورود اسمه في الصفحات الأولى من الرواية أمرًا عارضًا، إن القانون الأخلاقي كامن داخل الانسان ويجب ألا يتوقف على الخوف الديني من القِصَاص الموعود!!

والمعلم الذي هو بطل رواية بولفاكوف الرئيس - الذي ألّف رواية عن المسيح وبيلاطس - بعيد هو الآخر من التديّن بالمعنى المسيحي الكنسي لهذه الكلمة، لقد كتب رواية ذات تعبيرية سيكولوجية ولدونة واقعية تكاد تكون ملموسة بالاستناد إلى مادة تاريخية. وتبدو هذه الرواية داخل الرواية، كأنما تُركِّز في بؤرتها التناقضات الأخلاقية الكونية التي يفترض في كل جيل وفي كل شخصية تفكرّ وتتألم أن تعمل على حلّها!! إن الروايتين المتداخلتين رواية المعلم والرواية عن المعلم، مرآتان متقابلتان، تبرز فيهما الانعكاسات والمتوازيات، فكل تجسيد فني يقرن بين الأسطورة والحياة الواقعية في حياة الإنسان. ومن بين شخوص الرواية، تستقر في الوعي بشكل خاص صورة بيلاطس البنطي حاكم اليهودية الخامس في بردته البيضاء ذات البطانة الحمراء، إن تاريخ جبنه وندمه، يقترب بقوته الفنية من أفضل الصفحات في تاريخ النشر العالمي!!(١٥).

إن رواية المعلم ومرجريتا عمل معقّد، وقد اتهم النقاد بولفاكوف بالذاتية المفرطة لنظرته إلى الواقع الذي عاصره، مما ترك أثره في فصول روايته الهجائية، ويكتب الناقد سيمونوف: «سرعان ما يتبين لأبناء الأجيال السابقة لدى قراءتهم «المعلم ومرجريتا» أن المجال الأساسي لملاحظات بولفاكوف الهجائية، كانت الأوساط الموسكوفية البرجوازية، بما فيها الأوساط

القريبة من الوسطين الأدبي والمسرحي في أواخر العشرينيات، وينبغي أن نضيف أننا لا نشعر بوجود موسكو أخرى في ذلك الوقت، ولا بمجال أوسع لملاحظات بولفاكوف في الرواية، وهذا أحد الأمثلة التي تبين محدودية نظرة الكاتب إلى عصره، إننا نتردد أحيانًا في التفوّه بكلمة محدودية النظرة، حين نتحدث عن كاتب ذي موهبة كبيرة، وعبثًا نتردد، فهذه - أي محدودية النظرة - تعكس واقعًا قائمًا، دون أن تقلل من شأن الموهبة، وتساعدنا على إدراك الموقع الفعلي للكاتب!!(١٦).

الألم والإبداع

نستطيع، وقد روى التاريخ الأدبي السوفياتي الطريق الحياتية الصعبة التي سلكها الكاتب، والظروف المريرة التي اكتنفت حياته، والموهبة العظيمة التي تألقت فيه، أن ندرك سرّ عظمة مؤلفاته، وسبب تلك المرارة وذاك الضحك الناقد اللذين صوّر بهما سلوكيات بعض معاصريه من الذين يعملون في مجال السياسة والأدب والفن، لكنّ ضحك بولفاكوف لا يرفض فحسب، بل يؤكد ما في السياسة النظيفة والخدمة المتفانية للفن من نبل، وهذا الذي وهب حياته القصيرة كلها كرامة وشرف!!

ونحسّ، ونحن نقرأ المعلم ومرجريتا كأن أطياف هوفمان وغوغول وديستويفسكي تهوّم غير بعيدة منا، وبأصداء أسطورة المفتش الأكبر تتردد في مشاهد الرواية، وتبدو موسيقى النثر الغوغولي إشارة غنائية إلى المأساة حين يندفع تيار الرواية إلى حده الأقصى «ما أشد حزن الأرض مساء، وما أحفل الضباب فوق المستنقعات بالأسرار، من تاه في هذا الضباب، ومن تألم كثيرًا قبل الموت، ومن طار فوق هذه الأرض وهو يحمل على كتفيه عبئًا لا قبل له به، لا بد أن يعرف هذا، وهذا يعرفه المتعب، فتراه يغادر ضباب الأرض ومستنقعاتها وأنهارها دون أسف، ويسلّم بقلب جذل إلى يدي الموت، وهو على يقين، أن الموت، والموت وحده يريح نفسه»(١٧).

وفي الرواية خطوط أخرى، تنتهي به إلى دانتي وغوته ولكن لا نشعر إلا ببولفاكوف، فهو وحده الذي يخاطبنا، بعد أن صهر في نفسه إنجازات سابقيه العظام الفكرية والأخلاقية.

إنّ الموهبة الحقيقية فذة وفريدة لا تتكرر أبدًا، وبقدر ما يكون نهل الموهوب الحقيقي من معين الثقافة الإنسانية ومن التقاليد الروحية بعمق وسعة، بقدر ما يقدم من إبداع متوجه إلى المستقبل. وكما نريد أن نراه في ذاتنا؛ تكون فرادته أكثر تميزًا وأصالة!!

لم يستطع المعلم أن ينتصر، ولو جعله بولفاكوف ينتصر لأخلّ بقوانين الحقيقة الفنية، وخان بذلك حسّ الواقعية، لكنْ، أهو التشاؤم حقًا ما يتردد في الصفحات الأخيرة من الرواية!! إن المعلم خلّف على الأرض تلميذًا سقطت الغشاوة عن عينيه، ومن يقرأ الرواية يبكي ويضحك، وقد توقظ الرواية في نفس قارئها قوى، كان يشك بوجودها فيه من قبل!!

«المخطوطات لا تحترق» هذا ما يقوله أحد أبطال الرواية، وبولفاكوف نفسه أحرق مخطوطة روايته، لكن هذا لم يخفف عنه عبئه. لقد استمرت الرواية تعيش في داخله، فقد كان المعلم يحفظها عن ظهر قلب، وقد أُعيد ترميم المخطوطة، ووصلت إلينا الرواية بعد موت كاتبها، وسرعان ما اكتسبت قراء في بلدان كثيرة.



جوجول

مصادر ومراجع الدراسة

١ - محمد كامل الخطيب ، انكسار الأحلام ، سيرة روائية ص ٢٧٠ ، وزارة الثقافة ، دمشق، ١٩٨٧م.

٢ - مجلة المجلة المصرية ، العدد ٦٧، ص ٦١، ١٩٦٢م ، القاهرة.

٣ - انكسار الأحلام ، ص ٩.

٤ - انكسار الأحلام ، ص ١٠.

٥ - جان ريكاردو ، قضايا الرواية الحديثة ، ترجمة صياح الجهيم ، ص ٢٤٩ ، وزارة الثقافة، دمشق ، ١٩٧٧ م.

٦ - قضايا الرواية ، ص ١٨٢.

٧ - أنابيس ين ، رواية المستقبل ، ترجمة : محمود منقذ الهاشمي ، ص ٣٧ ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٣ م.

٨ - جورج سالم ، دراسات في الأدب ، ص ١٦٧، منشورات دار الشرق، سورية - حلب، ١٩٧٠ م.

٩ - انكسار الأحلام ، ص ١٠.

١٠ - انكسار الاحلام ، ص ٢٣.

١١ - مجلة الهلال ، عدد فبراير ، شباط ١٩٧٠ م ، القاهرة.

١٢ - رواية المستقبل ، ص ٣٧.

١٣ - رواية المعلم ومرجريتا ، تأليف ميخائيل بولفاكوف ، ترجمة يوسف حلاق ، دمشق ، وزارة الثقافة ، ١٩٨٦م ، جزآن.

١٤ - ايفجيني سيدروف ، مقدمة الرواية ، ص ١٢.

١٥ - المقدمة، ص ١٥.

١٦ - المقدمة، ص ١٧.

١٧ - رواية المعلم ومرجريتا ، الجزء الثاني، ص ١٥٣.

دراسات في أدب الجزيرة العربية (٢)



د. عبد الله بن محمد أبو داهش

السيد عز الدين النعمي شاعر بيش، وقاضيها (١٠٣٢هـ - ...) يرثي بصره

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وبعد: فيجهل بعض مؤرخي الأدب العربي تاريخ عدد من مراكز الفكر والأدب بالجزيرة العربية، وبخاصة تلك المراكز المنسية المجهولة، إذ يصدفون عن ذكرها، ويغضّون الطرف عنها، وكأنها لم تكن شيئًا مذكورا، وقد ينصرف همُّ رجال منهم نحو ما في أيديهم من مصادر، أو يقومون بالبحث في نتاج مَنْ نالوا حظوة عند الدارسين، أو اشتهروا، واستطار ذكرهم، وهم بهذا الواقع العلمي غير المنصف يبخسون الناس حقوقهم، ويهملون ذكرهم.

لذا كان من الواجب العلمي على القادرين من الباحثين أن تتجه جهودهم العلمية شطر هذه المواطن الفكرية، وأن يرصدوا ما يستحسنونه من تراثها، وهم بعملهم هذا سيسهمون في بناء تاريخهم الأدبي بشيء من دراساتهم، وما يعكفون عليه من التحقيق، فذاك أزكى لعملهم العلمي، وأظهر لمادته ومعانيه، بل هو أكثر فائدة للناس.

ولعل مما يستحسن الوقوف عنده في هذه الدراسة المختصرة قصيدة القاضي السيد عز الدين بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن عيسى النعمي(١) أحد الشعراء المغمورين في القرن الحادي عشر الهجري، من شعراء المخلاف السليماني بتهامة، والتي أنشأها حين ذهب بصره، وخشي انقطاع معاشه سنة ١٠٨٢ هـ(٢) ١٦٧١م، وقد كان من قبل ذلك قاضيًا للحج(٣)، يقول عنه المحبيّ في معرض ترجمته له: «واستمر قاضي الحج من سنة سبع وستين وألف إلى سنة اثنتين وثمانين فعرض له عمى فعُزِل. وكان له على ذلك جائزة عظيمة، فكتب إلى الإمام، يستعطفه ويطلب منه أن يجري عليه ما كان له، قصيدةً مطلعها:

إليك يدًا ذا العرش من مُتَظَلِّمٍ ... رمته قسيُّ البَيْنِ مِنْ غَير ظالم
يمد يدًا منه ويبسط أنملاً ... يبيح(٤) بشكوى مِنْ أسًى وجرائم
ومن عُقَدٍ أنت اللطيف بحلها ... وما نَفَثَتْ فيها ذواتُ التمائمِ
تبصرتِ الأيام مني خلسة ... فصالت على جسمي برمح وصارم
وأشلَتْ على صَرْمي بنيها تعمّدًا ... فعفّت بديوان الصِّلات معالمي
وما جاز في دين الخلائق(٥) أنهم ... يعودون فيما عوّدوا من مكارم
وما أشرفت منهم على حين غفلة ... عيون العدى إلا رَمَوا برواجم
يُرَدّ مشير السوء عن مقعد الندى ... ذميمًا ومن يسعى بقطع الفلاصم
فعطفًا أمير المؤمنين ومنةً ... على العبد من تغيير وصلِ ملازم
فإني أرى العادات منك كريمة ... وأكرمها عاداتُ أهل المواسم

لهم كلَّ عامٍ منك سيبٌ إلى مِنَى　　بمحكم ديوان جزيل المغانم
وقد كان لي فيه عطاء مخلد　　برسم كريمٍ رازق غير حارم
فإن يكن الأمر الذي أصبحتْ به　　عيوني في قلبي(٦) محا اسمي وخاتمي
وألقى عن الظهر النحيف علائقًا　　لفصل القضا والرسم مفروض حاكم
فهبه فهلا كان في سعة الندى　　لفاقد عينيه إقالة راحم
وإجراء مالي من نوال مدفتر(٧)　　تخب به نحوي حُداة الرواسم
وما راش ذو سهم سهام ابن حرة　　بريش أخيه من حديث وقادم(٨)

انظر إليه ولواعج الحزن عليه ظاهرة لم يشأ أن يبخس إيمانه بشيء من دواعي الرجاء الغالي فيسأل المخلوقين من دون الله، أو يجعلهم سببًا في تحقيق مرامه، وإنما صرف حواسه في دعائه نحو من يستحق الدعاء، ويعوّل عليه في الإجابة، حيث أقبل نحو الله سبحانه وتعالى وبسط راحته ليقول:

إليك يدًا ذا العرش من متظلم　　رمته قسيُّ البين من غير ظالم

وزاد:

يمد يدًا منه ويبسط أنملاً　　يبيح بشكوى من أسى وجرائم

وادّكر من بعدُ بالرَّشَد والعدل، وأقبل على صاحب الفضل: الله سبحانه وتعالى القادر على دفع معضلته، وحلّ مشكلته، فهو وحده مَن يستطيع ذلك، حيث قال:

ومن عقد أنت اللطيف بحلها　　وما نفثت فيها ذوات التمائم

وانثنى الشاعر من بعد ذلك نحو قضيته فتحدث عنها بإفاضة، وكان موفقًا في قوله:

تبصرت الأيام مني خلسة　　فصالت على جسمي برمح وصارم

حيث استطاع أن يحسن استخدام الدلالة اللغوية، وأن يوجهها نحو غرض قصيدته، فقد جعل الظروف العصية التي مُني بها في فقد بصره وذهابه تتربص به، وتصاوله، إنها من قبل قد بَصُرَت به عن جنب، ولمحته خلسة، ولم تلبث حتى تمكنت منه برمح وصارم كما يقول، حيث عدت على صلته ومعاشه فذهبت بهما، مما دعاه إلى أن يسترحم من ولي الأمر علّه يظفر بطلبه.

أقول: ما أحوجنا في دراساتنا الأدبية إلى مثل هذه الومضات التي تعبر عن بعض مواقف الأدباء في حياتهم، وتمثل تجاربهم، فالإنسان هو الإنسان لا تموت تجاربه بموته، وإنما تظل حية يتذوقها الأجيال من بعده، بخلاف حديث المناسبات، وما يتصل به من نتاج أدبيّ، إنه يموت بانتهاء الحدث وزوال صاحبه، ولا أزعم هنا جودة أسلوب التعبير في هذه القصيدة، ولا علو منزلة صاحبها في هذا الشأن فهذا أمر يفصل فيه النقد ويقومه، وإنما وددت الوقوف مع هذه الظواهر الأدبية التي قد تسد مسدًا مفقودًا في تاريخنا الأدبي، وبخاصة ونحن بحاجة إلى إعادة النظر في ذلك التاريخ.

الهوامش، والتعليقات:

(١) قال عنه المحبّي في كتابه: «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر»: «العارف بجميع العلوم، والكارع من مشارب الفهوم، ولد سنة اثنتين وثلاثين وألف بعتود، ونشأ بالدهناء وعكف في محاريب الفنون كلها لا سيما الأدبية، وحاز من تلك المزايا أسنى المفاخر، وسار في الآفاق صيت فضله. وكان قاضي الحج.. ارتحل في أول طلبه إلى صعدة وأخذ الفقه عمن بها، ثم إلى صنعاء، وأخذ عن العلامة القاضي أحمد بن أبي الرجال فنونا عديدة، وعن العلامة محمد بن إبراهيم السحوتي، وأخذ عن السادة آل جحاف بحبور...» ١١١/٣، دار صادر، بيروت.

(٢) المصدر نفسه ١١١/٣.

(٣) المصدر نفسه ١١١/٣.

(٤) لعل الصواب يبوح.

(٥) في الأصل: «الخلائف».

(٦) قال المحبّي: «قوله فإن يكن الأمر البيت، يشير إلى قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إن يأخذ الله من عينيّ نورهما...» كتابه السابق ١١٢/٣.

(٧) أراد أنه مكتوب في دفاتر، ودواوين.

(٨) المصدر السابق نفسه ١١١/٣، ١١٢، ١١٣، قال المحبّي بأن هذا الشاعر كتب: «شاكيا من السيد سالم بن مهنا وهو إذ ذاك والي بيش، والشريف أبي طالب بن محمد بن حسين الخواجي صاحب صبيا لما أرسلوا عسكرًا عمت بليتهم ذا الجرم ومن لا جرم له على لسان أهل الخلاف بقوله:

أمثلك يا ابن بجدتها ينام　　على حال يُضام به الأنام
يُسامون التي فيها هوان　　وذلك لا يقاس به أثام
ويُؤخذ سالم منها بجان　　ويُترك من به منهم سقام
نقيبان ببلدتنا أناخا　　مناخا لا يُسَدّ به انثلام
رأوا ما لا يرى حسنا ومالوا　　إلى غير الذي شرع الإمام
وهل إلاّ بكم تُحمى الرعايا　　ويأمنُ منهم يمنٌ وشام
فكفُّوا سنة الأجناد عنهم　　فإن الجند أشرار طغام

عبد العزيز التويجري

ونشيد الفطرة في .. حاطب ليل ضجر



محمود رداوي

يتجلى نقاء الإنسان وطهارته حين يصفو مع نفسه، في سبحات روحية ووجدانية مع الكون والحياة الطبيعية. فيشعر بنشيد الفطرة يداعب قلبه وذهنه، ويستحيل كل ما يدبّ في أعماقه إلى نغمٍ وإيقاع مرتسم مع مفردات عالمه الخارجي، وإشعاعات شموسه وأقماره ونجومه. كما يحسّ ألا موضع لمكدّرٍ في نفسه - وهو في سبحات الطبيعة والفلاة والصحراء - يحاول تشويه تلك الفطرة ونشيدها الساحر، هذا النشيد الذي يقتلع منغصات الحياة وسوداويتها، ويمتص تكديراتها وكرباتها. ومع هذه التجليات الرائعة يعظم إيقاع النشيد الفطري في الآفاق، ويصبح نشيداً واحداً مردداً: [الله أكبر]. ذلك هو [نشيد الفطرة](١) الذي ينطق به الإنسان بلغته، وجميع الكائنات بلغتها، فيترنم أو ينشد أو يهتف: [الله أكبر]، بحروفها ومعانيها، ولا يستطيع إذا آمن أن يقول عبارة غيرها، فيدور في قلبه، من هذه الحروف والمعاني مفتاح تنفتح به مغاليق نفسه على العالم المحيط به، فيرى في محيط نفسه، وفي آفاق هذا العالم، ذلك التوافق الكامل بين تكبيرته وتكبيرة الوجود، وبين إحساسه وإحساس الكون، وبين عقله وعقل الحياة. إنه يرى ذلك التوافق الكامل بين دوافعه وعواطفه وأعماله، في مجرى ذلك النشيد الفطري، وبين سرعة الأرض الدائرة ، وتألق النجوم الباهرة، ودوران الأفلاك الكبيرة، وانقضاض النيازك السابحة، وانبعاث النهار والليل، واندفاع العاصفة والنهر، وازدهار النبات والإنسان، وتقلب الأقدار والحظوظ. وبنشيد الفطرة هذا ظهر الإسلام في العرب، حيث خرج بعدها معهم إلى شعوب الدنيا.

لقد أردنا بتلك المقدمة، أن نقول: إن أديبنا الكبير عبد العزيز التويجري، في كتابه: (حاطب ليل ضجر)(٢) بجزئيه، انطلق منشداً نشيد الفطرة بكل كلمة بثّها لنا. فإن ظروف كاتبها، وبيئته الصحراوية البدوية، وما جاء فيها من تعابير ورؤى وأحاسيس هي ما تجول بخاطر كل إنسان عربي أصيل نشأ في تلك البيئة البدوية الصحراوية، فمثلما جالت في خاطر أديبنا التويجري، حيث رحل بنا مع نفسه، أو مع ما أطلق عليها خيمته الذاتية، أو قافلته الذاتية، أو قريته الذاتية، أو مدرسته الذاتية. أو ما يمكن أن نطلق عليها مدينته الفاضلة التي لا تقوم على مذاهب الآخرين وتنظيرهم، إنما تستمد تكوينها من نشيد الفطرة الذي يموج في أعماقه، حيث تشع مدينته الفاضلة بالرموز، فأرضها الصحراء، وهواؤها وماؤها وغذاؤها الفطرة، وجدرانها وشرفاتها الخيمة، ومركباتها الإبل والجياد، وأشجار حدائقها الطلح والعوسج والسدر والخزامى والرمث، وقناديلها وثرياتها النجوم والأقمار والشموس. وأناسها سعيد بن جبير، وابن سينا، وعنترة، وامرؤ القيس، والمتنبي، وطرفة بن العبد، وعروة بن الورد، وحاتم الطائي، وقيس وليلى، وجميل وبثينة، وكثير وعزة.

لذلك لايزال نشيد الفطرة يداعب أوصال العربي الأصيل في أيامنا المعاصرة، لايزال يود أن يعيش أجواءها. فهو ينشدها دوماً، ولا يرتاح له بال أو خاطر إلا إذا ارتمى في أحضان الطبيعة الصحراوية، فهناك تمتلىء أعماقه بأنفاسها وأريجها وطيبها وصفائها وهدوئها.

من هنا نرى الكثير من أبناء هذه الجزيرة العربية اليوم قادة وأفراداً يخصصون أياماً، بل أسابيع للارتماء في أجواء الطبيعة المنسرحة، في آفاق الكون والحياة، فيسرح العربي بخياله وبصره في تلك العوالم التي تطهر القلوب، وتجلي عنها كل آثار العصر الحضاري المدني، وصدأه المادي. وقلما يصيب تلك القلوب والأرواح مكدّر يلطخ نقاء الفطرة والإيمان

والطهارة. ومن ذلك النقاء الفطري يستمد ذلك العربي طاقة البناء.

وهكذا ترجم الأديب التويجري تلك الفطرة بصورة من ذكرياته الذاتية مع نفسه، مع صباه، مع شيخوخته. «بالأحرى مع تاريخ العرب والبشرية، المتوغل في الزمن، منذ وجد والداه : آدم وحواء» إنها ذكريات الذات مع الكون والحياة والإنسان والحضارة المعاصرة. ولأن كتابات الأديب التويجري ترجمة ذاتية حرة منسرحة لا تقيدها القوانين والنظريات؛ ستكون كتابتنا عنها وعنه حرة وغير مقيدة، وتنهل من مورد الفطرة الذي ورده. وهو نشيد الفطرة الذي طبع الله تعالى نفوس العباد عليه، إذ خلق النفس تشع بالود والحب والصدق والصفاء والطهارة والنقاء. وتصدح بها الصحراء والآفاق التي لا تكسر طوقها مدنية أو حضارة مادية زائفة. والإنسان هو الذي شوّه تلك اللوحة الإنسانية الجميلة. وستكون وقفاتنا مع الأديب التويجري وهو يعزف في رسائله أو كتاباته على أنغام ذلك النشيد الذي لا يفارقه. لأنه يؤكد ويقر كل المبادئ والمثل التي انطبعت في النفس الإنسانية، وكانت صدى لنشيد الفطرة، وإيقاع الصحراء. يقول في جزئه الثاني (ص ١٣٥):

«وما ميلي دائمًا إلى الفطرة، وإلى عفوية الصحراء إلا هروب بنفسي من روائح كريهة لا أريد أن تفسد علي روائح الخزامى وأشجار الرمث، فهي اليوم حزينة في قلب الصحراء، لا أحد يضرب خيمته في واديها أو في روضها، لم يعد لها منازل في سنام الجمل أو في اجتراره لها، فيوم كنا نُرحِّل مطايانا إلى قلب الصحراء، ونضرب خيامنا على جنبات الوادي أو على جنبات الروض، أو على جناح الجبل، ونعانق القمر والنجم البعيد في أحضان الفطرة والطبيعة تنحسر عنا هموم الحياة، ونبقى في لون من الإحساس والشعور بالجمال الكوني، لا تستطيع الكلمات أن تعبر عنه ولا يستطيع القلم أن يستقبل حالة من السعادة والانشراح يحتمل غيضها».

إن رحلة الأديب التويجري مع النفس، هي رحلة مع متاهات البحث والتساؤل، رحلة ديناميكية متوثبة، وإن رافقها القلق والغربة والضياع والشك أحيانًا، أو الخروج منها، كما يخيل إلينا، بلا طائل. لأنها رحلة حاطب ليل ضجر، ولكنها في نهاية المطاف رحلة أسفرت عن مدينة فاضلة، ينشدها الكثير من المفكرين والحالمين والهاجسين.

ومدينته الفاضلة لا تقوم أركانها على التخيل، وإنما على الخيال المتدفق الذي يخصبه الذهن، ويغنيه الفكر. وهو أشبه بخيال الشاعر الذي تمطر في أعماقه قطرات الذهن لا قطرات السحب «لعلي في أكثر ما أتى أو سيأتي في هذه الرسائل لم يجنح بي الخيال وراء السراب، فتضيع وتتبدد مشاعري فتختنق روحي، فخيال الشاعر غير التخيلات، هو إنسان تستجيب له قطرات يدعوها خياله فتلبيه من مكان بعيد، وقطرات الذهن غير قطرات الحب، هي تمطر من معلوم» ص ٦٨.

وإن ضاقت به السبل في مدينته الفاضلة، وأرضه الواسعة، وخنقته رموزها ودلالاتها بالحيرة، والقلق، فليس له سوى ملجأ واحد يلوذ به هو رحمة الله : «والنجوم البعيدة والشموس والأقمار ظننتها قوافل كقوافل الصيد، فتداخلت فيها رؤيتي وخطاي وتصوراتي، وباقة الزهور وشجرة العوسج وشجرة الطلح وشجرة السدر، وكل ما في هذه الأرض أو في السماء ظللت حائرًا فيه حيرة رجل لم يخرجه منها غير رحمة الله». ص ٧٤.

ولكم شد رحاله على جماله، في قافلته النفسية، في الفيافي القفر. ولكم أضناه السير والرحيل، ولكم تعثر وقد اعترضته الأشواك والرمال، ولكم أحس بلفح الهجير، وقيظ الصيف ولهيبه، فكانت تلك الرحلة الصحراوية والنفسية تهون وتخف حدتها في فكره حين تستحيل في فيافي أعماقه إلى عملية بحث عن الحقيقة والمثال.

وإذا كانت حضارة العلم، وتقدم العلم، يبهران المرء. فإن الأديب التويجري لا يخضع إلا لله سبحانه وتعالى وعظمته. فليس ثمة عظمة غير عظمة الله. وهو ثائر على تلك الحضارة والتقدم اللّذَيْن زرعا الكره في النفوس، ولم يعد ثمة موضع للحب.

«لن تذهلني كل معطيات هذه الحضارة وهذه العلوم وهذه الأسماء. ولا يكبر شيء في نفسي ولا يتعاظم غير الله». ص ٨١.

«فلماذا هذه العجلة؟ لماذا يزرع الفناء في كل مكان في الأرض والسماء؟ لماذا لا يزرع الحب؟ إذا كان للحب بذرة واحدة قد ظلت معنا على هذا الكوكب؟». ص ٨٢. إنها بذرة المثل التي يزرعها دومًا في مدينته الفاضلة.

ولئن كانت أول بذرة في أرض مدينته قد اخصبت بألوان شتى من الحب، فإن بقية بذورها قد تلونت بالكدح والعمل والصبر، والخروج من حياة الدنيا نظيفًا من أي تلوث. «قد يقطع الرحلة القصيرة دون أن يرى شيئًا، ودون أن يكون في حساب الكادحين، والكدح في سبيل الأمل العظيم بالخروج من هذه الحياة نظيف الثياب هو هدف الرحلة، ولأن الإنسان الكادح إلى الله لن يكون كذلك إلا حين تعصره آلام الحياة ومعاناتها وعللها، فيحتمل ويصبر لأنه كادح». ص ٨٧.

وعلى الرغم من رسائله وكتاباته الزاخرة بالتساؤل واللا أدرية عند الإجابة، ووقفاته الطويلات أمام هذا الكون والحياة والعالم بأسره، والحيرة والقلق اللذان يجعلانه عائدًا من رحلاته خالي الوفاض فيما يبدو. فإنه ليس كحاطب ليل ضجر، بل هو حاطب في نهار شامس؛ لأنه باحث عن الحقيقة، ومؤمن بما يقول، وذو هدف ورسالة. فنراه مثلاً في أحد المواضع من رسائله يقول:

«أحاول في أمانة الشيخ المسن والقريب من مدفنه أن أكتب ذكرياتي - ولا أقول مذكراتي - أن أكتب ما أستطيع أن أدعمه بورقة غير كاذبة، وموقف عملاق لا يثني رقبته إلى ركبته منكر حقيقة أو ذاوي وجدان. سأبذل جهدي آملاً ألا أغلط في الحساب، فالأرقام ضخمة قد لا يكون بجانبها صفر واحد. هي

عبد العزيز التويجري

ونشيد الفطرة في .. حاطب ليل ضجر

قِـيَمٌ، وهي مُـثُلٌ، هي خـيل وجـيش وشجعان، هي شاعر، وهي وادٍ، وهي قرية، وهي مدينة». ص ٢١٦.

ومن هنا فإن كتابات الأديب التويجري ليست بخواطر، كما أراد لها مقدم الكتاب، فالخواطر انسياب أفكار عابرة، ومجرى مشاهد خاطفة، تخطر في الذهن أو البال أو النفس ولا تستقر على حال، ولا تلتزم بهدف أو موقف أو رسالة. الخواطر يعوزها عمق التبصّر والتفكر والتخيل، والاستقرار على حقائق شاخصة في الذهن، والكون في آن واحد. وهذه كلها لا نجدها في الخواطر، وإنما نجدها في كتابات الأديب التويجري وهو يرحل بنا في عالم نفسه وعالم أكوانه، ويستخرج لنا من الحقائق والأفكار والرؤى العميقة التي تثير في النفس الإنسانية أجمل وأصفى وأروع ما فيها؛ لأنها تعيد هندسة بناء الإنسان من الداخل من جديد، وهي التي عبر عنها بقوله: «وهندسة البناء الذاتي هي أرقى هندسة، وأعظم تصميم، وأسخى مادة وأكرم لبنة». ص ١٢٥. كما أن كتاباته، وإن أطلق عليها بأنها «سرحان نفسي» وانطلقت من باب بيته دون حرية أو اختيار، ولكنها كتابة تتميز بأنها تنأى عن التقريرية والمباشرة اللتين يتحلى بهما الخطيب أو الواعظ، هي كتابة تسمو بقارئها إلى عوالم من الفطرة والأصالة والعفوية، والتقرب إليه بروح الإخاء والتواضع والمشاركة بالهموم والآلام. لذلك يقول بصدق: «أنا لم أكن في هذه الرسائل واعظًا كالفضيل بن عياض، أو الرجل الجليل ابن الجوزي، أو غيرهما، فلا منبر لي أعظ منه ولا مستمعين أتعالى عليهم بوعظي». ص ١٢٧.

على أن سرحانه النفسي، هو ما يمكن أن نطلق عليه سريان الفطرة، والأصالة، والجمال الطبيعي في هذا الكون؛ مما يود أن يشرك ـ بها دومًا ـ قارئه أو أخاه العربي، وربما الآخرين من ذوي اللكنة العجمية، كي يتعلموا ويفهموا الحياة كما علمتهم إياها الصحراء الطاهرة. فيقول ـ ولم تكن غائبة عنه مدنيّة العصر ـ: «وحتى لا يضيق إنسان بما تعصره يد ذهنية من ضرع شحيح، فيتصور أني لم أر العصر ولم أر مدنيته وحضارته، فيجرح كبرياء الصحراء، وهي الأصالة، أرده إليها فوق الجمل والحصان وأقول له: سافر إلى علو الزمن لترى من أنت؟ والجمَال الذي تلثمه روحي في هذه الصحراء، ولا ترى شيئًا سواه نسفح عليه اليوم دمعًا ما ذرفته ثكلى على جنازة، لأنها الصحراء الجميلة رعت غنمها - فيها - الجميلة». ص ١٣٢.

إن التصاق الأديب التويجري بالصحراء، هو رمز لتلاحم الماضي بالحاضر. التحام التاريخ السحيق بذاته السحيقة، كلاهما يشكل غورًا عميقًا تتداخل فيه شتى التساؤلات التي من خلالها تتوضح صورته الذاتية والأدبية؛ لأن ذاته وأدبه كيان واحد، وهو ما عبر عنه مقدم الكتاب بقوله: «فهو نفسه الموضوع، والموضوع هو ذات الكاتب». لأن التصاقه بالصحراء ومرئيات ديار صباه كالتصاقه بنفسه وما يدب في ثناياها؛ كي يصبح المكان مرآة لأعماقه، بل كلاهما ذات واحدة. فيبدو لنا دومًا امتدادًا للماضي، لا سيما حين يبعث البدوي القديم ليجسده لنا في صورة ذاته المعاصرة. ولهذا يظل يحب الماضي بما يحمله لنا من تراث. وهكذا تظل ـ كما قلنا ـ ذاته رمزًا لذاك الامتداد. وتتسع نفسه لذلك التراث ليشمل تراث أمة كاملة الرموز الحضارية. كما أن تساؤلاته كثيرًا ما تحمل رموزه الفكرية، وما تصوره من مفارقات بين الأشياء. وهي الرموز التي قد يفسرها أحيانًا لتأكيد رؤية أو انطباع، أو تجربة أو حكمة منتزعة من تحليل الدبيب الفكري في نفسه، كقوله: «والإنسان في معاناته إن مات في بيت كسرى أو قيصر، أو ضائعًا على الرصيف العام، يتساوى في آلامه وأحزانه» ص ٢٥. وكقوله أيضًا مما يعبر به عن معاناته وتجربته: «والانكسار في قلب الإنسان هو الانكسار الذي لا طبيب له ولا جابر غير الصبر والاحتمال». ص ٥٢.

مهما أوجد الأديب المبدع مضامين وأفكارًا وصورًا جديدة، وأخذ يفلسفها ويصوغ لها دلالاتها وعباراتها ومفرداتها من عمق وتألق، ونسي الخالق والمبدع الأول العظيم المقدر، والضابط لهذا الكون، ونسي حكمته من وجود الإنسان الضئيل بفكره وعلمه أمام الآفاق والأكوان والآماد البعيدة. مهما كان ذلك الأديب المبدع، فإن كتاباته ستظل يعوزها الاتصال بالذات الإلهية، والوقوف الطويل أمامها على نحو ما.

ولقد أشرك الأديب التويجري، في وقفاته الكونية والسماوية، كل ملكاته الحسية والذهنية والروحية والوجدانية والنفسية. وقد تحولت أعماقه إلى إشعاع من الرؤى والتخيل والتفكر والتبصر في المحسوس وما وراء المحسوس والمنظور وما وراء المنظور، في عالم نفسه، وعالم الكون بأسره محدودًا وغير محدود؛ ليبلور لنا إحساسه بعد تلك الوقفة من الخالق الأحد؛ وهل أدى له فضيلة العبادة والسجود امتنانًا لعظمته أم أنه ما زال يخشى ألا يكون سجوده قد أدى دوره التعبدي الكامل؟! يخشى أن يكون ذلك التخيل، أو ذلك التوغل في عالم الحس والفكر والخيال مدعاة إلى الصراع الذهني والنفسي والوجداني. صراع يقود إلى الحيرة، والحيرة تقوده إلى العذاب؛ لأنه لم يقوَ على التعبير عن كل عظمة الله في أكوانه. أفي ذلك عذاب حقًا؟!.

إن الحس الديني النقي يملأ جوهر نفسه وعقله وروحه، وإن احتدم صراع في أعماقه

بين الخير وملاكه والشر وشيطانه، فإنه احتدام تبلوره الحقيقة المثلى كما جاءت بها الأديان السماوية. فالعبادة عنده عبادة سلوك وعمل يتوجهالديه فكر نظيف، وروح طاهرة، ونفس أبية لا تتبع الأشباح المحنطة. ومع ذلك فإنه يخشى الزلل أو البعد عن جوهر الدين، ولكنها خشية تجره دومًا إلى الصواب، وإن تضمن قلقه أو خشيته شيئًا من الحيرة والتساؤل؛ لأنه تساؤل المتيقن. وهو من الصفوة الذين يسعون إلى جوهر الأمور ولبها لا إلى سطحيتها وقشورها، وإن نوّه بأن ثمة فقيهًا ومفكرا سيوقظانه من منامه في صباح مشرق، ولكنه صباح لا وجود له عند حاطب ليل، بل سيكون له وجود في مدينته الفاضلة التي رسمها له فكره وخياله وهواجسه دون انفصال عن الاتصال السماوي (ص ٣٠، ٣١، ٣٢) حيث الرحمة على الرغم من العذاب وآلام الخطايا: «مع الواحد الذي تُذل له كل الجباه فيما هو محسوس وما لم يكن محسوسًا هو رقم واحد، كلمته التي تنصب العدل على ميزان من الرحمة التي هي الرجاء في مسح دموعنا وآلامنا وخطايانا». ص١١٦.

وفي وقفة الإنسان مع نفسه يتأمل الحساب الإسلامي حين لا ينفعه ماله وسلطانه. ويتساءل من حال دونه وربه؟ وما الذي حال دون تبصره في أسرار الكون ومدبره العظيم؟ هل ما شغله عن الله أطفأ في روحه جذوة الإيمان وامتص من أعماقه وعيه وفكره؟ وعلى الرغم من أن مثل هذه الوقفات من التساؤل تستوجب استحضار النص من القرآن والسنة، ولكن الأديب التويجري يستحضرها بصورة جاءت مع السياق لتزيده قوة في صياغة فنية.

إن الأديب التويجري عرف الله حق المعرفة، وعبده حق العبادة، فألبسه الله أحسن ثوب. هو ثوب الإسلام ورسالته: «وما يعنيني في هذه الرسائل هو أن أتعبد الله في معرفتي له من خلال ودائعه عندي التي هي فقيهي، وهي شيخي، وهي معلمي، وهي التي لا تكذبني، ولا تزوّر عليّ الحقيقة. فالثوب الذي يسترني ويلبسني الأمل في رضاء الله هو ثوبي الذي ألبسني إياه خالقي». ص ٧٤، ٧٥.

هكذا هو دومًا مفكر مع نفسه ومع الكون. وتفكيره لا يعزله عنهما، فهو يرتاح لذلك التفكر وإن أثقله حمله «لي مع الأيام والسنين حوار أتعب ظهور مطاياي وأثقلها حمله». ولكن «من هذه حاله أتجوز عليه ملامة لائم؟». لا يمكن أن يلام المرء في مدينته الفاضلة التي ألف العيش فيها مع تفكره ؛ لأن «الحركة داخل النفس تتوق إلى التعبير». ص٣٤.

ومهما عانى الأديب التويجري، وغاص في بحور الحيرة والهواجس، ومهما أقلقته صيغة السؤال عن مصير الإنسان، وانتهائه مع قدره ورقدته مع الموت. فإن نور الحقيقة هو الذي يكشف له ضياء الروح وصفاء النفس، مما يستوحيه دومًا من ألق فطرته، وهي الفطرة التي تهديه إلى نور الله، لا من فلسفة الآخرين».

إنها ساعات الصفاء وسبحات الفطرة، التي تنداح في أعماق النفس الإنسانية؛ لتعيش حالات رائعة من التجلي مع نور الله والإيمان، ومصدرها دومًا من أعماق النفس لا من خارجها: «فكل مئذنة صاح عليها واعظ، أو سيصيح لا يمكن أن يستيقظ عليها نائم لا مؤذن له داخل نفسه». ص ٤٠.

ويظل الإنسان شقيًا معذبًا قلقًا حائرًا في خضم الحياة بلا عون الله، «ما أكثر الآفات التي معنا وفينا! ما أشد الحيرة على إنسان لا عون له من الله». وما يعذبه أيضًا غربته ومتاهات فكره، ولكن لا تمتصها غير تجربته وممارسته المتأنيتين من هداية الله. ص ٤٣.

ويشك الأديب التويجري بأي قلم تاريخي لا يستمد مادته من وحي السماء، حيث اليقين فيها، وما عداها فهراء وهذر..

كما عبر عن الظلم البشري، ووجده مزية وطبيعة في النفوس، وقد سبقه في ذلك المتنبي حين قال:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفة فلعلّة لا يظلم

فالظلم شيمة مستمرة بين الأجيال، وقد خانت تلك الأجيال الأمانة التي حملها لهم أبوهم الأول، وإنّ ظلم الإنسان لأخيه الإنسان مصيبة كبرى.

وإذا كان الإنسان مُكرَّمًا من الله أسوة بأبينا آدم أول المكرَّمين المغفور لهم، فإن الأبناء يأملون الرحمة والمغفرة، وإن قسا الإنسان في أحكامه على أخيه الإنسان، وحاول قطع ما يحول بينه ورحمة الله. ولهذا فإن الأديب التويجري يرى أن من يسد الطريق إلى الله فقد تجاوزالفطرة وأنكرها. فأولئك القوم المتجاوزون المنكرون لا يعرفون الكفاح ولا المكابدة بله الفطرة التي فطر الله عليها العباد.

وقد يلاحق الظالمين من خونة وعصاة، ويدعو إلى إلقاء القبض عليهم وإعدامهم، أو زجهم في السجون أو كهوف الذات. وهكذا «فالسيف على رقبة الظالمين والجائرين أينما كانوا». ص ٦١؛ لما حملوه من أوزار، وما سددوه من طلقات على أرواح بريئة. فهؤلاء لم يعرفوا نشيد الفطرة، ولم يحسّوه ويستشعروه إيقاعًا رومانسيًا في كل لوحات الصحراء ومضامينها ومفرداتها وإيحاءاتها: «فربابة البدوي وخيمته وجماله، وغدير الوادي، وظباء الفلاة في يوم الربيع، عائلة ما عرفت السأم والقلق والضجر، وما زارت المدرسة النفسية، ولا حملت لجمجمتها طلقة أردتها صريعة». ص ٥٧.

على أنه يبقى مع من يحاولون سدّ الطريق أمام رحمة الله أكثر مما يبقى مع أولئك الظالمين. ويبدو أن الأديب التويجري يعاني من الآخرين الذين يسدّون كل السبل في وجه من يحاول الاقتراب من الله بأقرب السبل من حرية وفطرة. كما يبدو أن سلاح أولئك الآخرين وعدتهم العدوانية لسان وقلم: «لا يجوز لي أن أحمل ميسمي وأعدو هنا وهناك، أسم به هذا عاص، وهذا تقي، وهذا.... إلى آخر ما تحاول نزعات تلبس

عبد العزيز التويجري

ونشيد الفطرة في..

حاطب ليل ضجر

ثوب التقى أن افعلْ، أن جَرّحْ بقلمك - وإن كان قلماً ركيكاً - كلّ بدن لا يروق لك مرآه، جرّحه لأنه يجرحك. ولكن عقيدتي لحقت بي في أخر العمر، وقالت لي: من كان (بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)». ص ٧٩.

وإذا كان يقدر الوعاظ والفقهاء والصالحين أمثال (ابن الجوزي والفضيل بن عياض وغيرهما) ويقدر أبعاد ومقاييس نقاء سريرة كل واحد منهم، «ولكن الذراع الذي يقيس به سعة هذا الفضاء والكون ذراع غير ذراع هذا العصر الذي يجب أن يلحق به الإنسان المؤمن فيقبض عليه». ص ١٤٩. وهو بذلك لا ينوي أو يقصد حساب أو لوم أحد، «فلدى كل إنسان من يحصي عليه أفعاله ويدقق في حسابه، وهو حساب لن يكون مغلوطاً أو قابلاً للخطأ والافتراء؛ لأن الموظف لهذه المهمة، فيما بين الإنسان وخالقه، أمين كل الأمانة». ص ١٥٠. إنها دعوة منه إلى الاجتهاد بما يتفق ويتناسب مع هذا العصر الفضائي الذي علينا فيه: «أن نلحق بالقافلة، وهناك نذرف دمعاً سخياً على تراب القمر أو على تراب آخر منتظر أن يلحق به عطاء الله للإنسان. ولكن الجامد فينا ظل في عشه كسولاً ما نوى الطيران ولا قرأ لنا الأسماء». ص ١٤٩.

لم يكن الأديب التويجري عنيداً في فكره أو رأيه، أو متعصباً لهما. بل يدلي بدلوه ويقول حكمته الصادقة، ويحبذ بل يقبّل جبين من يعترضه أو ينقده، أو يبين له طريق الهداية إلى الله. فالاجتهاد عنده باب من أبواب الوصول إلى الحقيقة، أو دليل يصل به إلى الصواب، ومن ثم اعتراف منه بالقصور: «وقد يأتي مجتهد أو ماش على جادة قدّر أن لا طريق إلى الله إلا هي. فيعترض، وهنا أُقبّل ما بين عينيه قبلة حانية على اجتهاده، ومعبرة عن تسامح وحب واعتراف بالقصور». ص ١٣٧.

وإذا كانت المسؤولية الفردية في نطاق الدائرة اليومية في العمل الحكومي والإداري تحتم على الرئيس أن يحاسب المرؤوس على أعماله وأداء واجباته المسلكية، فإن الأديب التويجري لا يرى تلك المسؤولية وإطلاق الأحكام على العباد في الدائرة السماوية. فالعباد متساوون أمام الله، وهو وحده الذي يحاسبهم، وهو الذي يعفو ويغفر ويرحم من يشاء، لأنهم متساوون في الفطرة منذ خلقهم، ومن الجور تصنيف العباد إلى صنفين: أحدهما ينضوي تحت دائرة الشر، والآخر تحت دائرة الخير. وكأن الأديب التويجري ثائر ضمنياً على سلوك بعض الأوصياء من العباد على العباد. وهذا ما جعله يقول: «لا أتصور أن هذا إنسان شرير وهذا إنسان خير، ولا أجد في إنسانيتي أن أحمل الميسم وأسم به وجه هذا أو ذاك. هذا ليس من حقي، فكل مولود يولد على الفطرة، ولعلي لا أخطئ حين أنسب إلى شريعتي وعقيدتي أمراً صدر إلي وإلى كل مسلم من فم النبي العظيم: لا تلعن الكافر وهو حي فقد تدركه رحمة الله فيتحول من الكفر إلى الإيمان. أَبَعْدَ هذه السماحة وهذا الباب المفتوح على مصراعيه لكل إنسان رغب أن يدخل منه إلى ساحة الإيمان، تستقبله فيها رحمة الله به وبتحوله من النقيض إلى النقيض عذرٌ أو تجاوزٌ على سماحة العقيدة وحرصها الشديد على تحرير الإنسان، ونقله من تجاويف النفس الترابية إلى ما فوق الغمام والسحب الطاهرة؟». ص١٩٩.

ولهذا فإن الأديب التويجري يظل متفائلاً برحمة الله؛ لأنه يرى أن العبد قد يرحم العبد ويتجاوز عقابه. فكيف بخالقهما؟ ولهذا يستشهد بموقف عمر في عام الرمادة: «ما أكثر الذنوب والخطايا التي أذودها عن فم القلم لكيلا تخرج من السريرة إلى العلانية فتؤذي المارة! ولكنها خطايا وذنوب ما كانت ولن تكون في عفو الله ورحمته إلا قاطع طريق ساقه الجوع والسغب إلى ذلك فأسقط عنه الخليفة الثاني رحمةً به في يوم الرمادة قطع اليد! هذه هي رحمة الإنسان، فكيف برحمة الله؟». ص ٢٠٣.

وليس ذلك منه دعوة إلى الشر، لأنه يدين كل الرموز التي تشوّه وجه الحياة الخيرة، وكل علامات الشر في المجتمع الإنساني كالجريمة والمعصية والظلم والجور والإلحاد والتعالي والتميز والفسق بالعلم والجور به. كما أنه يدين «كل من ظن أن الحياة غاية، وأن الوسيلة إليها عشوائية لا لجام لها ولا رسن ولا ذراع يقبض على الرسن ليكون للحياة معناها وللعلم فضائله. وقومي الذين أكرمهم الله بـ (سورة اقرأ) في أنحاء الأرض، أيدرون ماذا يجري في عالم يتصابى على شيخوختنا؟». ص٢٠٧.

وإذا كانت غالبية رسائله - حيال تعرية المجتمع الإنساني - عامة، تكاد تشمل أهل الارض قاطبة، ولا تنويه فيها لأرض عربية أو إسلامية خاصة. فإنه قد يشير كما فعل في أحد هوامشه في (ص ٢٠٨) لما يجري في لبنان اليوم. وهذا يحتم عليه أن يتعاطف مع الخطب الجلل بكل عمق، وبهذه الصورة المتسائلة: «ماذا أصابنا؟ ماذا حل بنا؟ أنحن هائمون على وجوهنا في بيداء لا علامات عليها ولا هاد يهدينا سواء السبيل، ما قيمة بيتي الذي فيه آمن وحدي، وأخي وجاري وابن عقيدتي لا بيت له يأمن فيه» ومثل هذه الهموم التي كان يعانيها في هذا العصر الملتهب؛ جعلته يلوذ بالطبيعة الفطرية، حيث الصفاء والنقاء والطهارة. فالإنسان العصري اغتال كل جميل فطري فيه، حين صنع البندقية ليحمي الذئب الذي لا يعرف قلبه غير فطرة الدم، لا ليصنع بها الأمن والسعادة. وإنها لمعادلة محيّرة، معادلة الإنسان بين

البندقية والذئب.

ولهذا فقد عبر الأديب التويجري كثيراً عن سقوط الحضارة المعاصرة، التي أصبحت تحصد الأخضر واليابس، ولا تبقي ولا تذر، وقد انعدمت وغابت من سمائها كل المثل الإنسانية، وكأنه لم يبق في هذه الحياة صورة رجل عظيم وكريم.

على الرغم من أن الأديب التويجري أشار في مواضع عديدة من رسائله أو كتاباته إلى العلم وآفاق اكتشافاته واعتزاز الغرب به، لكنه لم يقدهم إلى الإيمان بالله؛ لذلك شجب مواقف علماء الغرب من الله، حين أغفلوا وحدانيته وعظمته وهم يغزون الفضاء، ويحققون كشفًا مذهلاً.

وهكذا فإن نشيد الفطرة يغرد في أعماق وجدانه ونفسه وروحه ومشاعره وأحاسيسه، وفي مواقفه ورؤاه حيال الأمور والأشياء والقضايا، فينعكس ذلك النشيد على كل رسائله وكتاباته، فتتبلور بالصورة التي وجدناها في [حاطب ليل ضجر]. وسواء أكانت تلك الأمور صغيرة أم كبيرة. وحتى الصغيرة تستحيل من خلال فطرته إلى قضايا معاصرة كبرى؛ لأن الفطرة أرضعته إياها أمه منذ كان طفلاً، حيث علمته معنى الإيثار، ومعنى عقيدته الإنسانية التي تحرم عليه «قتل أم الفراخ أو محاربتها في رزقها» ولكم يحب تلك الذكريات التي لا يمكن لها «أن تطغى عليها ماديات العصر وغلظته وجفاف طبعه واستباحته لكل محرم». إنها ذكرياته الصبيانية مع سنابل القمح، وقد راح يذود عنها الطير بمقلاعه، ولكنه يرى الطير يرتعش خوفًا وهو يلتقط الحبات بحذر، لذلك انتابته «حالة من الإحساس بالشفقة على فراخه»، فمال عنه وتركه يأخذ رزقه وينصرف.

وكذلك صورة غراب البين وهو يحط على سنام الجمل، ويحفر غاربه بمنقاره لا تفارق مخيلة أديبنا التويجري، ولم تكن صورة صحراوية للجمل الذي أُذِلَّ بأعلى منزلة من منازله فحسب، وإنما هي صورة أسقطها على العصر، حيث «ليس لإنسان سنام لا يقع عليه غراب إذا لم تذده عين لا تنام». ص ١٢٠. وحتى وهو يعبر عن أيام الرمادة المعاصرة في هذه الصحراء، وما لقيه الأجداد والآباء من ضنك العيش وقسوة الأيام والجفاف قبل تدفق النفط، فإنه عبر عنها بعد التدفق بروح نشيد الفطرة، فيما تعلموه وما علمتهم إياه تلك الصحراء، فكانت كلماته ساطعة لما تحمله من دروس وعبر وحكم ورؤى. ص ١٧٣.

وكذلك في مفهومه للسعادة التي تقاس بسعادة الفرد، لا بالساعات والأيام، وإنما هي سعادة الأمة.

وحتى في رموزه بحاطب الليل، وهو يبحث عن جذور السعادة أو الحقيقة التي يستند إليها فإنه لا يجدها في ظل شجرة جرداء، ولا في ظل حائط متداع، وإنما في رحلة مع الفطرة، رحلة الكدح والصبر والشكر لله، رغم قسوة الصحراء، وشموسها المحرقة، ورمالها المتحركة، وسرابها الخادع. هي تجربته التي تعلمها في قلب الصحراء. ص ١٥٦.

إن الأديب التويجري لا يعرف التعصب، ولا التزمت، ولا التشدد في الرأي، حتى في أموره الوطنية والعربية والإسلامية.

وتظل الصحراء بكل أبعادها الأصيلة، وفطرتها الطاهرة النقية. مصدر إشعاع فكره، وصمود موقفه، ونور رؤاه، ومسرح خياله، وطموح آماله، وعشق قلبه. ودونها لا طعم لوجوده وحياته. وهي ليست دعوة إلى الانفصال عن العالم الخارجي وثقافته وحضارته وإنما دعوة إلى التشبث بالأصالة والفطرة:

«فالموطن الذي درجتُ عليه أول خطوة خطتها طفولتي، هو التراب الذي تخطو عليه شيخوختي الآن، وهو الذي لا موت لي في غيره. فثقافتي لم تحملني خارج أودية الصحراء، هي جمل وحصان، وهي خيمة، وهي جبل، وهي رمال، وهي ظباء فلاة، وهي شجرة، وهي غدير، وهي ربيع وخريف، هي الفطرة، هي الطبيعة في غسق الليل أو ضحى النهار، هي أعراف وتقاليد وأصالة، هي ذكرياتنا مع الرسوم والأطلال مع منازل البدوي والبدوية! أيعيبني ذلك عند حضارة العصر ومدنيته؟ لا شعار لي في عصر المزايدة بالشعارات غير [الله أكبر]، فشعار يذلني ويسلبني حريتي مهين أمام [الله أكبر]، أي فطرة هذه التي لا ترى عزتها وكرامتها في الإيمان بمبدع هذا الكون». ص ١٧١.

وإذا كانت أفكار الأديب التويجري الشاخصة، ورؤاه الفطرية قد سكبها وصاغها بقوالب وأشكال وأساليب وألوان متعددة، مستمدة صورها ومفرداتها من ألق وبريق وإشعاع شموس وأقمار ونجوم الصحراء والبادية. فإن ذلك يستأهل من الدارسين والنقاد وقفات طويلات أخرى؛ ليعدوا لنا مقالات خاصة بذلك عسى أن يوفوها حقها من التقدير، وبخاصة حين يركزون على تلاحم كل ما يَعُجّ بفيافي نفسه مع مفردات الصحراء البدوية، ذلك التلاحم العضوي، وبمنأى عن مفردات المدنية ورموزها وجدرانها الاسمنتية وظلالها الرطبة.

الهوامش:

(١) انظر كتابنا [نشيد الفطرة] من تراث الفكر العربي الإسلامي المعاصر. دار المعمر للطباعة. حيث وجدنا في مجلة (الأنصار) - التي صدرت عام ١٩٣٩ م عن جماعة الأنصار التي كان مؤسسها ينتمي إلى قبيلة [النفيعات] البدوية التي تسكن صحراء سيناء وتضم بين صفوفها العديد من أبناء الوطن العربي ممن يعشقون الحرية والنقاء والفطرة التي يجدونها فوق الرمال وتحت الشمس. أجل وجدنا مقالات، ربما بقلم رئيس تحريرها، تفصح عن الروح العربية، والأصالة العربية، والفكر الإسلامي، والقيم التي لا تتعارض مع الشريعة السماوية. بل لقد كانت الفطرة تصبغ نفس العربي بصبغة من الاندفاع التلقائي والطبيعي لمواقف الخير والجود والشجاعة، ولما جاء الإسلام، ودخل العرب أهل الفطرة والأصالة، فيه أفواجًا؛ أبدعوا من خلاله، وتألقوا في مواقف الشرف والتضحية والرفعة والسؤدد، فكانوا بالإسلام روعة الدنيا وبهجة القلوب.

(٢) إصدار دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ. ١٩٨٧ م.

صداع العقول



قصر الصلاة في السفر حال الأمن هل كان استئنافاً أو نسخاً؟

أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

[وفي ذلك التمثيل لغوامض الاستدلال من كلام بعض العلماء - وتبيان مطلب التحقيق الفكري لمعنى النص]

قال أبو عبد الرحمن: أقبل الناس اليوم لاسيما طلبة الأطروحات العالية على تحقيق المخطوطات، فانتشرت الكتب في أيدي المسلمين، وتورمت بكثرة التحشيات. وأدنى مطالب التحقيق ضبط النص كما أراده كاتبه. وأعلاه إظهار ثقافة النص بالضروري من التفسير والتعريف والتخريج.

وتبرم العلماء من أعمال في مخطوطات حُققت فلم تف بالضروريّ من أدنى مطالب النص وتقف عنده.. بل توسعت في غير الضروري فلم نسلم من التورم والتراكم الثقافي.

ومطلب التحقيق الفكري لمعنى النص داخل في منهج التحقيق الثاني الذي وصفته بأنه أعلى المناهج.

ولا يعني هذا المطلب محاورة المؤلف حجة بحجة، واعتراضاً باعتراض، فهذا عمل الشروح والردود والمؤلفات المستقلة.

وإنما المطلب الفكري حل العبارة الغامضة بمقدار ما يكشف عن مراد المؤلف.

وأما صحة المراد بعد وضوحه ، أو بطلانه فمسألةنقدية ليست من ضرورات التحقيق إذا كانت المعارضة بأدلة من خارج. ويكون من الضرورات إذا تعلق النقد بعبارة في النص احتوت على مغالطة أو غفلة، لأن ذلك تقويم للنص فكريًا.

ومسألتي هذه اشتملت على كلام غامض للحافظ أبي عمر ابن عبد البر.

وفي بعض كلامه غفلة أنتجت خطأ.

وقد حشيت على كلامه بتعليقات تكون نموذجًا للمطلب الضروري من التحقيق الفكري.

قال أبو عبد الرحمن: وعناصر هذه المسألة تقرير لمقدار ركعات كل صلاة في السفر في الأمن خلال التشريع، وذكر موجز الأدلة وتحقيق خلاف العلماء، وتحقيق ما تعارض من النصوص في اجتهادهم بالجمع بينهاإن كانت غير متعارضة في الواقع، أو بالترجيح إن كانت متعارضة، ونقل كلام ابن عبد البر المشار إليه آنفًا: فأفك مشكل كلامه، وأجلي مراده،وأنقد الخلل الفكري في العبارة ببيان وجه الغفلة.

قال أبو عبد الرحمن: فأما مقدار الركعات لكل صلاة مفروضة حال الأمن فقد تغيَّر الحكم بالنسخ مرتين فصار له ثلاث حالات:

١- الحالة الأولى: أن الصلاة مشروعة ركعتين للظهر، وركعتين للعصر، وركعتين للعشاء، وركعتين للفجر، وثلاثا للمغرب.

ويدل على هذا ما ورد في الموطأ والصحيحين وغيرهن عن عائشة رضي الله عنها: أن الصلوات فرضت ركعتين ركعتين، ثم زيد في صلاة الحضر فأكملت أربعًا.

٢- الحالة الثانية: نسخ الحالة الأولى بجعل صلاة الظهر أربعًا، وصلاة العصر أربعًا، وصلاة العشاء أربعًا حضرًا أو سفرًا.

والبرهان على هذه الحالة أدلة الحالة الثالثة التي قضت باستقرار صلاة الظهر والعصر والعشاء ركعتين لكل صلاة حال السفر في الأمن، وأن ذلك كان قصرًا يقتضي تمامًا قبله.

والحالة الثالثة: نسخ الحالة الثانية بجعل الصلاة ركعتين لكل من الظهر والعصر والعشاء في السفر حال الأمن.

ومشروعية هذا القصر مجمع عليها وإنما الخلاف في حمل القصر على الوجوب أو الإباحة.

وروى أحمد وأهل السنن عن أنس بن مالك القشيري رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة».

قال أبو عبد الرحمن: والدلالة في وضع، وفي شطر.. فالمشروع بآخرة الوضع من الصلاة في السفر بمقدار الشطر.

قال أبو عمر ابن عبد البر: ووضعٌ لايكون إلا من تمام قبله (١).

قال أبو عبد الرحمن: وخلاف العلماء على هذا النحو:

١- المذهب الأول: ما أسلفته من تغيُّر التشريع على ثلاث حالات، وذلك اختيار الإمام ابن عبد البر كما سيأتي من تحليل كلامه.

٢- المذهب الثاني: تغير الشرع على حالتين ركعتين لكل صلاة رباعية الآن حضراً أو سفراً، ثم زيادة ركعتين لكل من الصلوات المذكورة حال الحضر.

وهذا هو ظاهر خبر عائشة رضي الله عنها لنصها على أن الزيادة في الحضر، وأن السفر باق على الأصل.

وبذلك أخذ الشعبي، والحسن البصري في رواية، وميمون بن مهران، ومحمد بن إسحاق.

وخبر عائشة مصروف عن ظاهره ببرهان ضروري يعارضه ويقضي بغيره، وذلك أن صلاة السفر قصر، فهي منقوصة من صلاة أطول، فَصَحَّ أن صلاة السفر زِيدَ فيها عن الأصل الأول ثم نقصت.

٣- المذهب الثالث: أن الأصل فرض الصلاة في الحضر أربعًا، وفي السفر اثنتين سوى المغرب والفجر.

وحجة ذلك الحديث الصحيح الذي رواه أبو عوانة، وأحمد، ومسلم، وأبو داوود، والنسائي، وابن ماجه، وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعًا، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة.

وفي السنن الكبرى للبيهقي: من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم قال: فرضت الصلاة في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين.

وقد حسنه أبو عمر ابن عبد البر (٢).

قال أبو عبد الرحمن: ليس في هذين الخبرين إلا أن ذلك كان مفروضًا، ولا يلزم منهما أن ذلك أول الأمر إلا أنه ورد عند ابن عباس من رواية نافع بن جبير بن مطعم: أن الصلاة فرضت في أول ما فرضت أربعًا إلا المغرب فإنها فرضت ثلاثا والصبح ركعتين. وليست هذه الرواية ذات علاقة بهذا المذهب، لأنها لم تذكر حال السفر.

وأما قوله «في أول ما فرضت» فيأتي بيان وجهه إن شاء الله.

قال أبو عبد الرحن: واعتبر ابن عبد البر الخبرين خلافًا لعائشة رضي الله عنها، فقال: «ذكر في التمهيد من خالف عائشة في ذلك من الصحابة وغيرهم [رضي الله عنهم]، فقال: بل فرضت الصلاة في الحضر أربعًا وفي السفر ركعتين.

وربما قال بعضهم: فرضت الصلاة في الحضر أربعًا، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ركعتين.

منهم عمر، وابن عباس، وجبير بن مطعم.

ثم قال: وهذا يدل على خلاف ما قالت عائشة، إلا أن حديث عائشة من جهة الإسناد أثبت (٣).

ومن ظن أن ظاهر الخبرين كون صلاة السفر في الأصل ركعتان ففهمه مدفوع بأدلة مشروعية القصر المقتضية تنقيصًا بعد تمام، فامتنع بذلك أن يكون الأصل في السفر ركعتين حينما ورد الحكم بالقصر.

قال أبو عبد الرحمن: وأما تحقيق خلاف العلماء، وتحقيق ما تعارض من النصوص في اجتهاد بعضهم، فتحمل أقوالهم، وتحمل النصوص على وجه صحيح يرفع التعارض، ويكون ارتفاع التعارض دليل ترجيح.

وبيان ذلك بملاحظة المراعى في الخبر عن مشروعية صلاة السفر، فبعضهم راعى المآل فحسب، وذلك هو مذهب عمر ومن معه رضي الله عنهم. وبعضهم راعى ابتداء الأحوال تارة، ومآلها تارة، وذلك هو خبر عائشة رضي الله عنها.

قال أبو عبد الرحمن: وبمراعاة ابتداء الأحوال ومآلها معًا تجتمع نصوصهم ونصوص الشرع على وجه صحيح، وتكون أحوال التشريع ثلاثًا استقرت على الحال الأخيرة.

فخبر عائشة رضي الله عنها صحيح الثبوت واجب التصديق، ونصه عن الصلاة الرباعية الآن أنها ركعتين ركعتين.

ثم وجدنا الدلائل على أنه حصلت زيادة، ثم حصل قصر، فعلم أن ما أخبرت به عائشة هو أول الأحوال.

وأخبرت أنه زِيدَ في الحضر، وأن السفر بقي على الأصل ركعتين.

ولو لم يرد غير هذا الخبر لكان المعنى الذي لا احتمال غيره أن التشريع حالتان فقط، الأخيرة منهما زيادة ركعتين في الحضر.

ولكن قام البرهان على أن صلاة السفر قصر من صلاة رباعية تامة مما يدل على أن هناك حالة ثانية كانت فيها صلاة كل من الظهر والعصر والعشاء رباعية، ثم جاءت حالة ثالثة تقتضي قصر صلاة السفر بتنقيص شطر من صلاة الحضر.

وإذن فلابد من حمل كلام عائشة رضي الله عنها على وجه صحيح يوافق دليل الترجيح القاضي بأن صلاة السفر زيد فيها قبل أن تبقى على الأصل.

والحمل أن يقال: المآل الحالة الثالثة، وهو كون الحضر أربعا والسفر اثنتين.

ونظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحالة الأولى والثالثة وأسقطت الثانية، فكان مآل صلاة السفر العودة إلى الأصل والبقاء عليه.

وكان مآل صلاة الحضر الزيادة على الأصل.

وهذا معنى صحيح مرجوح قبل الدلائل على الحالة الثانية والثالثة، فلما وجدت الدلائل أصبح المرجوع مرادًا متعينًا بأدلة الترجيح.

وخبر ابن عباس وعمر رضي الله عنهم ليس فيه الكلام عن حالات التشريع والأصل فيهن، وإنما أخبر عن حكم الحضر والسفر في المآل الذي استقر في الحالة الثالثة.

وإنما المشكل رواية نافع بن جبير: «أن الصلاة فرضت أول ما فرضت أربعًا إلا المغرب والصبح».

قال أبو عبد الرحمن: يحمل هذا على الجهل بالحالة الأولى التي ذكرتها عائشة رضي الله عنها، كما يحمل الخبر أيضا على حالة التمام قبل القصر، وذلك هو الحال الثانية، لأن التعبير بأول، والجهل بحالة الحكم الأول الذي ذكرته عائشة، والخبر بالتمام دون تفريق بين حضر

صداع العقول:

قصر الصلاة في السفر حال الأمن هل كان استئنافاً أو نسخاً؟

وسفر اقتضى أن المخبر عنه الحالة الثانية، وأما كلام ابن عبد البر الذي ذكرت أن فيه غموضاً وإغفالاً فهذا نصه:

قال رحمه الله تعالى:«فإن قيل: إن حديث عائشة صحيح من جهة النقل، وهو أصح إسناداً من حديث القشيري وغيره، وأصح من حديث ابن عباس [رضي الله عنهم]: فالجواب: أنّا لا حاجة بنا إلى أصل الفرض إلا من طريق القصر (٤).

ولا وجه لقول من قال: إن حديث عائشة [رضي الله عنها] يعارضه قول الله تعالى: ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾ [سورة النساء - ١٠١] (٥).

وقد أجمع العلماء أنه لايكون القصر من ركعتين في شيء من السفر في الأمن (٦)، لأن حديث عائشة قد أوضح أن الصلاة زيد فيها في الحضر (٧).

ومعلوم أن الفرض فيها كان بمكة، والزيادة كانت بالمدينة، وأن سورة النساء متأخرة، فلم يكن القصر مباحاً إلا بعد تمام الفرض (٨).

وذلك يعود إلى معنى واحد في أن القصر إنما ورد بعد تمام الصلاة أربعاً (٩).

ولا حاجة إلى أصل الفرض اليوم، لأن الإجماع منعقد بأن صلاة الحضر تامة غير مقصورة (١٠)، وبالله التوفيق» (١١).

قال أبو عبد الرحمن: وذكر ابن عبد البر الأخبار عن فرض الصلاة في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين. والخبر عن فرض الصلاة أول ما فرضت أربعاً.

والخبر عن وضع شطر الصلاة عن المسافر.

ثم الخبر مرة ثانية عن فرض الصلاة في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين.

ثم قال بعد هذا كله : «فدل هذا كله على أن القصر كان من أربع إلى اثنتين، وعلى أن الأصل كان أربعاً لا ركعتين (١٢)، والله أعلم» (١٣).

وقال أبو عمر في موضع آخر: «وقد طعن قوم في حديث عائشة لقول الله عز وجل: ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾ [سورة النساء - ١٠١]، فقالوا: لو كانت ركعتين لم يقصر، لأن الإجماع منعقد أن لا يصلي المسافر الآمن في سفره أقل من ركعتين في شيء من الصلوات.

فأي قصر كان يكون لو كانت الصلاة ركعتين؟!.

وهذه غفلة شديدة، لأن الصلاة إن كانت فرضت بمكة ركعتين كما قالت عائشة فقد زيدَ فيها على قولها (١٤) بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة.

وبعد ذلك أنزلت سورة النساء بإباحة القصر للضاربين في الأرض، وهم المسافرون (١٥).

وهذا لايخفى على من له أقل فهم (١٦).

على أنّا نقول: إن فرض الصلاة استقر من زمان النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين لمن شاء عند قوم.

وعند آخرين على الإلزام.

فلا حاجة بنا إلى أول فرضها لما فيه من الاختلاف» (١٧).

الهوامش:

(١) الاستذكار ١٧٩/١.
(٢) الاستذكار ١٧٩/١.
(٣) الاستذكار ٥٩/٦ - ٦١.
(٤) ستدل بقية كلامه، وسيدل لازم كلامه على أن العلم بأصل الفرض لا يترتب عليه ثمرة عملية إن صح أن الأصل ركعتان.
وإنما العبرة بالحالة التي كانت عليها الصلاة قبل القصر سواء كانت تلك الحال أول الأمر أو ثانيه. لهذا فلا حاجة بنا إلى العلم بأصل الفرض الأول، وإنما حاجتنا إلى الحالة قبل القصر.. هذا معنى قوله: «إلا من طريق القصر».. ولم يبين وجه الحاجة ما هو؟
قال أبو عبد الرحمن: يلزم من هذا الرأي أنه أيضا لا حاجة بنا إلى العلم بما كانت عليه الحال قبل القصر مباشرة، لأن الثمرة العملية فيما استقرت عليه الحال في المرحلة الثالثة.
وإنما علمنا الحالة قبل القصر مباشرة بالضرورة لا عن حاجة دفعتنا، لأن المباح في السفر الشطر، وإذن فالملقى عنّا شطر.
(٥) وجه المعارضة أن الأصل لو كان ركعتين ركعتين لاقتضى القصر الصلاة في السفر ركعة واحدة، ولا قائل بذلك.
(٦) الإجماع يدل على أن القصر لما شرع كان التمام أكثر من ركعتين.
وخبر عائشة أن الصلاة كانت ركعتين ركعتين بما في ذلك صلاة السفر.
فالتعارض حاصل، وابن عبد البر يريد إزالته.
(٧) أراد ابن عبد البر نفي التعارض فجعل الآية مبيحة القصر بعد الزيادة التي ذكرتها عائشة.
قال أبو عبد الرحمن: بل لا يزال التعارض باقياً، لأن عائشة رضي الله عنها أخبرت عن الزيادة في الحضر، وأن صلاة السفر بقيت على الأصل.
ولكن التعارض يرتفع بما حررته في تحقيقي لخلاف العلماء.
(٨) هذا السياق أخْذٌ بحديث عائشة، وحَملٌ له على حالة أولى بمكة المكرمة، ثم كانت الزيادة حضراً وسفراً بالمدينة المنورة، ثم كان القصر في السفر بعد ذلك بمقتضى الآية (١٠١) من سورة النساء.
(٩) المشار إليه بذلك هو الأحوال الثلاث التي مر ذكرها، والمشار إليه يعود إلى أمرين لا أمر واحد وهما:
ما ذكره ابن عبد البر من كون القصر يقتضي تماماً،
وما أغفله ابن عبد البر وهو أن التمام مسبوق بحالة أولى ذكرتها عائشة كانت بنقص الشطر.
(١٠) هذا التعليل ينفي الحاجة إلى العمل بالحالة الأولى، ولا ينفي الحاجة إلى العلم بها، لأن هذا العلم دليل على النسخ الذي أنكره بعض المبتدعة، وفيه توجيه صحيح للأخبار الصحاح كحديث عائشة رضي الله عنها لتدل على المراد الصحيح فيرتفع التعارض.
والزهادة في طلب علم ذلك لا تواجه بها دعاوى المبطلين في رد صحاح الأخبار والقدح فيها بدعوى منهم أنها متناقضة، وبدعوى على العلماء بأنهم حاروا فيها لتناقضها فلاذوا بدعوى أنه لا حاجة إلى طلب العلم بها.
(١١) الاستذكار ١٨٠/١.
(١٢) ليس كل ماذكره ابن عبد البر دالاً على ما انتهى إليه، فالخبر بأن صلاة الفرض أربع في الحضر ركعتان في السفر لايدل على أن القصر كان من أربع إلى ثنتين.
(١٣)الاستذكار ١٧٧/١ - ١٧٩.
(١٤) الذي على قولها الزيادة في الحضر فحسب، وأما السفر فقالت إنه على الأصل ركعتان.
ولكن تحقيق خلاف العلماء الذي مر وجّه أن مرادها عودة حكم السفر بعد الزيادة الأولى إلى حال الأصل الأولى.
(١٥) وذلك حال الخوف، وخبر عائشة رضي الله عنها عن حال الأمن.
قال أبو عمر في الاستذكار ٣٩/٦ - ٤١: «مالك : عن ابن شهاب: عن رجل من آل خالد بن أسيد أنه سأل عبد الله بن عمر [رضي الله عنهم] فقال: يا أبا عبد الرحمن: إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن، ولا نجد صلاة السفر؟.
قال ابن عمر: يا ابن أخي: إن الله عز وجل بعث إلينا محمداً صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئاً، فإنما نفعل كما رأيناه يفعل.
قال أبو عمر: معنى قوله: «ولا نجد صلاة السفر»: يعني في القرآن، لأنه لا ذكر لها في القرآن.
وسؤال السائل عن صلاة السفر في الأمن دون الخوف.
وإنما في القرآن قد قال الله تعالى ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ [سورة النساء/١٠١].
فأجابه ابن عمر بكلام معناه أن الذي نزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم قصر وهو آمن في السفر، ونحن نفعل كما رأيناه يفعل».
قال أبو عبد الرحمن: خبر ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والبيهقي وابن جرير، وصححه ابن حبان والحاكم كما في تحشية محقق الاستذكار.
(١٦) لايخفى هذا لو أن عائشة رضي الله عنها حكت الزيادة في صلاة السفر، فتحمل نصوص القصر في السفر في الأمن على مرحلة من التشريع ثالثة. وتوجيهي لكلام عائشة رضي الله عنها بوجه صحيح خلال تحقيقي خلاف العلماء جعل خبر عائشة غير معارض للآية، لأن الآية عن الخوف، ولأن عائشة أخبرت عن القصر في السفر في الأمن بمآل آخر الأحوال، ولم تستقص الخبر عن مراحل التشريع.
(١٧) الاستذكار ٦١/٦.
قال أبو عبد الرحمن: لا يعطل العلم بمقتضى النصوص الصحيحة من أجل الاختلاف، بل يحقق الاختلاف ويرفع التعارض بالوسيط غير المرفوع، أو بالترجيح.



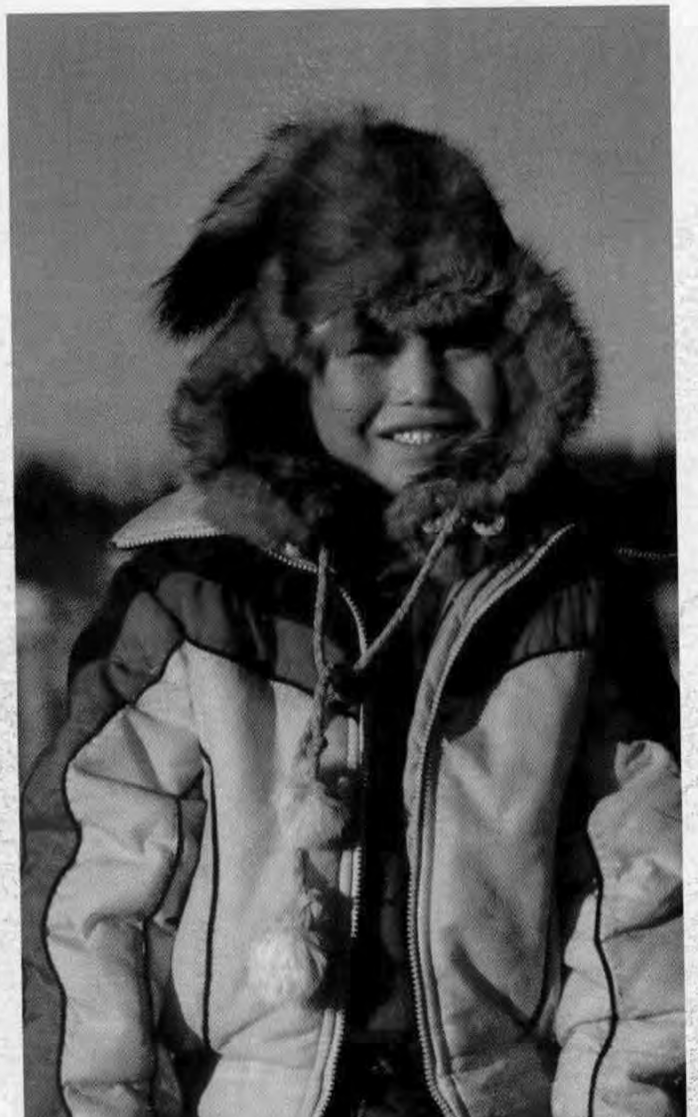
الاسكا

بلاد الحياة البرية والثلج الدائم

إعداد: عدنان عضيمة ـ محمد أحمد النهاري

بلاد الطبيعة العذراء والبراري الخلاّبة والثروات الوفيرة، أطلق عليها سكانها الأصليون من الأسكيمو والهنود الحمر اسم (ALAKCHAK) أي (الأرض الواسعة) وهي الكلمة التي حُرِّفت فيما بعد إلى (ALASKA). اكتشفت أول مرة عام ١٧٢٨م عندما بلغها المغامرون الروس من تجّار الفرو لتصبح - عام ١٩٥٩م ـ الولاية الأمريكية التاسعة والأربعين . وبين هذين التاريخين مرّت بآلاسكا حملات من الغزو التجاري والاستكشافي المتعددة كان أبطالها الروس ثم الإسبان والإنجليز والأمريكيون. وأرض آلاسكا شديدة الاتساع تقع أقصى شمال غربي قارة أمريكا الشمالية وتبلغ مساحتها ١.٥ مليون كيلو متر مربعٍ (حوالي ربع مساحة الولايات المتحدة كلها، وتحتوي على ٥٠٠ نهر جليدي و ٣ ملايين بحيرة.) وتنحصر بين خطّي الطول: ١٣٥ و ١٦٥ درجة شرق خط جرينيتش، وخطي العرض ٥٠ و٨٠ درجة شمال خط الاستواء





طفل آلاسكي يرتدي سترة مصنوعة من الفرو لتقيه برودة الجو

الطبيعة العذراء

وسرعان ما يشعر زائرها أنه مغامر مكتشف عندما يقع بصره على الطبيعة العذراء المتوحشة والبراري والغابات الوعرة التي تستوطنها المئات من أنواع الحيوانات والطيور والنباتات البرية النادرة. وسوف يدهشه المنظر الخلاب لأضواء الشفق القطبي المتلألئة بألوان فائقة الروعة والجمال، وستبهره رؤية الأنهار الجليدية المنحدرة برفق شديد من أعالي الجبال الشاهقة لتصب في البحيرات والمضايق البحرية الجميلة مشكلة كتلا عائمة من الجليد تعطل حركة الملاحة.

وتنطوي طبيعة آلاسكا وأرضها على الكثير من الخصائص والمفارقات المميّزة فهي تشرف على شواطئ يزيد طولها على ٦٠٠٠ كيلو متر، وفي شمال غربي آلاسكا تصبح حدود قارة آسيا على مرمى البصر إذ تبعد حدود الاتحاد السوفييتي السابق ٥ كيلو مترات فقط عن مدينة نوم NOME الآلاسكية. ويبعد مركز القطب الشمالي ٢٥٠٠ كيلو متر عن الحدود الشمالية لآلاسكا. ولكن المغامر المكتشف الذي يقطع آلاسكا من جنوبها إلى شمالها سيقع على تغيرات كبيرة في درجات الحرارة تتراوح بين ما يزيد على العشر درجات فوق الصفر المئوي جنوبا إلى دون العشرين درجة تحت الصفر المئوي شمالاً.

والقطار الوحيد الذي يخترق آلاسكا يعبر مروجا شديدة الاخضرار تحاذي آلاف البحيرات والأنهار الصغيرة ليعبر بعد ذلك خمس سلاسل جبلية تشمخ في إحداها أعلى قمة في سلاسل جبال القارة الأمريكية برمتها هي قمة جبل ماككينلي McKinley التي يبلغ ارتفاعها ٦١٨٢مترًا عن سطح البحر.

وتنساب من جبال آلاسكا وشواطئها مئات الجليديات (الأنهار الجليدية) glaciers التي يعود تاريخ تشكل معظمها إلى ما لايقل عن ١٠٠٠٠سنة حين ساد العصر البليوستوسيني الجليدي.

وتعد جليدية مالاسبينا Malaspina من أكبر هذه الجليديات، حيث تفوق في مساحتها مساحة ولاية رود أيلاند الأمريكية.

ويحد آلاسكا محيطان وثلاثة بحار، وتحتضن هذه الولاية الشاسعة العديد من صور الحياة البريّة التي بقيت عذراء بفضل التطبيق الصارم لقوانين حماية البيئة والحياة البريّة التي سنّتها الحكومة الأمريكية مؤخرا. ومن أشهر الحيوانات التي تقطن مروج آلاسكا وجبالها حيوان (الموظ) moose وهو نوع من الأيائل الضخمة، يستوطن شمال القارة الأمريكية ويتميز بقرنين متشعّبين بكثافة تلتحم فروعهما بنسيج قرني، وحيوان الرنّة والدببة السوداء والبنية والرمادية التي تعيش إلى جانب البيسون أو الثور الأمريكي bison والثعالب والغزلان. ويلاحظ أن الدببة والفظّاظات (مفرده فظّ Walrus وهو حيوان ثديي بحري يشبه الفقمة، وله نابان طويلان من العاج ذي النوعيّة الممتازة خارجان من الفم) لاتشاهد إلا في أقصى المناطق الشمالية لآلاسكا. وتنتشر هناك أيضا القضاعات (ثعالب الماء) otters والفقمات seals والحيتان والدلافين وخنازير البحر وأنواع لاتعد ولاتحصى من الأسماك السابحة تحت



مدينة «أنشوراج» (تأسست ١٩١٤م)، في حركة الحياة اليومية، وهي المركز الرئيس للسكك الحديدية في آلاسكا

مياه البحار والمحيطات . ويقدّر علماء الطيور عدد الأنواع التي أحصيت منها في آلاسكا بثلاثمائة وسبعة وتسعين نوعًا.

وتعد آلاسكا أيضا محط اهتمام علماء النباتات وعشّاقها، حيث تزخر الأراضي والمروج بأنواعها التي يندر أن تتوافر في مناطق أخرى على الأرض. وفي فصلي الربيع والصيف تتفتح فيها أنواع رائعة من الزهور.

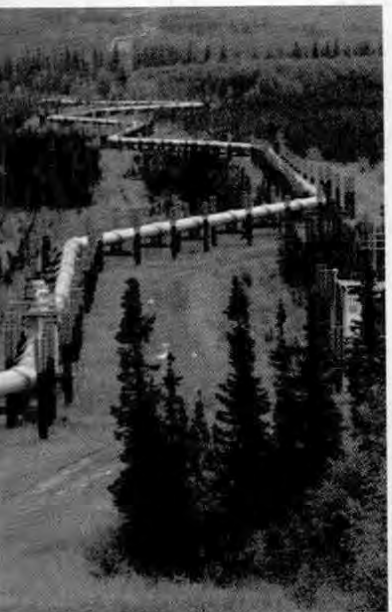
وليست الحياة البرّية الرائعة في آلاسكا أشد إثارة وغرابة وتنوّعا من طقسها، ففي الوقت الذي تنخفض فيه درجة الحرارة في أقصى الشمال إلى دون درجة الصفر المئوي بكثير بحيث لا ينصهر إلا القليل من الجليد حتى في عزّ الصيف، فإنّ درجات الحرارة ترتفع في جنوبها إلى حدّ الاعتدال.

وعند الاتجاه شمالا تصبح أيام الصيف أكثر طولا وأيام الشتاء أكثر قصرا.

وعند الدائرة القطبية الشمالية حيث يقطع خط العرض الوهمي ٦٦ درجة شمال خط الاستواء، الثلث الأعلى لآلاسكا لاتغرب الشمس أبدا في أواسط فصل الصيف. وخلال فترة الانقلاب الشتوي لاتشرق الشمس أبدا وهذا هو أفضل الأوقات لمشاهدة أضواء الشفق القطبي التي تدعى (الأضواء الشمالية) وتؤدي إلى تألق أفق السماء في فترة المساء بأضواء ملوّنة رائعة.

من الجليد إلى النفط

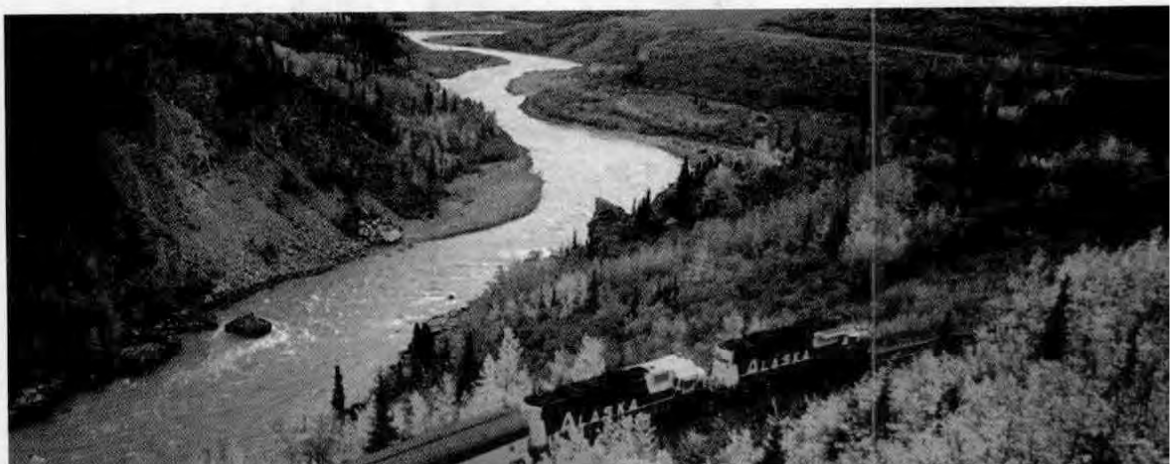
وقد اتجهت أنظار الأمريكيين إليها بسبب الجليد لأن سكان كاليفورنيا كانوا يحصلون على المياه من جليد إنجلترا، ولصعوبة نقله، اتجهوا إلى جليد آلاسكا لنقله من مدينة سيتكا. وكانوا يحوّلون الجبال الجليدية إلى مكعبات ثلجية يصل ثمن الطن الواحد منها إلى ٧٥دولارًا. وأقبل الأمريكيون على ذلك الجليد لسهولة



أنبوب النفط في آلاسكا يخترق الحقول الجميلة من خلي



ميناء «هومر» وقد بدت من خلفه الجبال العالية



قطار آلاسكا أثناء مروره في حديقة دينالي الوطنية ذات المناظر الطبيعية الرائعة الواقعة بين مدينتي فيربانكس وأنشوراج

تقطيعه، ولأنه يأتي من مدينة درجة حرارتها حوالي ٢٠درجة مئوية تحت الصفر في فصل الصيف، مما دعا سكان آلاسكا لإنشاء مصنع لهذا الغرض منذ عام ١٨٨٠م. ثم اشترى الأمريكيون آلاسكا من روسيا وزادت أهميتها بعد اكتشاف الذهب في مدينة يوكون عام ١٨٨٦م، فتدفق عدد كبير من البشر بحثا عن الذهب، وأقيم لهم معسكر على الحدود الكندية عام ١٨٩٣م وكانوا حوالي ١٠٠,٠٠٠فرد.

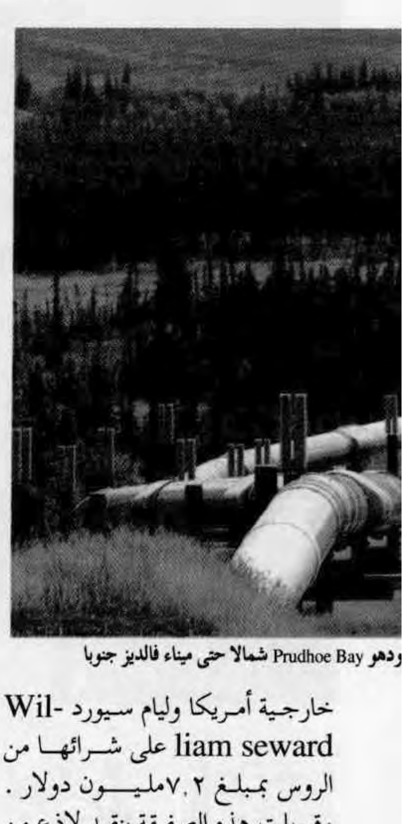
وظهور البترول في آلاسكا - بعد الاكتشافات الأولية عام ١٩٥٧م - في الحقول المطلة على نهر (سوان سن) في منطقة كيناي بينولا، أضاف إليها أهمية أخرى وقد قُدِّر احتياطي النفط ما بين ٥ - ١٠بليون برميل .

وقد قامت الشركات البترولية بتطوير جزر صناعية؛ لتتمكن من استمرار البحث عن البترول والغاز الطبيعي.

التاريخ القصير لآلاسكا

بالرغم من قصر تاريخ آلاسكا فإنها مرت بظروف معقدة وشهدت مفارقات غريبة حتى أقرّ الكونجرس الأمريكي قانون ضمها إلى الولايات المتحدة عام ١٩٥٩م لتصبح الولاية التاسعة والأربعين وذلك بعد مرور أكثر من قرنين على اكتشافها. وكان أول من اكتشفها مجموعة من البحارة الروس قدموا إليها من أعالي سيبيريا عام ١٧٢٨م وحطوا رحالهم في «جزيرة سانت لورنس». وبعد نحو ثلاثين عاما وصلت بعثة استكشافية أخرى بقيادة «فيتوس بيرينغ» الأرض الرئيسة لآلاسكا. وسرعان ماجذبت تجارة الفرو المزدهرة العديد من المغامرين عقب الغزوات الأولى حتى بلغوا شواطىء أرخبيل الجزر الآلوسيّة الواقعة إلى أقصى غرب وسط آلاسكا وشيّدوا هناك مراكز لتجارة الفرو. ومع حلول عام ١٧٨٤م أنشأ الروس أول مركز للإقامة الدائمة في جزيرة كودياك الواقعة في خليج آلاسكا. وتبعت هذه الفترة مرحلة الكشوف الإسبانية والإنجليزية.

وفي عام ١٨٦٧م برز الاهتمام الأمريكي بآلاسكا عندما أقدم وزير



ودهو Prudhoe Bay شمالا حتى ميناء فالديز جنوبا

خارجية أمريكا وليام سيورد -Wil liam seward على شرائها من الروس بمبلغ ٧,٢مليون دولار. وقوبلت هذه الصفقة بنقد لاذع من الرأي العام والصحافة الأمريكية التي وصفتها بأنها (حماقة سيورد)!.

وسرعان مااكتشفت في هذه الأراضي - التي لم تكلف الولايات المتحدة أكثر من بضعة سنتات للهتكار الواحد - مجموعة من أغنى مناجم العالم بالذهب وآبار النفط. وكان إنتاجها من الذهب قد وصل في تلك الفترة إلى حوالي مليار دولار سنويا.

وكان السؤال المطروح أمام السكان الأصليين والمسؤولين عن إدارة شؤون الولاية: كيف يمكن استغلال الثروات الطبيعية الوفيرة في آلاسكا دون الإضرار ببيئتها وجمال طبيعتها وتراث سكانها الأصليين وتقاليدهم؟



تشق هذه الطائرة طريقها بصعوبة، وسط ظروف جوية سيئة.

ومع اكتشاف حقول النفط الغنية في خليج برودهو Prud-Hoe Bay في شمالي آلاسكا عام ١٩٦٨م ازدادت مشكلة الحفاظ على الأرض والبيئة البرّية تعقيدا وبخاصة بعد تصاعد موجة الاحتجاج من قبل السكان الأصليين من الأسكيمو والهنود الحمر ضد تدمير بيئتهم والقضاء على تراثهم.

وأفضت مناقشة المسألة في الكونجرس الأمريكي إلى إقرار قانون صارم يرمي إلى حماية البيئة والحياة البرّية في آلاسكا وقعه الرئيس الأسبق جيمي كارتر عام ١٩٨٠م، وهو القانون الذي وضع مساحات شاسعة من أرض الولاية تحت حماية الدولة بعد أن حُوِّلت إلى حدائق وطنية محمية.

وهناك عوامل طبيعية عديدة كانت - ولاتزال - تعرقل السعي للتوسع في إنشاء المدن والحواضر والجسور والطرق وخطوط السكك الحديدية في آلاسكا. ومن أهم هذه العوامل الأنهار الجليدية الكثيرة التي تنساب من أعالي الجبال والبحيرات والأنهار، والجزر التي تعد بالآلاف، بالإضافة للانتشار الدائم للجليد في معظم مناطق الولاية. هذه العوائق جعلت الطوّافات البحرية والطائرات الخفيفة

الوسـائل المفضـلة للتنقل بـين أرجـاء الولاية وحواضرها وحدائقها.

أرض واحدة وقبائل شتى

مصطلح سكان آلاسكا الأصليين ليس دقيقـا بالمعنى الصحيح لأن سكانهـا قدمـوا من أماكن متـعددة، يدل على ذلك لغـاتهم المختلفـة، ولكن ذلك لايمنع مـن وجـود ثقـافـة وعـادات مشتركة بين جميع القبائل.

ويُعتقد أن سكان آلاسكا الأصليين قد قـدمـوا من آسـيا من طريق ممتـدة بين سيبيريا وآلاسكا. وقد انـقسمـوا في الوقت الحـالي إلى ثلاث مجـموعـات هي الأسكيمـو والليـوتس والـهنود الحمر. وقد صنّف علمـاء الإنسان قبـائل الليـوتس بأنهم من الأسكيـمو على أساس لغـتـهم. وهذه القـبـائل تفضل العيش في مجموعات منفردة لاختلاف ثقـافـتهم. أمـا الهنود فـهم شعـب الأثاباسكان المكوّن مـن عـدة قـبـائل مـنهـا: تلينغـيت وهـايدا وتسيمـشيـان. وهناك اختـلاف ـ في اللغـة ـ واضح بين القبـائل الـهندية، فمـثلا: لغـة الليوتس تختـلف من قرية إلى أخـرى ، ويوجد حـوالي ١١فرقـا لغويًا في لغة شعب الأثاباسكان.

والسكان الأصليّون من الأسكيـمـو والهنود الحـمـر الذين يقطنـون مناطق أقصى الشمال قريبا من الدائرة القطبية مـازالوا يـعيشـون حيـاة بدائيـة لم يقتـحمـها النمط الأمريكي بعد.وإن كـان بـعض الآلاسكيين يعـملون في صيـد الآيل والسلمـون في كـودياك، وبعـضـهم يعمـل في وظائف، ومنهم من تخـرج في الجامعـات بعد دراسـة القـانون . كـمـا قـام المغـامـرون والمكتـشـفـون الأمـريكيـون منذ بداية القـرن الحـالي بنقل أسس الطريقـة العصرية للحياة ومقوّماتها إلى المناطق الجنوبية من آلاسكا.

ويبني سكان آلاسكا بيوتهم من المواد المتوافرة لديهم وتكـون على شكل قبة في معظم تصاميمها، ويُشيَّد هيكلها الداخلي مما تجلبه التيـارات المائية من أخشاب عائمـة، وتُغَطّى هذه الهياكل



قارب سياحي يشق طريقه عبر القطاع المنصهر من جليدية بورتاج Portage Glacier جنوب غربي آلاسكا.



في انتظار شروق الشمس لتذيب هذا النهر الجليدي الذي يقع بالقرب من هاينس



آثار عاصفة ثلجية هبت على منزل في «ماك جراث»

بجلـود الحـيـوانات والـطحـالب. ومـدخل هذه الأكـواخ عبـارة عن سرداب ضيق أو فتـحة تُحفر في أعلى السقف.

وأرضية الكـوخ تُحفـر بحيث تكون تحت سطح الأرض. وقليل من سكان آلاسكا من يعيش في منازل ثابتة. فهم عند حلول الصيف يتنقلون من مكان إلى آخـر لجمـع الطعام الموسـمي مثل سمك السلمون وحيوانات الآيل.

أمـا إذا توافـرت الأخـشـاب، فـإنهـا تستـخدم في الوقـود والإضـاءة. وفي حالة عدم توافرها يعتمد السكان على الزيوت المستـخرجـة من الثـديـيات البحرية لأغـراض التدفئة والإضـاءة. ويعتـمـد جـميع سكان آلاسكا على الطب الشعبي والأعشاب للتداوي من الأمراض.

وبالنسبـة للتنقل فيعـتمد غالبـية سكان آلاسكا على القـوارب عبـر المجاري المائيـة.ويبـدي السكان الأصليـون



أكواخ خشبية تطل على الحقل الجليدي «هاردينج» بالقرب من «سيورد»



منصة لاستخراج الذهب في إحدى البحيرات القريبة من مدينة فيربانكس



في مدينة انشوراج يستخدم السيّاح المناطيد لإلقاء نظرة من عل على الطبيعة الخلابة لآلاسكا

لآلاسكا تمسكًا شديدًا بعاداتهم وتقاليدهم الموروثة. فعلى الرغم من استعمال العربات الثلجية الآلية والطائرات بدلا من زحّافات الجليد التي تجرّها الكلاب، فإنه من المشكوك فيه حتى الآن أن تصبح مثل هذه الاختراعات الحديثة محل قبول السكان الأصليين.

احتفالات رياضية

تقام في آلاسكا خلال فترة الصيف العديد من الاحتفالات، أهمها وأكبرها ذلك الذي يقام في الرابع من يوليو في مدينة «كوتزيبو». ويختلف هذا الاحتفال عن سواه من حيث الأسلوب والفقرات. فهو لا يحتوي على ألعاب تقليدية كما هو متعارف عليه، لكنه يقوم أساسًا على هواية قديمة هي هواية صيد الدلافين حيث تُمنح الجوائز للصيادين الماهرين الذين يتمكنون من اصطياد أكبر عدد من الدلافين.

وبعد أسبوع من هذا الاحتفال يبدأ موسم تجارة القطب الشمالي حيث يتوافد العديد من النساء والرجال يحملون تجارتهم المكونة من المصنوعات اليدوية سواء كانت جلدية أو سواها. وحركة البيع والشراء تلك لا تمنعهم من الاستمتاع بالأجواء الثلجية الجميلة من خلال أداء الرقصات الفلكلورية ذات الطابع الجماعي.

وبعد هذا الأسبوع تبدأ الألعاب الأولمبية السنوية للأسكيمو، حيث تتم المنافسة في الألعاب التالية: الملاكمة وشدّ الحبل وتشابك الأيدي وقذف عمود خشبي أثناء المشي السريع. ويجد المشاهدون متعة من خلال متابعة تلك النشاطات الرياضية المثيرة. وهذا لا يمنع من حدوث إصابات عديدة خطرة في الوقت نفسه للرياضيين أثناء المشاركة.

أهم المدن والحواضر

يبلغ عدد سكان آلاسكا نحو نصف مليون ساكن وفقا لإحصائيات عام ١٩٩٠م، يعيش أكثر من نصفهم في مدينة أنشوراج الواقعة على شاطئ خليج آلاسكا أقصى جنوب المنطقة الوسطى من الولاية.

ويعود سبب الكثافة السكانية الكبيرة في هذه المنطقة إلى العوامل المناخية، حيث يحتمي سكانها بالسلاسل الجبلية المحاذية للشاطئ من الرياح القطبية الباردة. وكانت أنشوراج فيما مضى مقصدًا للباحثين عن الذهب وتجار الفرو، وهي اليوم العاصمة المالية والاقتصادية للولاية. وتتميز هذه المنطقة أيضا بغناها برواسب الذهب، كما أن طول نهارها في فصل الصيف، وبخاصة في وادي ماتانوسكا يجعلها من أكثر أراضي آلاسكا خصوبة وإنتاجا للعديد من المحاصيل الزراعية والفواكه والخضار.

وإلى أقصى الجنوب تطل مدينة جونو Juneau الجميلة على خليج آلاسكا. وهي العاصمة السياسية لولاية آلاسكا، وتشتهر بأنها موطن واحدة من أضخم الجليديات في العالم تدعى جليدية مندنهول، وهي نهر جليدي يبلغ طوله ٢٠ كيلو مترا ويصب في غابة تونجاس الوطنية في ضواحي المدينة.

وتشكل الأرض الواقعة شمال غربي خليج آلاسكا شبة جزيرة تدعى شبه جزيرة كيناي، تنتهي في أقصى الغرب بأرخبيل من الجزر تدعى الجزر الآلوسيّة يزيد عددها على ألف جزيرة، وتشتهر بالأعداد الهائلة من الفقمات والقضّاعات التي تستوطن شواطئها وتشتهر بفروها الممتاز.

وإلى الجنوب من شبه جزيرة كيناي تقع جزيرة كودياك التي تضم مدينة تحمل اسم كودياك أيضا، وهي أقدم تجمع حضري في الولاية كلها، حيث يعود تاريخ إنشائها إلى عام ١٧٨٤م حين بناها الروس وجعلوها أكبر مركز تجاري لاستغلال فرو القضّاعات وتسويقه.

ويخترق المنطقة الوسطى لآلاسكا نهر يوكون الذي يبلغ طوله ١٦٠٠ كيلو متر، حيث ينبع من السلسلة الجبلية المحاذية لشاطئ خليج آلاسكا، ويصب في بحر بيرينغ أقصى شرقي الولاية. وإذا كانت المنطقة الوسطى لآلاسكا تُعَدُّ قلبها النابض فإن نهر يوكون هو الدم الذي ينشر الحياة في عروقها.

وتعد فيربانكس المدينة الثانية بعد أنشوراج، وتقع وسط آلاسكا في منطقة تشتهر بحدائقها الوطنية الجميلة التي تستوطنها أنواع كثيرة من الحيوانات والنباتات البرية النادرة.

ويسود الجليد الدائم أقصى شمال آلاسكا بحيث تصبح الحياة عسيرة لمن لا يعرفون أصول وقواعد التعامل

مع الجليد. ولايستوطن هذه المناطق إلا السكان الأصليين من الأسكيمو والهنود الحمر. ومن أشهر مدنها بارو Barrow التي لاتغــرب عنهـــا الشمس من بداية شهر مايو حتى بداية شهر أغسطس، ويستوطنها سكان أصليون من الأسكيمو والهنود الحمر الذين يحترفون صيد الفقمات والقضّاعات والأسماك ويتغذون على لحومها النيئة. وتمثل الطواطم to-tems أهم عناصر التراث التقليدي للأسكيمو والهنود الحمر، وعادة مـايكون الطوطم على شكل تمثـال خشبي نقشت عليه رسوم ملوّنة ويُقْصَدُ منه تجسيد أسطورة أو قصة معينة.

وتأسر مدينة «كوتزيبو» عقول زوارها لوجود متحف نانا للقطب الشمالي فيها، حيث يستمتع الزائر لهذه المدينة بما يحويه المتحف من أدوات ورسوم تمثل حيــاة الآلاسكيين في الأزمنة الغابرة، ومن خلال ذلك يتمكن - على مدى ساعتين - من التعرف على عادات وتقاليد وثقافة سكان آلاسكا. ويوجد أيضا متحف آخر هو متحف «أوتو كـاهكو كـتـوفـيك» Oo-tukahkuktuvik الذي يعني: «مكان يحتوي على أشياء قديمة».

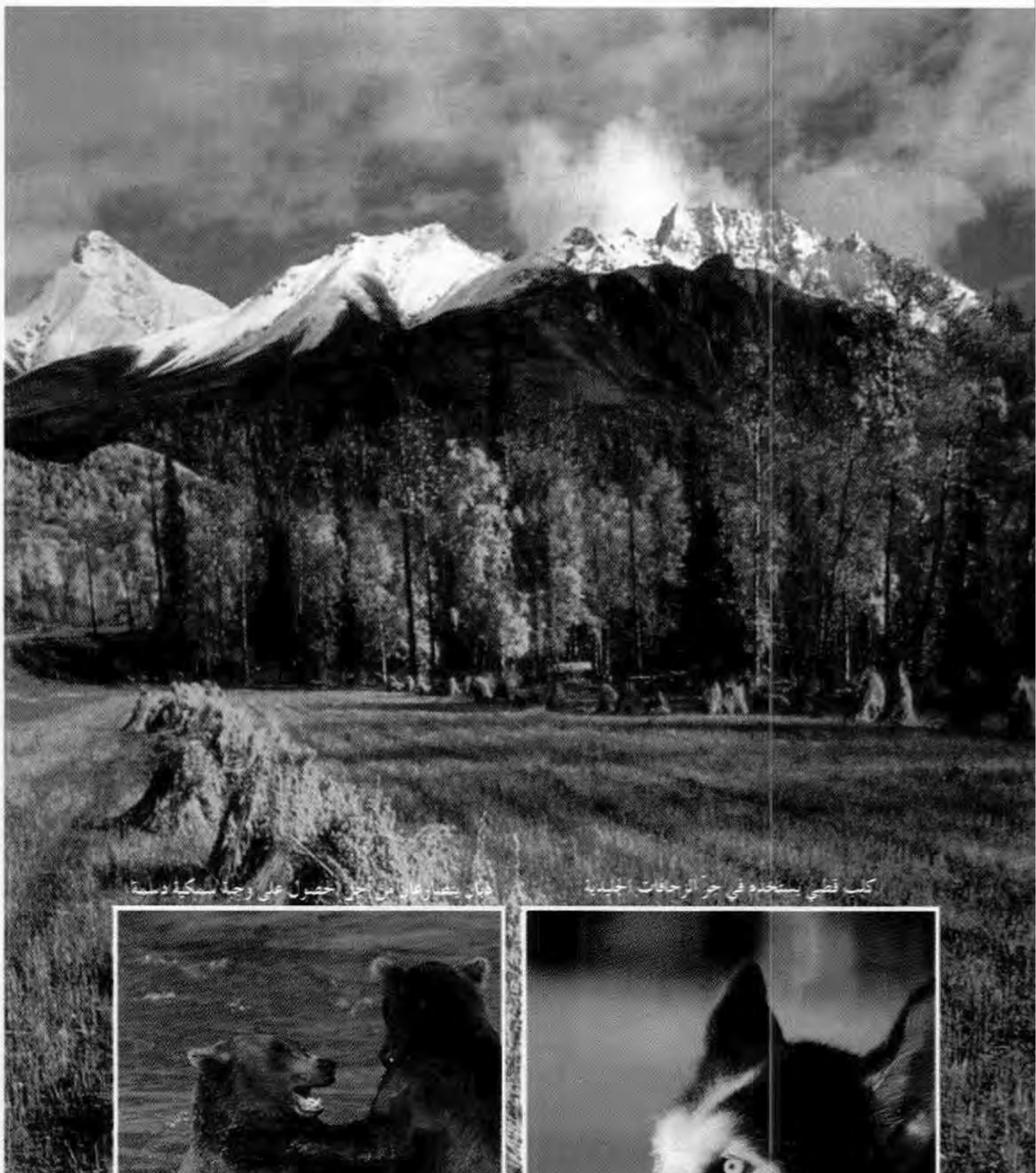
رحلة إلى جزيرة كودياك

تحتوي جزيرة كودياك على ٩٠ كم من الطرقات المحيطة بخمس قرى ساحلية، وزيارة هذه الجزيرة لا تتم إلا بعد الحصول على موافقة مسبقة من مجلس حكماء القبائل. وتستولي الدببة والثعالب والأرانب والطيور على جزء من هذه الجزيرة قد يصل إلى ثلثيها.

ومعظم الزائرين لهذه الجزيرة يفضلون السير على أقدامهم للاستمتاع بما حبا الله هذه الجزيرة من جمال خلاب وطبيعة ساحرة. ويوجد نهر «بسكين» في هذه الجزيرة حيث يصطف صيادو أسماك السلمون على شاطئ هذا النهر المليء بأسماك السلمون طمعًا في الظفر بغنيمة من هذا السمك الشهي.

وفي فصل الصيف يُرى سمك السلمون وهو يقفز إلى الأعلى ثم يعود إلى قعر النهر في حركة بهلوانية جميلة، وشهرا يوليو وأغسطس يُعدان أفضل الشهور لرؤية سمك السلمون وصيده.

وتشتهر جزيرة كودياك بكثرة الدببة ذات اللون الرمادي، ومطار الجزيرة هو أفضل مكان لمشاهدتها، وتظهر الدببة على الشواطىء خلال موسم تواجد سمك السلمون.



كلب قطبي يستخدم في جر الزحافات الجليدية

دبان يتصارعان من أجل الحصول على وجبة سمكية دسمة

مشهد من وادي ماتانوسكا Matanuska Valley الخصيب

المراجع

١- ALASKA, by: Jennifer Grambs, Gallery Books, New York, 1990.
2- ALASKA, Project Editors: Janie Freeburg & Diana Ackland, APA Productions(HK) LTD,1987.
3- ALASKA , by: Dorothy Krell, Lane Magazine & Book Company, Menlo Park, California, 1974.
4- ALASKA , by: Bill Harris, Crescent Books, New York, 1987.

كتاب النسبة إلى المواضع والبلدان

(١)

مخطوطات جديرة بالدراسة والنشر (١٠)



حلقات يكتبها: حمد الجاسر

لعل مما يمتاز به كتاب «النسبة إلى المواضع والبلدان» لـ (بامخرمة) الحضرمي اليمني:

١ - أنه يَضُمُّ نسبًا لعلماء من أهل الجزيرة قديما وحديثًا فَاتَ مؤلفو كتب النِّسْبَة ذكرهم.

٢ - أنه يحوي تحديدًا لمواضع لا تُوجد في الكتب المخصصة لذالك.

٣ - أن مؤلفه قد يستدرك بعض ما ورد في كتب من تقدمه.

يوضح هذا أن مؤلفي كتب النسبة من عهد الرُّشَاطِيِّ - وهو أقدمهم - إلى عهد السيوطي في القرن التاسع كانوا يعيشون بعيدين من جزيرة العرب، فلم تَحْوِ مؤلفاتهم من أنساب سكانها سوى ما اقتبسوه مما كتبه متقدمو النسابين ممن عاش في القرن الثالث فما قبله، باستثناء الرُّشَاطِيِّ الذي أضاف إلى ذالك ما اطَّلع عليه في مؤلفات عَالِمَيْنِ جليلين من أهل تلك البلاد، هما الحسن بن أحمد الْهَمْدَاني المتوفى في منتصف القرن الرابع، صاحب كتاب «الإكليل» الحافل بأنساب اليمنيين، وذكْر كثير منْ بلادهم، وهارون بن زكريا الْهَجَرِيُّ، صَاحب كتاب «التعليقات والنوادر» وفيه من الأنساب ما لا يُوجد في كتب مَنْ تقدمه من العلماء، فلخص الرُّشاطيُّ كثيرًا مما يدخل في موضوع مُؤَلَّفه من الكتابين، ولا يزال كتابه مفقودًا سوى قطع يسيرة منه، ومختصرات لم يُنشر منها شيء(١).

وها هو عالم من علماء جنوب الجزيرة من اليمن، يتصدى للتأليف في الموضوع، وقد اتخذ من مؤلفات العلماء قبله عُدَّةً تمكنه من إدراك جانب النقص ليحاول إكماله، ولو لم يكن لكتابة هذا من ميزة سوى إبراز جانب من المشاركة العلمية بين علماء هذه البلاد، وعلماء الأقطار الإسلامية الأخرى، الذين عنوا بهذا الجانب المهم من ثقافة أمتنا، من أقصى الأندلس إلى أقصى بلاد الشرق، فالعراق، فالشام، فمصر، لَكَفَتْهُ.

وها هي ترجمة موجزة لهذا العَالِم ملخصة من كتاب «السنا الباهر»(٢) لِلشِّبِلِّي، فأكثَر مَن ترجم بامَخْرَمَة عَوَّل على هذا الكتاب، قال في حوادث سنة ٩٤٧: (لستٍّ خلون من محرم توفي الإمام عبدالله الطيب بن العلامة عبدالله بن أحمد بامخرمة علاّمةُ علماء الإسلام) واسترسل في الثناء عليه، وذكر أنه وُلدَ في ربيع الثاني سنة ٨٧٠ هـ ببندر عَدَن، وتلقى العلم عن والده وعن مشايخ آخرين ذَكَرهم، حتى شارك في كثير من العلوم، كالتفسير والحديث والفقه واللغة، وأنه عاش في أسرة علمية، فوالده عبدالله بن أحمد بامخرمة من العلماء، وكذا ابن أخيه عبدالله بن عمر بامخرمة، وجده لأمه محمد بن

كتاب «النسبة إلى المواضع والبلدان» (١)

مسعود أبي شُكَيْلٍ من العلماء، وقد تولى بامخرمة قضاء عدن مضطرًا لفقره ولكثرة من يعول، وصنف كتبًا كثيرة.

أما مؤلفاته فمنها:

١ - «تاريخ ثغر عدن»، تولى تحقيقه ونشره المستشرق السويدي أوسكار لوفجرين (OSCAR LOFGREN) في ليدن سنة ١٩٣٦م.

٢ - «شرح صحيح مسلم»، لخصه من شرح النووي.

٣ - «قلائد النحر في وفيات الدهر»، عُني فيه بتراجم اليمنيين، ورتبه على الطبقات، منه مخطوطة في ثلاثة مجلدات أصلها في مكتبة (يكشي) في تركيا برقم ٨٨٣ ومصورتها في دار الكتب المصرية، وأجزاء من الكتاب في مكتبات حضرموت وغيرها.

٤ - كتاب «النسبة إلى المواضع والبلدان» وقد انتهى من تأليفه في شهر رجب سنة ٩٢٨هـ على ما في هامش إحدى مخطوطاته على ما سيأتي.

ولقد أوضح في مقدمة كتابه «النسبة إلى المواضع» سبب تأليفه قائلاً ما ملخصه: «إن سبب جمعي له أنني وقفت على كتب في الأنساب إلى القبائل والآباء، ولكني تطلعت إلى الأنساب إلى البلدان، فوقفت على مسودة للقاضي مسعود بن أحمد بن أبي شُكَيْلٍ الأنصاري الخزرجي(٣) ذكر فيها جملة من البلدان مقتصرًا على ذكر البلدة وصفتها، وبعض مَنْ يُنْسَبُ إليها من العلماء والرؤساء المشهورين، ولم يُتمَّهُ، بل وقف إلى آخر (باب الراء) وذكر بعد ذالك في حروف متفرقة من كل حرف بلدًا أو بلدين، فهممت بإتمامه وتبييضه، ففقدت النسخة المذكورة فشرعت في جمع شيء من ذالك حاذيًا حذوه في الضبط والتبيين، فجمعت جملة صالحة أخذت غالبها من «تاريخ ابن خلكان» ولم يكن عندي منه نسخة كاملة، وأخذت بعض ذالك من «طبقات السبكي الكبرى» ومن تاريخي الفاسي والْجَنَدِيِّ وغير ذالك، ثم إني رأيت ذالك قليل الجدوى والنفع، فضممت إليه مَن يُنسب إلى البلد من المُحَدِّثين المشهورين وغيرهم، وعمدتي في ذالك كتاب «ما اتفق لفظًا واختلف وضعًا» للذهبي و«تبصير(٤) المنتبه بتحرير المشتبه» لابن حجر، وأكثر اعتمادي على الأخير لالتزامه الضبط باللفظ بخلاف الأول».

ثم ذكر أنه استعان على الضبط بكتب اللغة وبمؤلفات ابن نُقْطَة والفرضيِّ وابن ماكولا والخطيب، ثم ظفر بمسودة القاضي مسعود بن أحمد بن أبي شكيلٍ، فنقل منها أشياء.

وقد ابتدأ الكتاب (بحرف الهمزة الممدودة): (الآبَنْدُوني - نسبة إلى آبَنْدُوْنَ بمد الهمزة ثم موحدة مفتوحة ثم نون ساكنة ثم دال مهملة مضمومة ثم واو ساكنة ثم نون: قرية من قرى جرجان) ثم ذكر المنسوبين إليها، واستمر إلى آخر الحروف حتى انتهى إلى (اليَهُودي: بالفتح وضم الهاء ثم واو ساكنة ثم دال مهملة، عُرِف بذالك أبو محمد بن الْبَيِّع صاحب المحامل، عُرِفَ بذالك؛ لأنه كان يسكن درب اليهود ببغداد، وكذا أحمد بن محمد ابن عبد الكريم الجرجاني اليهودي، من باب اليهود، وأما أبو المهاجر دينار بن عبد الله النهوذي فبنون وذال معجمة المراي(٥) أحد أمراء المغرب لمعاوية قُتِل سنة ٦٣من الهجرة النبوية، ثُمَّ حرف (الياء) وبتمامه تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه).

مخطوطات الكتاب

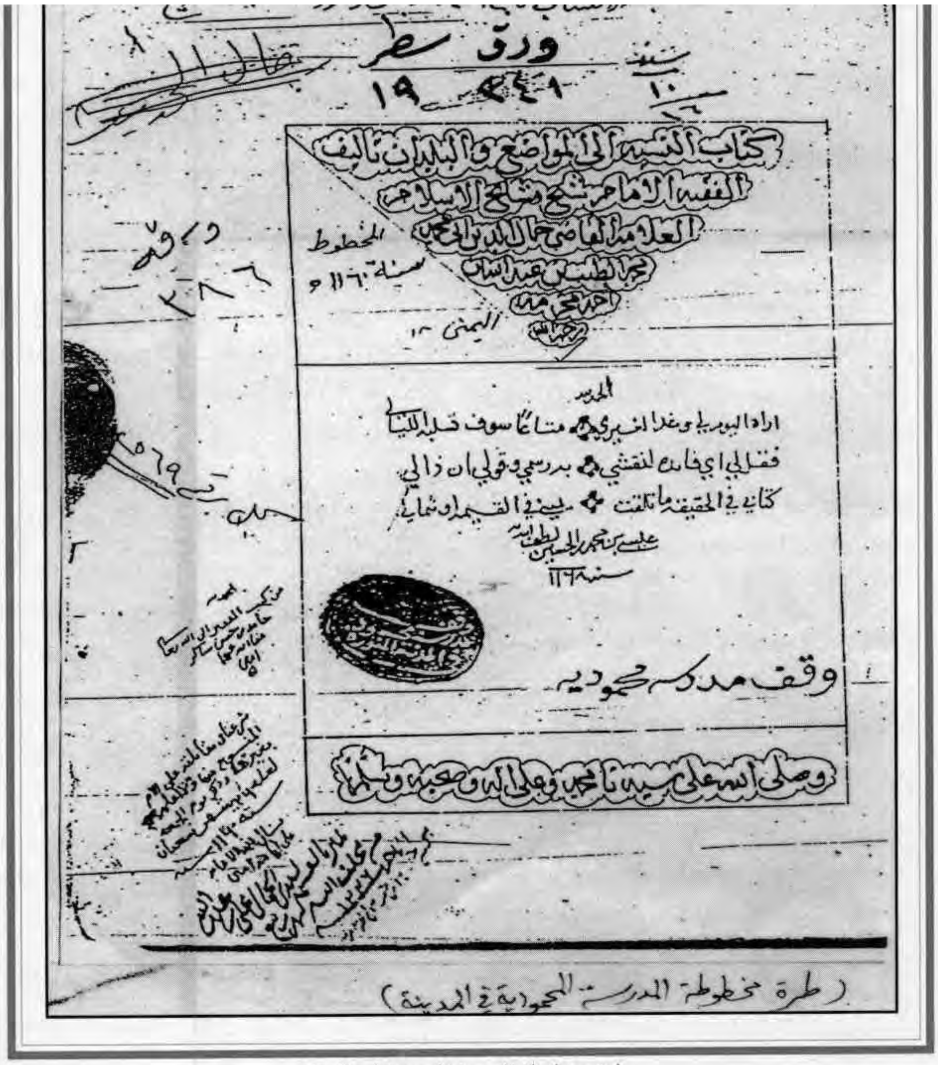
من مخطوطات هذا الكتاب نسخة في إحدى مكتبات حضرموت تحدث عنها المستشرق الإنجليزي (سرجنت R.B.) في بحث نشره باللغة الإنجليزية (٦).

ونسخة أخرى في المكتبة الغربية في جامع صنعاء ومصورتها في دار الكتب المصرية برقم ٢٢٥٤.

ولعل من أجود نسخ الكتاب نسخة مكتبة (المدرسة المحمودية) في المدينة المنورة، وهي مقابلة على نسخة مقابلة بأصل المؤلف، مخطوطة بعد وفاته باثنين وخمسين عاماً، فقد جاء في طرتها: (شرعنا في مقابلته على الأم المنسوخ منها ولا أعلم بغيرها، وذالك يوم الجمعة لعله ٢٦ شهر شعبان سنة ١١٦٠هـ نسأل الله الإعانة على إتمامه آمين).

وفي هامش آخر النسخة: (بلغ مقابلته على الأم وفيها ما لفظه: اتفق الفراغ من تمامه قبل العصر من يوم الأربعاء تاسع شهر رجب الأصب من سنة ٩٢٨هـ على يد جامعه ومحرره لطف الله به بمَنِّهِ وكرمه وكان الفراغ من زبره يوم السبت ثاني شهر ربيع الأول أحد شهور سنة ٩٩٩هـ انتهى. وكان الفراغ من المقابلة صبح الأربعاء ٢٤ شهر صفر سنة ١١٦١هـ، كتبه الفقير إلى الله حامد بن حسن ساكر، عفا الله عنهما آمين).

أما تاريخ كتابة النسخة قد ورد في آخرها: (تم حرف الياء وبتمامه تم الكتاب



طرة مخطوطة المدرسة المحمودية في المدينة

بعون الله وحسن توفيقه ونسأل الله الكريم، رب العـرش العظيم، أن يجـعله خـالـصًا لوجهه بمنِّه وكـرمه آمين. ووافق الفراغ من تحـصيلـه ضحـوة يوم الخـميس سلخ شهـر رجب الفرد سنة ١١٦٠هـ).

وهذه النسخة يمنية الأصل وصـاحبها من العلماء كما يُفهم مما ورد في طرتها ونصه:

(الحمد لله

أراه اليومَ لي وغدًا لغَيري

متاعًا سوف تَسْلُبُه الليالي

فقل لي: أيُّ فائدة لنقشي

به رَسمي وقولي: إنَّ ذالي؟

كتابي في الحقيقة ما تَلَقَّتْ

يميني في القيامة أو شمالي

عيسى بن محـمد بن الحسين، لطف الله به سنة ١١٦٨هـ)

وفـوق هذه الكتـابة في الهـامش: (مِنْ كُتُب الفقير إلى اللـه تعالى حامد بن حسن ساكر) ولهذا إشارات في هوامش المخطوطة تدل على اهتـمامه بالمبـاحث العلميـة ولعله المتـرجم في «البـدر الـطالع(٧)» ولكن ورد الاسم (شاكـر) غير مـضبـوط باللفظ، وقد يكون تصحيفًا. وقـد وصفه الشوكاني بأنه أكبَّ على علم الحـديث حتى فـاق فـيـه، وشـارك في سـائر الفنون، وانـتـفع به الناس في الوعظ، ثم ذكـر له مـؤلفـات تدل على سعة حـفظه للحديـث واتقانه لهـذا العلم، وأنه مات فـجأة في بضع وسبعين بعـد المئة والألف.

وتقـع هذه المخـطوطة فـي (٣٨٧) ورقـــة (٧٧٤) صفـحة، في الصـفـحة (١٩) سطرًا، سوى الأولى فليس فـيها سـوى طرة الكتاب، والأخيـرة فيـها بضـعة أسطر، والخط نسـخي حسن ولا يخلو من بعض الأخطاء.

وفي الهـوامش ما يدل على تصـحيحهـا عن الأصل، وحواش حديثة كما في هامش الورقـة الـ(٧) عن بكر بن النطاح (أخبـاره في الأغـــاني ١٠٦/١٩ وتاريخ بغـــداد ٩٠/٧، والقاسم العجلي أخباره في تاريخ بغـداد ٤١٦/١٢ - والعبـر ٣٩٤/١)، وقد يسـتـدرك بحواش قليلة كـمـا في هامش الورقـة الـ (٥٤): (يستـدرك عليه البـزوري نسبة الى قرية بالدجيـل شمالي بغداد) وفي هامش الورقة الـ (١٠٧): (لم يذكر المؤلف الجشمي، وفي «القامـوس» ما لفظه: جُشَمُ كَصُرَدٍ أحياء من مضـر، ومن اليمن، ومن تغلب ومن ثقـيف ومـن هوازن، وقــرية بَيْهَق. انتهى، فكان ينبغي للمؤلف - رحمه الله - أن يذكر الأخير كما لا يخفى).

وفي هامـش الورقــة الـ (١٤٣) عندمــا نقل المؤلف عن ابن نقطة: (ظن غيـر واحد أن الربيع الختلي غـير الزهراني وهو غلط بل هو هو). انتـهى، في الهـامش: (لكن فَـرّق بينهـما الحـافظ ابن حـجر في «التقـريب»، فـجعل الختلي من الطبقـة الحـادية عشـرة والثـانـي من العـاشـرة، وذكـر أن الزهراني شـيخ البخـاري ومسلم وغيرهمـا، والأول شيخ مسلم فقط وتبعه صاحب «الخلاصة» كاتبه).

«للبحث صلة».

الحواشي:

(١) انظر عن هذا كتاب «التعليقات والنوادر» دراسة.

(٢) هو مـحـمـد بن أبي بكر بن أحـمـد الحـضـرمي (١٠٣٠/١٠٩٣هـ) وكتابه «السنا الباهر» أكمل فيه كتاب «النور السافر في أخبار القرن العاشر» مطبوع في بغداد سنة ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) وفيه ترجمة لبامخرمة.

(٣) هو جده الثاني لأمه.

(٤) في الأصل (تبصرة).

(٥) كذا في الأصل، وفي «تبصير المنتبه» ١٠٥٩، (الزابي) وفي «تاج العروس» (الترابي) ولم أهتد إلى صواب الكلمة.

(٦) TWO SIXTEENTH CENTURY ARABIAN GEO GRRPHICAL WORKS

(٧) ١٨٨/١.

حبة السلت

بقلم: ليوتولستوي

ترجمة: د. ناول عبدالهادي

عثر أطفال ذات يوم في حفرة على شيء في حجم بيضة دجاجة يخترقه خط، وتوهم الجميع أن ذلك الشيء هو حبة قمح، فمر أحد الناس ورآها بين أيدي الأطفال فاشتراها منهم بخمس كوبيات، وحملها معه إلى المدينة، وباعها إلى القيصر على اعتبار أنها شيء غريب.

فأمر القيصر بإحضار الحكماء وعرض عليهم ذلك الشيء طالبا منهم أن يتعرفوا طبيعته، فقلّبه الحكماء على وجهه دون أن يستطيعوا استكناه حقيقته.

ولما عجزوا عن معرفة كنهه، وضعوا ذلك الشيء على حافة نافذه وتركوه، وإذا بدجاجة تمر حذاء النافذة فتنقره، وتخلف به ثقبا، فتأكد لدى الحكماء أن ذلك الشيء هو بذرة، وساروا إلى القيصر وأخبروه بأن ذلك الشيء هو حبة سُلْت، فبهت القيصر لذلك وطلب من الحكماء أن يبحثوا أين ، ومتى أمكن لحبة سُلْت من ذلك الحجم أن تنمو؟ وعاد الحكماء ليغرقوا في تأملاتهم ويستشيروا أهم كتبهم، ولما لم ينتهوا إلى نتيجة ساروا إلى القيصر وقالوا له:

– ليس في إمكاننا أن نطمئنك. إن كتبنا لم تهدنا إلى معرفة هذه الحالة، وعليك أن تسأل الفلاحين فربما كان بينهم من سمع بالمكان والزمان الذي استطاعت هذه الحبة أن تنمو فيه.

فأرسل القيصر يطلب أكبر الفلاحين سنًا، فجيء بفلاح عجوز ذي وجه أخضر، وفم خَالٍ من الأسنان، فدخل وهو يستند إلى عكازين. فعرض عليه القيصر حبة السلت، لكن العجوز لم يكن يبصر بوضوح وكان عليهم أن يساعدوه ليتفحصها بعينيه ويديه، فسأله القيصر:

– هل تقدر يا أبتاه على معرفة أين يمكن أن تكبر هذه البذرة، وهل حدث أن زَرَعْتَ منها في حقولك، أو اشتريت مثلها من مكان ما؟

كان الشيخ من الصمم حتى إنه كان يجد صعوبة كبرى في السماع، لكنه أجاب في آخر الأمر:

– لا، لم أزرع مثلها قط ولا حصدت ولا اشتريت سلتًا من هذا النوع، فالقمح الذي كنت اشتريه أو أزرعه لم يكن بأكبر من قمح هذه الأيام. وعليك أن تسأل أبي إنْ كان مَرّ بسمعه المكان الذي يمكن أن تنمو فيه هذه البذرة.

فأمر القيصر بإحضار والد العجوز فجيء به، وكان فلاحًا طاعنًا في السن يمشي مستندا إلى عكازة واحدة، فعرض عليه القيصر حبة السلت قائلا:

– أتعرف أيها الشيخ أين تنمو بذرة من هذا النوع؟ وهل زرعت مرة مثلها في حقولك أو اشتريتها؟

كان سمع الشيخ ثقيلا إلا أنه كان أحسن حالا من ابنه فأجاب:

ـ لا. لم أزرع مثل هذا السلت، ولم أحصده، ولم اشتر قمحًا من نوعه، لقد كانت النقود مجهولة في عصرنا. وكان كل واحد يأكل من قمح حقله. والذين يملكون حقولا أكثر يقتسمونها مع الذين لا يملكون. إني لا أعرف أين يمكن أن تُزرع مثل هذه البذرة. ففي عصرنا وإن كان السلت أضخم حبا منه اليوم، لكنه أقل حجما من هذه البذرة، ولكني سمعت من أبي أن السلت في عهده كان أجود وكان يعطي بذورًا أضخم، فاسأل أبي.

واستدعى القيصر أبا الشيخ فأتى وكان بلا عكازة، خفيف المشي، حاد العينين، قوي السمع، واضح الصوت، فقدم له القيصر البذرة، فأخذها وفحصها وقوم وزنها ثم قال:

– منذ سنين لم أرَ سُلْتَ العصور القديمة.

وبعد أن عض عليها ومضغها بين أسنانه تابع كلامه:

ـ إنها تماما بذرة تلك العصور.. فسأله القيصر:

ـ ستقول إذن أيها الأب أين ومتى زرع مثل هذا السلت؟ وأنت، أما كنت تشتريه وتزرعه في حقولك؟ فأجاب الفلاح المسن:

ـ في عصرنا لم نكن نعرف سلتًا غير هذا، إنه نفس السلت الذي كنت آكله وأعطي الآخرين ليأكلوا منه، بل هو السلت نفسه الذي كنت أبذره وأحصده وأرسله إلى الطاحونة.

فسأله القيصر من جديد:

ـ وهل كنت تشتريه؟ أم كنت تبذره بنفسك في حقولك؟ فأجاب الجد:

ـ كان حقلي هو أرض الله، فالتربة كانت حرة ولم يكن أحد يسمى الأرض أرضه. العمل وحده الذي نسميه عملنا.

فمضى القيصر يسأل:

ـ والآن أيها الأب أريد معرفة شيئين آخرين: أولا: لماذا كانت هذه الحبة تنمو في عصركم ولا تنمو في عصرنا؟ وثانيا: لماذا يحتاج حفيدك إلى عكازتين ليمشي، وابنك إلى واحدة، بينما أنت نشيط خفيف الحركة؟ عيناك تبصران بوضوح، وأسنانك تعض وتمضغ، وكلامك صريح بشوش.. لماذا إذن أيها الأب؟

فأجاب الفلاح فورا:

ـ لأن أناس هذا العصر تخلوا عن طلب خبزهم من عمل أيديهم، وأصبحوا يؤثرون العيش من عمل الغير. أما نحن فلم نكن نعيش بهذا الشكل في عصرنا. لقد كنا نتبع شريعة الله، ونعيش قانعين بالكفاف دون أن نحسد أحدا.

حول الغموض في الشعر الحديث

محيي الدين فارس

تحت مظلة النقد، وأروقته المتعددة، تنمو أجناس الفنون والآداب وتزدهر. فعبر العصور والأزمنة، كانت حركات الإبداع تواكبها -دائماً- دراسات نقدية، وقد تسبقها، أو تولد معها، وتنبثق عنها، أو تتجاوزها. ونحن نعرف أن كل حركة تجديد على مدار الأزمنة قد صحبتها عيوب في كل مناحي النشاط الإنساني. وكشف النقاب عن السلبيات والإيجابيات لا يضر هذه التجارب، بل ربّما كان تقوية لها.

نحن قد نصفح عن هنات الناشئة الطفيفة إبان التجارب الأولى التي لا تخدش جوهر التجربة، أو تمس جسدها بسوء، وحتى لا يَفتح ذلك البابَ على مصراعيه لكثرة الأخطاء، بل لتسمية الغليظ منها تجديداً وتجاوزاً، يجب مراقبة ذلك. وبخاصة تلك المطاطية في جسم القصائد والترهل البنائي والإيغال في «سريالية» الصور وإلغاء المضمون الجمالي. **وقد روج الشعوبيون لهذا الغموض المتعمّد؛ لإفساد السليقة العربية في نفوس البادئين الذين اتخذوا منهم أئمة ورهباناً، ثم ابتعدوا عنهم اليوم ابتعاد السليم من الأجرب.**

لا يظنن ظانٌّ أن الأعمال النقدية عالة على الأدب الإنشائي دائماً، فكما أن الآثار العقلية إبداعٌ، فإن الحكم عليها يُعدُّ عملاً خلاقاً بلا شك، فالنقد قد يخلق العمل الفني من جديد، أوقد يعدل فيه، أو يضيف إليه أو يحذف منه، أوقد يقره على شكله الذي هو عليه، وهناك أنواع من الآثار النقدية قدمت في حدود إمكاناتها المتاحة، ومناظير عصرها كل ما عندها في بناء معمارية الحياة الفكرية، ومع ذلك قد يكون النقد في بعض الحالات أقصر قامة من الآثار المنقودة. يتطاول عليها، ولا يصل إلى قممها العوالي، والتاريخ في الشرق والغرب يقدم بين أيدينا نماذج حية من النقد البنّاء، والهدّام.

فإذا نظرنا في كتاب **«الوساطة بين المتنبي وخصومه»** لمؤلفه **القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، نجد أن الجرجاني قد دافع عن أبي الطيب المتنبي دفاعاً مجيداً، لكنه في نقده لم يستطع الإغضاء عن عيوبه. فميزان النقد الصحيح عنده لا يكتفي بإبراز الحسنات دون الوقوف عند مثالب الشاعر،** على عكس مَن حاولوا هدم **المتنبي** دون أن ينالوا منه شيئاً، وإنَّ تأثر **المتنبي** بآراء **أرسطو** لا يدل على عيب فيه وإنما يدل على سعة ثقافة. وورود استعارة قبيحة مثل قوله:

فإن ظنوني في معاليك تظلع

وغيرها، وغيرها من المآخذ التي يعرفها الأدباء في نقد **أبي الطيب المتنبي تُبيِّن أن النقاد القدامى كانوا لا يتغاضون عن الأخطاء لدى كبار الشعراء، أمثال المتنبي وأبي تمام والبحتري وأبي نواس** في الغالب الأعم، مع وجود نقد هو حصاد سخائم النفوس. والنقد في عصرنا هذا سواء أكان نقداً حقيقيًّا أم نقلا (فوتغرافيا) لأفكار ومذاهب غربية، أم كان تلقيحاً جيداً لشتى ثقافات العالم، قد وصل على كل حال إلى مرتبة عليا، أو ينبغي أن يصل إليها، إذا وازنّاه بنقد العصور السالفة، وهذا شيء طبيعي، فقديماً كانت فواصل المسافات الشاسعة تجعل آثار العقول محصورة في بلادها لا تصل بسهولة ويسر إلى شرق الدنيا أو غربها، والتبادل أو التلاقح الثقافي كان يأتي في فترات فصلية أو موسمية، حيث مواقيت الرحلات التجارية التي تصحبها رحلات ثقافية في نقل معلومات الأمم وأخبارها العلمية والفنية. **وكانت غزارة المعلومات تأتي من الشرق إلى الغرب.** وكان النزر اليسير الذي يأتي من الغرب يخضع لغرابيل دقيقة. وجمارك مراقبة نفسية تفحص الوافد، فإن كان ملائماً دخل الشرق. وإلاّ رجع أدراجه. أما الآن حيث العالم الحديث وتدفق سيول المعلومات من الغرب دون رقابة أو محاسبة، فإن ذلك يمثل

حول الغموض في الشعر الحديث

غزوا ثقافيا ينصب علينا من كل الجهات شئنا أو أبينا؛ لأن تلقيحاً ثقافيا مباشراً وسريعاً ومخططاً له، يحدث في كل لحظة. **فالوسائل العلمية الجديدة قربت المسافات وأذابت الفواصل. وأصبحت المعارف والفنون مقروءة ومرئية ومسموعة في متناول اليد؛ مما ساعد على توسيع قنوات الفكر وتنمية حاسة الذوق الجمالي. ورؤية، وقراءة، وسماع كل العصور،** وهذا كوّن في نفس الفنان المبدع، والفنان المتلقي حاسة التأمل الذاتي وبناء معادلة بين «المقيم في ذاته» كتراث خالد، وبين الوافد عليه كمنتقيات حضارية لمواكبة التطورات الهائلة والتحولات المستمرة في عصرنا هذا.

وإذا قلنا إن الأجيال الجديدة أسعد حظاً من الأجيال السابقة. وإنها ورثت في هذا القرن وحده أجيالاً من المبدعين في الشعر والموسيقى والتصوير، والنحت، والقصة، والرواية، والمسرح، مهدت لها الطريق، بإيجاد مجالات مبثوثة هنا وهناك لممارسة الاطلاع والتزود بالعديد من الثقافات والعلوم، فإن النتائج مخيبة للآمال. لأن **هذه الأجيال لا تقرأ، ولا تطلع على كنوز التراث العربي، ولا الغربي، مكتفية بالقشور، وهذه الأجيال غير المحصنة ستقع فريسة سهلة لسحر بريق المعلّب والجاهز، والغزو الثقافي الذي يدخل بيوتنا بلا استئذان.**

في هذا المناخ تعاقبت الأجيال دون أن يحدث تداخل بينها. وكان هذا التداخل كاللازمة بين الأجيال السابقة وإنما حدثت ظاهرة «تباعد الأجيال»، فهذه الأجيال التي تسمي نفسها جيل التجاوز، وتفجير طاقة اللغة منذ أن تبنى بعضها مضمون مدرسة **يوسف الخال** وروادها، قدموا لنا نماذج موغلة في الغموض «كتلك الشمس التي جُرحت في ركبتها، فهي تمرّ على العالم كل يوم ظالعةً !».

الأجيال السابقة كانت امتداداً لما بعدها وما قبلها ووظفت فنها الشعري فيما يحس به الناس أفراحاً وآمالاً، وهي في عصر الغزو الثقافي، وتدفق المعلومات الغزيرة، والتشكيك في القيم والثوابت كانت تملك حدة بصر زرقاء اليمامة تشم روائح الوباء القادم قبل قدومه فتتصدى له، تصدي الخبير بمواضع «الكي»، وتستقبل الريح الطيبة في كل الثقافات الإنسانية التي تحمل أهدافاً نبيلة، وأدباً حياً، وألواناً من الإمتاع.

ومنذ أواخر الستينيات حتى اليوم، قامت حركة أدبية امتازت بكثرة الشعراء، والدواوين الشعرية. كان بعضهم يتعامل مع اللغة ككائن حي بطريقة جديدة، لها محاسنها وعيوبها. ومن حق هؤلاء أن يعيشوا عصرهم وأن يعبروا عنه بخلق أوعية جديدة، بشرط ألا يكون ذلك على حساب الثوابت الأساسية في اللغة العربية. ولكن ما الذي حدث؟... تباعد بين الأجيال، واتبع الناشئة مدرسة «**يوسف الخال**» وأتباعه، كسعيد عقل وغيرهم، وظاهرة التأثر بمدرسة **يوسف الخال** ظاهرة مرضية، وقد دعا الداعون لها في صوت خافت عام ١٩٥٧م ثم ارتفع هذا الصوت في جهارة عام ١٩٦١م في مؤتمر روما للأدب الغربي. وقد صرح كبيرهم في هذا المؤتمر. أو المهرجان الأدبي بالآتي:

١) إلغاء اللغة العربية لأنها غير قادرة على التطور (هكذا زعموا) .

٢) اعتماد اللهجات المحلية كأوعية للإبداع تتسم بالمرونة والطواعية.

٣) إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي والهدف البعيد من ذلك، هو تهديم الحضارة العربية الإسلامية، والارتماء في أحضان حضارة حوض البحر الأبيض المتوسط. وكتطبيق عملي على هذه النظرة الشعوبية كتب الأستاذ **سعيد عقل** عقب هذا التصريح ومعه رهطٌ من الشباب عدة مقالات باللغة المحلية اللبنانية، ولكن تلك النماذج وُلدت ميتة. أما النماذج التي جاءت بالعربية داخل هذا المخطط فقد شابها الغموض «المتعمد» ؛ لإفساد لغتنا الجميلة.

نحن لا نرفض التجديد ولا التأثر «المشروع» بالحضارة الغربية، وكنا من أوائل المنادين بفتح النوافذ على كل ثقافات العالم، فكما تأثرنا بالغرب باستيعاب الشوامخ الخالدة فيه وتأثر الغرب بنا في العلوم والآداب في عصور ازدهار العقل العربي، وهذا شيء لا بد منه، ولا معدل عنه، إلا **أننا نرفض الغموض الذي لا يفضي إلى شيء في الشرق والغرب، ونؤمّن الرمز الموحي، ذي الدلالات والإشارات، الذي ينزاح ضبابه الجميل عن هدف ومضمون، على أن الغموض من أجل الغموض قد يكون عجزاً ، أو توظيفاً من جهة ما لإلغاء التراث.**

وقد يحمل الغموض الرمزي في تضاعيفه لغة سحرية جديدة لا ترفض الماضي كله أو تقدسه كله، وإنما تأخذ منه اللباب الباقي، الذي لا يتعارض مع الحضارة العربية ذات الينابيع السماوية. إنّ معظم ما نُشر خلال الستينيات حتى اليوم محصول شعري كبير، وأشهد أن هناك أعمالاً رائعة تلفت النظر، وتثير الاهتمام، وتدعو للتأمل؛ لما فيها من إبداع تجاربها وجدّة أوعيتها، ولكنها قليلة بالنسبة إلى هذا الكم الهائل من التجارب. فالرموز والأقنعة فيها ليست شيئاً من قبيل «الفانتازيا» أو «البلوتيكا» وإنما هي «نسيج حي من لحم ودم» وهي إضافة بكل المقاييس للشعر العربي. أما النماذج الهابطة التي لا نبض فيها ولا حياة، فهي كثرة كاثرة كالقصيدة «السايبة» المتخمة بالإضافات والاستطرادات، والترهل، والتراثيات والمعتقدات الشعبية، وتسفيه العقل العربي، .... إلخ.

ويجد معظم القراء صعوبة في فهم معظم نصوص هذا الشعر. وهذه الصعوبة منصبّة على الشعر المغرق في الرمزية «المغلقة»، أو الموغل في الذهنية الحادة الذي يفلت منه تصميم بناء القصيدة لحظة الارتعاش المخاضي، فتتوالد الصور على يديه بطريقة عشوائية غير مركزة. وهذا الشعر لا تعطي مدلولاته أو رموزه خلفيات تجعل القارىء المثقف «يُلَملِمُ» أشتات التجربة مُوجدا

لهـا صياغـة داخل نفـسه، وهذا يـضر بهـذا الشـعـر لأنـه «يُخثّـر» دم التـجـربـة في قنوات التـوصـيل، وإذا تكرر ذلك في عـمل مـعين لاسم معين انصرف عنه القارىء غير آسف.

ونجد أن رقعة قراء هذا الشعر ضيقة، ومساحة انتشاره داخـل النفـوس ضـئيلة. فـكيف يجـد المغناطيس الجـاذب ليسـتقطب قراء العـالم العربي كله؟ إذن **لا بد من الرجـوع إلى كنوز هذه اللغـة التي أخرجت عمالقـة الشعر، الذين إذا ألقوا هزوا المنابر - لا كخطباء تقريرين مباشرين - لامتلاكهم ناصيـة اللغـة السـحرية، وقـدرتهم على إيصـال شحناتهم النفسـية في أجمل الأوعية. وإذا كـتبوا هزوا وجـدان القارىء العـابر، والمتـأني وبثّـوا فيـه قيماً جمالية غضة «طازجة».**

يجب أن نتملّى حـضارتنا العربية الإسـلامية؛ لأن ذلك يمدّنا بفـيـوض غـيـر منتـهـيـة في عـالم الابتكار والإبداع، ولأنها أفـادت أوربا في القرون الوسطى. والـتـاريخ يثـبـت لنا أن ثقـافـات الأمم وحضـارات الشعوب لا يمكن أن تعيش في جزر معزولة، وإنما هي تتلاقى، وتتلاقح، فـيأخذ بعضها من بعض، ويتـأثر بعـضهـا بـبعض دون أن تفقـد مقوماتها الأساسية، وجذور الأصالة فيها.

هكذا كـان حال ثقافتنا وحضـارتنا في أزهى عـصـورها لم تتوقـف. إنما نحن الذين توقـفنا زمن الاستعمار والتيه. ولتكون مـعادلة الأشياء صحيحة ينبـغي ألا يكون «الماضي» في نفـوسنا شـيـئاً كـان وانتـهى. والمثل يقـول من لا قـديم له لا جـديد له؛ لأن **الماضي** هو جـذورنا الممتـدة في تربة التـاريخ، ولا يزال يملأ أعماقنا، ويتشكل في وجداننا سلوكاً حضارياً نابعاً من قوله تعالى ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضّـوا من حولك﴾ (آل عـمران :١٥٩) فـالإسلام يـفتح أبواب الحـوار باسـتـعمـال العـقل الجـوهـرة الثـمـيـنة. ويرفض أسلوب المخـاشنة في المعاملات الحيـاتية. وهذا الأسلوب القرآني لا لبس فيه ولا غمـوض، ثم إن الماضي الذي نعنيه ليس هو التسلسل الزمني لأحـداث وقعت وأوغلت خطاها في صحارى الـنسيان وأصبحت كـالآثار الدارسة، وإنما هي خـلاصـة لأحداث «حيّـة» سـاهمت في تشكيل الوجود تشكيلاً حضـارياً . فما تزال نابضة وقادرة على اللمعان مرة أخرى، ومن هنا «فالماضي والحاضر والمستـقبل» ينبغي أن يكون كل ذلك جسمـاً واحداً في دواخلنا، وأن يحـتـفظ «بجيناته» الأسـاسيـة، وأن نضيف إليـها مـا ينميـها حـسب معطيـات الزمن. وعلى ذلك فالتـغيير في القوالب والتجديد في الأفكار من هذا المنظور تجعل المبدع، وهو يعبـر عن عصـره، واعـياً بالمـاضي والحاضـر والمستقبل، سـواء عبَّـر عن «الأنا» أو «النحن» ولن يلجأ إلى الغموض من أجل الغموض. ولن يضحّي بالمضـمون ليـضيـع داخل «حداثات» مـجلوبة من بلاد لها ظروفـهـا، وملابساتها، و«سـريالاتُها» التي تحتـضنها، ومـذاهبهـا التي تؤمن بها وتدافع عـنها، فلمـاذا نُطبِّق عـلى آدابنا آراء طبـقت على أعـمـال آداب أمم أخـرى ؟ وطبـعاً هذا لا يدخل في نطاق التأثير والتأثر، وهو عمل مشروع نؤمن به، فأنا مثلاً أتأثر بقـول **بودليـر** أو غـيـره «أنا الجـرح والسكين والجلاد»، ولا أتـأثر بالبنيوية ولا أشـغل بالي بالنص وتفكيـكه وكلمـات «الدال» والمدلـول، ولا حـتى بالمذاهب الأدبيـة الغربيـة، ولا المذاهب التشكيلية كشيء مـقدس يجب اتباعه ، ومع ذلك فـأنا أقرأ كل ذلك بدقـة ورويـة وأدعـو الأدباء الشـبـاب أن يقـرؤوا خلاصـة الحـضارات، وثقـافـات العقـول، ومناخاتها الأصلية.

إن قراءة الحضارات شيء، والأخذ ببعضها أو رفضـهـا شيء آخـر، والمعرفـة بحر لا سـواحل له. ومن الخير أن نعرف الشيء قبل أن نهـاجمه. فقد نأخذ به الآن، أو نرجيء الأخـذ به لمرحلة أخرى، وقـد نوصد الـباب دونه بعـد مـعرفـتـه إلى الأبد، كموقف أساسي لا رجعة فيه. ومن ثم فإن المبدع ينبغي ألا يـبتعـد عن المناخ النفسي للحـضارة التي ينتمي إليها، وهو يناقش الحضارات الأخرى سواء أكانت قريبـة المنازع منه، شهية الـطعوم أم كانت حامـضة المذاق بالنسـبة للطعوم التي ألفـها. إذن فالحـداثة بهذا المنظور هي التي تبـقي على الجذور والأصالة وتفتح النوافذ لغد خصيب، هذه الحداثة بهذا المعنى غير مرفـوضة وغيـر جديدة علينا، **أما الحـداثة المجلـوبة من بلاد الصـقـيـع والتي تريد أن تستبدل حضارة بحضارة فهي شيء مرفوض.**

والذين حـاولوا جـاهـدين أن يقـدمـوا نماذج للغـات المحلية المحكيـة، والمكتـوبة بحروف لاتينيـة فشلوا فشلاً ذريعاً. فمن كتبوا بها وهم قلة. كانوا لا يملكون الموهبة الأدبيـة المؤثرة، وحتى الذين يملكونهـا لم يجرُؤوا على الكتابة بـها حرفاً واحداً حتى الآن، وقد جف منهم بريق اللمعان الخادع.

إن الغـمـوض من طبـيـعة الـشعـر الممتـاز لا الطلاسم. والتـضـمين لا بأس به بشـرط الإشـارة إلى مصـدره. والتأثر بالسّهروردي. ومـحيي الدين ابن عربي، وسائر الصوفيين لا يبيح لـلآخرين أن يلبسوا جبة «النفري» في وضح النهار.

وإذا تركنا الغـمـوض جانبـاً فـإن هناك عـيبـاً خطراً لم يلتـفت إليه النقـاد، ولا الشـعـراء الجدد، هو نمطيـة النغم ورتابة الإيقـاع حـيث «البـحـر الواحـــد» هذا لا يظهــر لأول وهلة، ولـكن إذا جمـعنا أغلب دواوين هؤلاء الشـعراء وقصـائدهم في شتى المجلات نجد أنهم يـنظمون بشكل متواتر في بحر «المتقـارب: فعولن. فعـولن.فعولن.. إلخ، والرأي عندي أنهم، كـعـاداتهم، ترسـمـوا خطى قـصائد الشـعراء الكبـار، التي جاء بعـضهـا على تفاعيل هذا البحر، مـع كسور في مطالع أعـمـال الجـدد، ووجـود زحافـات كـثـيـرة، وتداخل في بعض البحور وتضامين غير موفقة..... إلخ.

ونحب أن نوضح أن معظم الشعراء الكبار لم يعـرفـوا أوزان الخليل بن أحـمـد الفـراهـيـدي وإنما نظمـوا الشعـر بالسليـقة لاكـتمـال أدوات الأذن الموسيقـية الداخلية المنسجمة مع السـاعة الداخلية التي تنظِّـم نبض الزمن على نحـو مـعين في نفس الفـنان، وعــــالـم الفـنان الداخـلي يموج بآلاف الإيقاعات التراثية والفلكلورية والرعوية والحضرية وأنغام المدارس الصـوفية والمتـعددة، بالإضـافة إلى أنغام الحياة وموسيـقاها المتناغمة وملايين الأصداء المنبعـثة من «كـمنجات» غـيـر مرئيـة. كل ذلك حقول تربية، تربي الأذن الداخلية.

ومع أن هؤلاء الكبـار كـانوا ينظمـون الشعـر بالسليـقـة إلا أنهم كـانوا يمارسـون كل أشكال أوزان الشعر دون أن يحـدثوا نشازاً في الإيقاع أو تداخلاً في البحـور فكانوا ينظمون في بحر الرمل ومـجـزوئه، وبحـر البـسـيط ومـخلّعـه.... إلخ. وعندما مارسوا شعر التفـعيلة أو الشعر الحر طوعوا بعض البـحـور للشـعـر الحـر، كـبـحـور البـسـيط والخفيف، والطويل. وهي البحـور التي جرى فيها التطويع في نماذج قليلة. إن نظم مـعظم شـعـراء

حول الغموض في الشعر الحديث

الشباب الجدد منذ الستينيات يُعدّ ظاهرة نغمية رتيبة. لأنها أنغام وتر واحد هو بحر «المتقارب» مع وجود نماذج ضئيلة تأتي على أوزان الرمل، والمتدارك، ومجزوء الكامل والهزج. ولكنها لا تشكل تنويعاً في مشاتل الإيقاع النغمي.

قد يقول قائل إن معظم الموشحات الأندلسية جاءت على بحر الرمل، لأنه ملائم للغناء مثل الموشح الآتي ـ ونكتفي بعدة أبيات لعدد من شعراء الأندلس ـ. يقول **لسان الدين ابن الخطيب** المتوفى عام ٧٧٥هـ :

جادك الغيث إذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما
في الكرى أو خلسة المختلس

ومثل قول ابن زهر الإشبيلي المتوفى عام ٥٩٥هـ في موشحته الشهيرة التي مطلعها:

أيها الساقي إليك المشتكى
قد دعوناك وإن لم تسمع
ما لعيني عشيت بالنظر
أنكرت بعدك ضوء القمر
وإذا ما شئت فاسمع خبري
عشيت عيناي من طول البكا
وبكى بعضي على بعضي معي

وإذا تأملنا هذه الموشحات الأندلسية نصل إلى أن لكل موشح داخل بحر الرمل توزيعات هندسية تلون النغم، بالإضافة إلى أن هذه الموشحات وُضعت لتغنى، ولا شك أن لكل موشح غُنّيَ لحناً يغاير لحن كل موشح آخر، مما جوانحها جوا من السرور والبهجة. ثم ألا يُعدُّ الارتكاز على إيقاع واحد إهمالاً لكل كنوز النغم والإيقاعات الكامنة في تضاعيف هذه البحور؟ انظروا كيف استطاع **«بدر شاكر السياب»** أن يستنطق بحر «الرجز» ويستخرج من أحشائه أروع النغم في قوله:

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
أو شرفتان.. راح ينأى عنهما القمر

الشاعر فنان قلق، غريب الأطوار، يحب المجهول، وتطيب له الغربة، بحثاً عن الألوان الجديدة. فلماذا يربي أذنه على نغم واحد؟ بينما الأنغام في الحياة كثيرة ولا نهائية. قد يقتل «المغني» صوته إذا حبسه داخل حقول لا تلائم صوته، أو حبال حنجرته، وقد ينجح الفنان ذو الصوت العادي، إذا وجد الحقل الذي يناسب مساحة صوته وإمكاناته القليلة.

في داخل مدينة هؤلاء الشعراء الجدد.. موهوبون، ومزيفون، قادرون على العطاء، وعاجزون عنه، كما أن هناك عباقرة لم يلتفت إليهم أحد. يقول بعض هؤلاء إن التجديد يبيح الكسور، إذا صادف العوائق بحجة أن **أبا نواس** جاءت كسور في بعض أشعاره ، كما جاءت معلقة **عبيد بن الأبرص** ذات هنات في العروض التفت إليها النقاد، ووقفوا عندها طويلاً.

صحيح أن بعض أشعار **أبي نواس** فيها كسور وهي قليلة، وقد أشار إليها **الجرجاني** في مثل قوله:

رأيت كلَّ من كا
ن أحمقاً معتوها
في ذا الزمان
صار المقدَّم الوجيها
يا رُبَّ نذل وضيع
نوهتُه تنويها
هجوته لكيما
أزيده تشويها

وأنت تسمع معي وتحس أن التفاعيل مضطربة وأن موسيقاها محض نشاز. ولكن ألا يكون ذلك قد جاء من طريق الخلط بين أنغام فارسية كان يجيدها **أبو نواس،** وأنغام العروض العربي؟ وإذا صح شيء من ذلك وساندته أدلة تاريخية ـ إن وجدت ـ ألا يدلُّ هذا على أن الاضطراب في معلقة **«عبيد بن الأبرص»** التي يقول في مطلعها:

أقفر من أهله ملحوب
فالقطبيّات فالذنوب

من قبيل الخلط بين بحرين أحدهما عربي وهو مخلع البسيط، والآخر امتداد لأوزان بابلية وكنعانية، أو لأوزان أخرى لا نعرف عنها شيئاً كثيراً ؟؟ هذا إذا ثبت أن شعراء ذلك العصر كانوا يُلمُّون بطرف منها. ولكنهم لا ينظمون عليها أو فيها، وخرج على المألوف **عبيد بن الأبرص** وكان ذلك أول مزج للبحور العربية التي تقوم على التفاعيل والأخرى التي تقوم على الجمل وتقاسيمها. فبناء الجملة الشعرية فيها ربما يقوم على التناسب، مما يحدث نوعاً من النغم ألفته الأذن، ورضيه الذوق في الزمن القديم، وكان العرب القدامى يلمون بشيء من ذلك، والدليل الذي يعزز هذا الرأي أنهم لم ينكروا هذه المعلقة وإنما علقوها في جوف الكعبة تقديراً لها، ولم يتحدثوا عن خللها العروضي وما عدّوها ضرباً من النثر الفني. ومعنى ذلك أنهم يعرفون، أو كانوا يعرفون من خلال التمييز «السماعي» «لونية» الإيقاع البابلي أو الكنعاني أو غيره. وأبقوه في طور الثقافة السمعية دون استعماله، مفضلين عليه الطريقة العربية النابعة من سلامة حسهم الموسيقي.

إن احتجاج بعض الجدد ممن لا ينصرفون إلى التجويد والاطلاع، ويعملون على إثارة الزوابع، تارة بتقديم نماذج يرفضها العقل ويأباها الذوق السليم؛ لأنها بلا أي مضمون جمالي، وتارة بأن الكسور والغلط في الاشتقاق نوع من التجديد، هو عين العجز. فكل المبدعين الكبار في الشرق والغرب لم يخرجوا على قواعد لغاتهم، ولا شروطها الجمالية، وعلى الذين لا يجيدون النظم على بحور **الخليل بن أحمد الفراهيدي أن يكتبوا مثلا على نمط كتابات ألبير أديب، وثريا ملحس** وهي كتابات غير مرفوضة ولا غبار عليها.

إن التجديد أو النقلات النوعية أو ما يمكن أن نسميه قانون الطفرة أو التجاوز وتفجير طاقة اللغة لا يمكن بإحياء العيوب القديمة، وإنما باستنبات رؤى جديدة وهذا هو الطريق الصحيح.

ملحمة الهجوم الفرنسي على عاصمة الخلافة دمشق



للشاعر عبد الله بلخير

أبدع الشاعر الكبير عبد الله بلخير هذه القصيدة في سن العشرين، وهو شاب يتلقى العلم في الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٦ م. (ولادة الشاعر ١٣٣٥ هـ) ولم ينشرها، مثل الكثير من شعره الملحمي العربي والإسلامي والوطني.. والذي لم يسكن في ديوان حتى الآن. وبعد جهد حصلنا منه على بعضه، مما سننشره في هذه المجلة تباعًا.

وقد بلغت هذه القصيدة ـ كما يرى القارئ ـ مائة وسبعة وستين بيتًا. وإذا كان كل عربي سيتجاوب معها بصدق وحب وانفعال، فإن العربي السوري سيكون تجاوبه بحب أشدّ وانفعال أكبر، وبخاصة من عاش أيام الاستعمار الفرنسي في سورية، لأن قراءة التاريخ، قديمًا ومعاصرًا، بلغة الشعر، وبنبض الشاعر العربي المتميز، سيكون تأثيره أروع وأعظم. ولهذا ندعو إلى قراءة شعر عبد الله بلخير أستاذ التاريخ الشعري الملحمي.

ولقد استطاع شاعرنا الكبير أن يصور تلك الحقبة التاريخية بمعاناة صادقة، وحسٍّ وطني وعربي كبيرين، وأن ينقل إحساس العربي السوري آنذاك، فضلاً عن أنه ترجم مشاعر العرب عامة حيال تاريخهم وحاضرهم.

الأمجاد العربية، تاريخًا وحضارة تستغرق شاعرنا، وتشع من أعماقه نورًا يتماوج متداخلاً مع أنوار الدنيا التي يحسها إشعاعًا مكملاً للوهج العربي الذي يموج في وجدانه وعواطفه. فاختار نموذجًا من تلك الأمجاد التاريخية: تاريخ دمشق الخلافة الأموية ـ أُمٌّ العواصم ـ ودمشق العاصمة السورية في احتدامها مع الاستعمار الفرنسي. أخذت رموز الماضي والحاضر تفور في الحنايا، فيترجمها الحسّ والشعور مواقف وجدانية وشعرية. انبعاث الإشراق العربي القديم في جهاد حديث لإتمام المسيرة الحضارية المشرقة، التي تأبى كل ما يعكر صفاء عروبة وإسلام ماضيها المتألق.

فسورية الشعب المكافح المنشد شعاره الوطني (حُمَاة الديارِ عليكم سَلاَمْ..) تلتصق وتلتحم بدم شاعرنا.. ليصبح واحدًا من هذا الشعب، يردد ما يردده، وينشد ما ينشده، ويُثار بما يثيره؛ لأنه يحب دمشق، مثلما يحب سائر عواصم بلاد العرب والمسلمين، فراح يروي قصة ذلك الحب الذي رضعه صغيرًا، وقد تشبّع بتاريخها العربي الإسلامي، يوم كانت عاصمة للخلافة الأموية.. يومها امتدت حضارات العرب والمسلمين بفكرهم ونورهم الديني إلى بقاع الدنيا قاطبة، شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا.. لم يتركوا بقعة إلا وامتدوا إليها: [ولو عرفوا ما وراء المحيطين خاضتهما بهم الأشرع].

وإن ذلك التشبع التاريخي الحضاري راح ينمو في أعماقه مزهرًا.. ومنذ انخراطه بجامعة بيروت طالبًا مع شباب أمته، وواحدًا من أبنائها الوطنيين، ممن تثيره همومها، وتلهبه ثورات شعوبها ضد الاستعمار حماسة ووطنية وعروبة وإسلامًا ولما يتجاوز العشرين من عمره:

ولا أرتضي ضيم مستعمر
لشبر منَ أوطاننا يُنزع
حماس العروبة في هامتي
وقلبي على شرر يشرع
أسابق عمري بعشرينه
وأقفز فوقهما أسرع

وقد شهد شاعرنا الكبير الاستعمار الفرنسي وهو يجثم على صدر كل من القطرين اللبناني والسوري، وعاش طيلة أيام دراسته المحن الاستعمارية بظلامها وظلمها، فكان يردد مع شباب بلاد الشام نشيدهم آنذاك: [يا ظلامَ السجن خيّمْ إننا نهوى الظلاما].

وقف شاعرنا عند بدايات الاستعمار الفرنسي مع (غورو) الذي كافأته فرنسا إثر انهزام جيشه الرابع في حملة الحلفاء إلى الدردنيل في الحرب العالمية الأولى ليكون قائد الاحتلال، فيبطش ويحقد، وكذلك خليفته (دي مارتيل).

ثم وقفة تاريخية أخرى عند العرب وقوتهم، يوم تحدّوا فرنسا بقيادة الفتى العربي الغافقي الذي طوى بجحافله حصون فرنسا ودكّها.. وكأن فرنسا اليوم تثأر لما لحقها من دمشق الأموية.

ونجد شاعرنا، وهو في بيروت، يعيش الاهتياج الوطني الذي أخذ يعمُّ أرجاء بلاد الشام في مظاهرات واصطخابات عنيفة، فكان أحد المهتاجين الزاحفين إلى دمشق.. فيمر بربى وتراب (ميسلون) بطاح التصدي للفرنسيين بقيادة البطل السوري (يوسف العظمة)، وقد استشهد فوق ثرى بلاده بعدته الضئيلة التي لا تقوى على مجابهة قوة عظمى.. وكانت وقفة شاعرنا إزاءهما تستدر الدمع الساخن.. ومع ذلك لم يستسلم الشعب، ولم يخضع أو يستكنْ، بل ازداد عنفوانًا ووطنية وثورة.

ونصل مع وصول الشاعر دمشق، في ساحة (المرجة)، ليشارك الجموع الهائجة الثائرة المصطخبة بأصدق مشاعره الوطنية والعربية والإسلامية؛ وقد استيقظت في وجدانه وأحاسيسه رموز التاريخ العربي المجيد ومفاخره الفذة(١) .

المجلة

* * *

هُوَ المَجْدُ مِنْ أُفْقِنَا يَطْلُعُ ... نيْرًا عَلَى أَرْضِنَا يَسْطَعُ
تُضِيءُ أَشِعَّتُهُ الخَافِقَيْنِ ... فَتَمْشِي الشُّعُوبُ لَهَا تَتْبَعُ
تَوَارَثَهُ فِي سَنَاه الجُدُودُ ... فَفِينَا تَوَارُثُهُ مُودَعُ
يُجَدِّدُهُ فِي تَوَالِي القُرُونِ ... (حُمَاةُ الدِّيَارِ) بِمَا اسْتُودِعُوا

* * *

تَعَالَتْ (دِمَشْقُ) فَتَارِيخُهَا ... لَنَا بَعْدَ (أُمِّ القُرَى) المَرْجِعُ
(دِمَشْقُ) (الخِلاَفَةِ) أُمُّ العَوَاصِـ ... ـمِ فِي الأَرْضِ تَعْلُو وَلاَ تَخْضَعُ
جِنَانُ الخُلُودِ وَفَجْرُ الوُجُودْ ... تَبَارَكَ خَالِقُهَا المُبْدِعُ
سَتَبْقَى وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ ... وَصَوْتُ مَآذِنِهَا يُرْفَعُ
بِهَا (الغُوطَتَانِ) عَلَى (قَاسِيُونَ) ... بَابُ فَرَادِيسِنَا المُشْرَعُ

* * *

يُخَيَّلُ لِيْ أَنَّنِي قَدْ رَضَعْتُ ... هَوَى حُبِّهَا بَيْنَ مَنْ أُرْضِعُوا
غُلاَمًا سَمِعْتُ بِأَمْجَادِهَا ... بِمَا لَسْتُ أَفْقَهُ مَا أَسْمَعُ
فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ عَهْدَ الصِّبَا ... وَكُنْتُ فَتًى بِالعُلَى مُولَعُ

تربى ببطحاء (أم القرى)   ومن لأخبارها تابعوا
عشقت (دمشق) سماعا بها   وحبا تفيض به الأضلع
وهمت بها فلها الأصغران   (لساني) و(قلبي) هما المنبع
فدار (الخلافة) للمسلمين   بها عبر تاريخها المفزع
منار (العروبة) في المشرقين   فكل لأضوائها يتبع
تسير الجحافل من ساحها   فتطوى لها في الورى الأربع
فتحتل (سيحون) في زحفها   و(جيحون) فيما له تزمع
وتطوي سلاسل أورالها   إلى (الصين) أو ما له يتبع
وتحتل (غرب فرنسا) البعيد   و(أسبانيا) ثم لا تقنع
بشرق (المحيط) وما حوله   من (أفريقنا) بين ما تطمع
ولو عرفوا ما وراء (المحيطـ   ـن) خاضتهما بهم الأشرع
وجئت لـ (بيروت) في من أتى   لـ (جامعة) صرحها يجمع
تلاقى بها من شباب (العروبـ   ـة) أفلاذ أكبادها أجمع
وأصبحت من نهم الإطلاع   بما لست أروى ولا أشبع
أتابع أخبار (ثوراتنا)   على كل مستعمر تسمع
وأهتز عند سماع (الجهاد)   على (الاحتلال) واستجمع
أنازع من بين من نازعوا   قوى (الاحتلال) ومن صارعوا
ولا أرتضي ضيم مستعمر   لشبر من أوطاننا ينزع
حماس (العروبة) في هامتي   وقلبي على شرر يشرع
أسابق عمري بعشرينه   وأقفز فوقهما أسرع
ولا هم لي غير خطب العلى   ومن طلب العلم لا يقنع
على هذه الحال خضت الشباب   بـ (بيروت) وهي لي المطلع
أحس بقهر احتلال القوى   لأرض (العروبة) لا يقلع
وأقطارنا كلها في القيود   وليس لأغلالها منزع

....

....

....

ولا عزة تتقي الطامعين   وكل بأوطاننا يطمع
وأزعجني ما رأى ناظراي   بـ (لبنان) فرق ما يجمع
وراحت شهور وجاءت شهور   وما زالت (الشام) لا تهجع
وأحياؤها لابسات السواد   وكل صباح بها أبقع

أَهَانَ (سَرَايَا) كَرَامَاتِهَا ... فَكُلُّ فُؤَادٍ بِهَا مُوجَعُ
وَمَا كَانَ بِالْعَاقِلِ الْمُسْتَفِيدِ ... مِنَ أَغْلاَطِ (غُورُو) الَّذِي يَطْلَعُ
فَصَبَّ لَظَى حِقْدِهِ بِالْقَنَابِلِ ... يُرْهِبُهَا كَيْ لَهُ تَخْضَعُ
وَمَا عَرَفَ الأَحْمَقُ الْمُسْتَبِدُّ ... عَوَاقِبَ مَا قَدْ مَضَى يَصْنَعُ
وَأَنَّ (الْفَتَى الْغَافِقِيَّ) الَّذِي اسْـ ... ـتَبَاحَ (فَرَنْسَا) بِمَا فُجِعُوا
طَوَى بِالْجَحَافِلِ (حَوْضَ اللُّوَارِ الَّذِي ... (تُورُ) فِي سَهْلِهِ تَقْبَعُ
هُوَ ابْنُ (دِمَشْقَ) الَّذِي تَصْطَلِي ... بِنِيرَانِهِ وَهْيَ تَسْتَفْجِعُ
تَنَفَّسَ أَنْفَاسَ أَجْوَائِهَا ... غُلاَمًا وَلَمَّا يَزَلْ يَرْضَعُ
كَأَنَّ الَّذِي شَبَّهُ مِنْ لَظَى ... هُوَ (الثَّارُ) مَا بَيْنَنَا يُقْرَعُ
وَجَاءَ (دُومَارْتِيلُ) مِنْ بَعْدِهِ ... لِمِثْلِ حَمَاقَاتِهِ يَتْبَعُ
لِيُصْلِحَ أَخْطَاءَ مَنْ أَسْلَفُوا ... عَسَى أَنَّ إِصْلاَحَهُ يَنْفَعُ
وَلَكِنْ (دِمَشْقُ) أَبَتْ أَنْ تَذِل ... وَتَرْكَعَ مِنْ بَيْنِ مَنْ رَكَّعُوا
فَعَضَّتْ عَلَى جَرْحِهَا فِي أَسًى ... يُؤَرِّقُهَا خَطْبُهَا الأَفْظَعُ
فَقَرَّرَ مَنْ يَمْلِكُونَ الْقَرَارَ ... بِأَنَّ الصِّرَاعَ هُوَ الأَنْفَعُ
وَهَبُّوا إِلَى الجامع الأَمَوِيِّ ... قَلْعَتِهِم كُلَّمَا رُوِّعُوا
يُهَيِّجُهُمْ مِنْبَرُ الْخُطَبَاءِ ... وَمِحْرَابُهُ الثَّائِرُ الأَرْفَعُ
فَأَضْرَبَتِ (الشَّامُ) إِضْرَابَهَا ... وَكُلٌّ إِلَى دَارِهِ يَقْبَعُ
وَنَحْنُ عَلَى مِثْلِ رَجْعِ الصَّدَى ... بِـ(بَيْرُوتَ) نُصْغِي لِمَا نَسْمَعُ
إِلَى أَنْ تَفَاقَمَتِ الْحَادِثَاتُ ... وَطَارَ بِهَا الشَّرَرُ الْمُفْزِعُ
وَجَاءَ (النَّذِيرُ) وَغَابَ (الْبَشِيرُ) ... وَلَمْ يَبْقَ فِي قَوْسِهِمْ مَنْزَعُ
وَقَالُوا (الشَّآمُ) عَلَى ثَوْرَةٍ ... يَجِيشُ بِهَا لَيْلُهَا الْمُفْجِعُ
وَأَنَّ الشَّبَابَ الأُبَاةَ الغِضَابَ ... قَدِ اسْتَنْفَرُوا ثُمَّ لَمْ يَرْجِعُوا
فَسَاحَاتُ (مَرْجَتِهَا) كَالْبِحَارِ ... تَعَالَى بِهَا مَوْجُهُم يَتْبَعُ
تَصُولُ بِهَا وَتَجُولُ الْجُمُوعُ ... فَفِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مَجْمَعُ
وَجَيْشُ (الْفَرَنْسِيسِ) يَحْتَلُّهَا ... فَكُلٌّ لِوَاءٍ لَهُ مَوْقِعُ
تُحِيطُ بِهَا فِرَقُ الْمُعْتَدِينَ ... فَهُمْ حَوْلَهَا أَرْبَعٌ أَرْبَعُ
تُنَادِي (الْعُرُوبَةَ) فِي غَوْثِهَا ... وَصَوْتُ نِدَاءَاتِهَا يُسْمَعُ
فَهَيَّجَنَا مَا تَرَامَى لَنَا ... وَنَحْنُ بِـ(بَيْرُوتَ) لاَ نَهْجَعُ

* * *

هُرِعْتُ أُلَبِّي صَدَى صَوْتِهَا ... أُسَارِعُ مِنْ بَيْنِ مَنْ أَسْرَعُوا
نَشُدُّ الرِّحَالَ لِسَاحِ النِّزَالِ ... يُسَابِقُنَا شَوْقُنَا الأَسْرَعُ

طَوَيْنَا إِلَيْهَا جِبَالَ الثُّلُوجِ   بِـ (لُبْنَان) فَهِيَ لَنَا الْمَطْلَعُ
نَمُرُّ خِفَافًا بِـ (سَهْلِ البِقَاعِ)   نَحُثُّ الْخُطَى فِي مَنِ اطَّوَّعُوا
يَهُبُّ عَلَيْنَا صَبَا (الْغُوطَتَيْنِ)   يَهِيبُ بِنَا وَ(الْهَوَى) مُشْرَعُ
وَسِرْنَا نَلُفُّ الرُّبَى وَالتِّلاَعَ   وَنَتْرُكُهَا خَلْفَنَا تَقْبَعُ
إِلَى أَنْ تَرَاءَتْ لَنَا (مَيْسَلُونُ)   يُحِيطُ بِهَا صَمْتُهَا الْمُوجِعُ
وَقَفْنَا نُقَلِّبُ أَبْصَارَنَا   وَنَدْعُوا لِمَنْ مَاتَ فِي مَنْ دَعَوْا
وَهُمْ تَحْتَ أَطْبَاقِهَا خَاشِعُونَ   وَنَحْنُ عَلَى ظَهْرِهَا خُشَّعُ
تُقَشْعِرُ أَبْدَانُنَا فِي أَسًى   كَأَنَّا إِلَى (أُحُدٍ) نَطْلُعُ
فَيَا (مَيْسَلُونُ) عَلَيْكِ السَّلاَمُ   تَعَالَتْ إِلَيْكِ بِهِ الأَذْرُعُ
تَذَكَّرْتُ مَا قَالَ عَنْكِ الأُولَى   بِمَا قَدْ جَرَى فِيكِ مِمَّنْ وَعَوْا
وَأَنَّ الَّذِي يَتَرَاءَى لِعَيْنَيَّ   مِمَّا سَمِعْتُ بِهِ أَبْشَعُ
تَرَاءَتْ عَلَى جَانِبَيْكِ الذُّرَى   كَأَنَّ الأَسَى فَوْقَهَا بُرْقُعُ
تَعَالَتْ شَمَارِيخُهَا فِي السَّوَادِ   مُنَكَّسَةَ الْهَامِ تَسْتَرْجِعُ
تُطِلُّ عَلَى نُصُبٍ مُشْرَئِبٍّ   عَلَى الأَرْضِ مِنْ حَوْلِهِ بَلْقَعُ
عَلَى قَبْرِ (يُوسُفَ) وَهْوَ فَخَارُ (الْـ   ـعُرُوبَةِ) وَالْقَائِدُ الأَرْوَعُ
شَهِيدُ الضَّيَاعِ بِوَادِي السِّبَاعِ   وَمَنْ ضَاعَ مَا بَيْنَ مَنْ ضَيَّعُوا
وَشَاهَدْتُ آثَارَ مَا قِيلَ لِي   يُؤَكِّدُ لِي كُلَّمَا أَسْمَعُ
سَأَرْوِيهِ مِثْلَ سَمَاعِي بِهِ   فَمَا زَالَ يُرْوَى وَلاَ يُقْطَعُ
وَمَا صَوَّرُوهُ لِمَنْ لَمْ يَرَوْهُ   بَيَانُ تَفَاصِيلِهِ مُقْنِعُ
فَقَدْ قَادَ (يُوسُفُ) أَبْطَالَهُ   وَهُمْ حَوْلَهُ فِي الرَّدَى أَسْبُعُ
تَحَدَّوْا السِّلاَحَ بِأَرْدَا سِلاَحٍ   إِلَى الْمَوْتِ وَهْوَ لَهُمْ يَتْبَعُ
وَقَائِدُهُمْ حَوْلَهُمْ كَالْغَضَنْفَـ   ـرِ سَارَ بِهِمْ وَهْوَ يَسْتَجْمِعُ
فَلَمَّا تَقَدَّمَ زَحْفُ الصُّفُوفِ   كَأَنَّ بِهِ عَلَمًا يُرْفَعُ
يُمَيِّزُهُ طُولُهُ فِي الرِّجَالِ   مَزَّقَ قَامَتَهُ مِدْفَعُ
فَخَرَّ عَلَى مِزَقٍ لاَ تُرَى   فَلَمْ يَبْقَ لِلْمَوْتِ مَا يَنْزِعُ
فَزُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا   بِعَسْكَرِهِ وَقَدِ اضَّعْضَعُوا
وَفَرَّتْ سَرَايَاهُ مِلْءَ الْمَسَالِـ   ـكِ مَهْزُومَةً وَهْيَ تُسْتَتْبَعُ
عَلَى أَنَّهُ رَغْمَ هَوْلِ الْمُصَابِ   فَإِنَّ (بَنِي الشَّامِ) لَمْ يَخْنَعُوا
تَعَالَتْ بِهِمْ فِي الْجِرَاحِ الرِّمَاحُ   فَلَمْ يَسْجُدُوا لاَ وَلَمْ يَرْكَعُوا
وَهَبَّ الشَّبَابُ وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ   هُتَافَاتُهُمْ كُلُّهَا تُسْمَعُ
يُزَمْجِرُ أَشْبَالُهُمْ كَالضَّيَاغِمِ   لاَ تَنْثَنِي لاَ .. وَلاَ تَفْزَعُ

أَلاَ أَيُّهَا الْجَدَثُ الْمُتَعَالِي   عَلَى (مَيْسَلُونَ) به الْمَضْجَعُ
تَبِيتُ الأَعَاصِيرُ مِنْ حَوْلَه   يَئِنُّ بِهَا عَصْفُهَا الزَّعْزَعُ
يُوَلْوِلُ لِلثار مِثْلَ الْبَرَاكِيـ   ـنِ ثَارَ بِهَا حُمَمٌ تَصْرَعُ
يَطُوفُ السَّحَابُ بِأَرْكَانِه   وَهَتَّانُهُ فَوْقَهَا أَدْمُعُ
وَتَدْوِي الرُّعُودُ بِأَكْنَافِه   فَتَحْسَبُهَا قَارِعًا يَقْرَعُ
يُهِيبُ بِأَبْنَائِه أَنْ يَثُورُوا   عَلَى الْغَاصِبِينَ وَأَنْ يَفْزَعُوا
تُطِلُّ عَلَيْه رُبَى (مَيْسَلُونَ)   وَقَدْ أَطْرَقَتْ وَهْيَ تَسْتَرْجِعُ
(حُمَاةُ الدِّيَارِ) بِأَطْرَافِهَا   فُلُولٌ مِنَ الْهَوْلِ لاَ تُجْمَعُ
تَهِيمُ عَلَى وَجْهِهَا فِي التِّلاَلِ   وَسُبْلُ النَّجَاة بِهَا أَضْيَعُ
تُسَابِقُهَا شَائِعَاتُ الرَّدَى   وَيَسْبِقُهَا الْخَبَرُ الْمُفْجِعُ
وَبَاتَتْ (دِمَشْقُ) عَلَى كِبْرِيَاء (الْـ   ـخِلاَفَةِ) لاَ تَدْرِ مَا تَصْنَعُ
تَكَسَّرَ بَيْنَ يَدَيْهَا السِّلاَحُ   فَلَمْ يَبْقَ فِي قَوْسِهَا مَنْزِعُ
تَنُوحُ عَلَى خَطْبِهَا النَّائِحَاتُ   وَلاَ بُرْقُعٌ لاَ.. وَلاَ مَقْنَعُ
وَبَاتَ الشُّيُوخُ وَبَاتَ الشَّبَابُ   عَلَى كَمَدِ الْهَوْلِ لَمْ يَهْجَعُوا
فَأَحْيَاؤُهَا فِي لَهِيبِ اللَّظَى   تُزَمْجِرُ كَالرَّعْدِ لاَ يُقْطَعُ
تَعِجُّ مَدَاخِلُهَا بِالْبُغَاة   مِنَ (السُّودِ) كَاللَّيْلِ بَلْ أَفْظَعُ
وَقَدْ هَيَّجَ الثَّارُ أَبْنَاءَهَا   عَلَى كُلِّ مُنْعَطَفٍ يَقْبَعُ
تُزَمْجِرُ فِي مِثْلِ قَدْحِ الشَّرَارِ   مِنَ الْجَمْرِ يُحْرِقُ مَا يَلْذَعُ
كَأَنَّ بِهَا مِنْ (لَيَالِي الْهَرِيرِ)   عَلَى (الْقَادِسِيَّةِ) مَا يَجْمَعُ
وَقَدْ حَزَمُوا أَمْرَهُمْ لِلْكِفَاحِ   وَمَاجَتْ بِهِمْ فِي الدجَى الأَرْبُعُ
عَلَى حَرْبِهِمْ أَقْسَمَ الْمُقْسِمُونَ   وَكَانُوا عَلَى الْمَوْتِ قَدْ أَجْمَعُوا
تَفَجَّرَتِ (الشَّامُ) بِالثَّائِرِينَ   فَكُلٌّ لِخَوْضِ الْوَغَى مُسْرِعُ
تَدَاعَتْ حَوَاضِرُهَا وَالْبَوَادِي   كَمَا الْمَوْجِ كُلٌّ لَهُ مَوْقِعُ
تَعِجُّ بِهِمْ صَهَوَاتُ الْجِيَاد   عَلَى كُلِّ مُشْرِفَةٍ تَطْلُعُ
أَهَازِيجُهُمْ مِثْلُ عَصْفِ الرِّيَاحِ   عَلَى كُلِّ مُضْطَرَبٍ تُسْمَعُ
وَرَايَاتُهُمْ فِي عَنَانِ السَّمَاء   مَشَاعِلُ فِي لَيْلِهَا تَلْمَعُ
وَبَاتَتْ عُيُونُ الْعَذَارَى الْمِلاَحِ   عَلَى زَفَرَاتِ الأَسَى تَدْمَعُ
وَقَدْ كَانَ مِمَّا رَوَاهُ الرُّ   وَاةُ وَمَا لَمْ يَزَلْ يُسْمَعُ
عَرَضْتُ تَفَاصِيلَهُ كُلَّهَا   وَأَسْهَبْتُ وَصْفِي بِمَا يَنْفَعُ

* * *

وَأَمْسَتْ (دِمَشْقُ) حِمًى مُسْتَبَاحًا   وَأَجْرَاسُ مُحْتَلِّهَا تُقْرَعُ
رَمَاهَا (سَرَايَا) بِنِيرَانِه   فَأَحْرَقَ بِاللَّهَبِ الْمَرْبَعُ
يَطُوفُ الرَّدَى فِي لَيَالِي الصِّرَاعِ   بِأَحْيَائِهَا وَهِيَ لاَ تَهْجَعُ

على عاصمة الخلافة دمشق

وها نحن بعد ثلاثين عاما   نجيء إلى (الشّام) نستتبع
دخلنا (دمشق) فيا هول ما   رأينا على ساحها يصنع
رأينا بها الغاصب المستبيح   حماها بما شاءه تصدع
وقد راعنا علم أجنبي   بغيض بـ(مرجتها) يرفع
يرف عليها رفيف المنون   تمنيت لو أنه ينزع
يحف به فيلق أسود   من (السنغال) البلا مفزع
يدق (دمشق) بأعقابه   وقرع الطبول له يصقع
فما أبشع الخطوات الثقال   عليها ومنظرهم أبشع
تخيلت (غورو) يعود إليها   تمايل في كبره يهزع
وقد كان في ضفة الدردنيل   ابن آوى تدب به أربع
يفر إذا ما دوت طلقة   أمام عساكره يهنع
وقد كافؤوه على فره   بدار (الخلافة) إذ وزعوا
فقد كان حقدهمو علقما   تفوح به منهمو الأضلع
رأيت (دمشق) وأجواؤها   لهيب من النار لا يقشع
يؤججها (الجامع الأموي)   ومنبره المنذر المصقع
تسيل الجموع بطوفانها الذي   من مساجدها ينبع
يروعك منها تلاقي   الجموع على أن تكبيرها أروع
ترجلت من مركبي عندما   احتواني موكبها المجمع
أخوض الصفوف وأطوي الصفوف   وأدفع بالكتف من أدفع
أزاحم من بين من زاحموا   وأسرع ما بين من أسرعوا
إلى ظل رايتهم خفقها   على الموكب الشرف الأرفع
بها من (أمية) عرف (الخلافـ   ـة) فاح شذى حيثما توضع
تسير الجماهير في ظلها   على سيرها وهي تستتبع
إلى ساحة (المرجة) الملتقى   و (ندوتها) عندما تجمع
علت هامتي بين تلك الجموع   وما رفع الله لا يوضع
فإني من (القوم) في ذروة (الـ   ـعروبة) جدي بها (تبع)
ولي في (امرئ القيس) ما لا يزال   على (قاسيون) صدى يسمع
وإني بها البعض من أهلها   (دمشق) لنا ولهم مرضع
فـ(غسان) منا وأمشاجها   لـ(عدنان) أو (يعرب) أفرع
وبعد مفاخرنا في (قريش)   تجيء مفاخرنا تتبع
وكل فخار بغير (النبي)   يسير به قدم يظلع

عبد الله بلخير

بيروت . الجامعة الأمريكية، عام ١٩٣٦م / ١٣٥٦هـ

حوار مع:

الأديب السوري وليد إخلاصي

العالمية.. وهم يجب الخلاص منه

أجراه: أحمد خيري

إذا أردنا أن نخوض في تجارب الرواد وجدناهم دائماً في صراع وصدام..

وإذا أردنا أن نُقوِّم تجارب واحد من هؤلاء، فما علينا إلا أن ندرك الحالة التي يحياها والواقع الذي يتعايش معه، ووليد إخلاصي، هذا الإنسان، إذا أردنا أن نخوض في عالمه وجدناه في صراع وصدام. ولكنْ دائماً مع نفسه لا مع الآخرين.

ويظل وجهه ـ رغم تلك الصراعات ـ أمام الآخرين مشرقاً وباسماً.

والروائي وليد إخلاصي واحد من الذين أثبتوا حضوراً متميزاً على الساحة الأدبية العربية، كتب الرواية وكان من المخضرمين فيها، وكتب القصة وكان له فيها شأن كبير، كما كتب المسرحية وكان له حضوره المميز.

.. هو دائم الحركة والنشاط.. وفي إحدى جلساته الهادئة كان معه هذا الحوار:

بداية هل نتحدث عن رحلتك مع الأدب؟

إذا أُردتُ أن أتحدث عن هذه الرحلة: أبحثُ عن محطات أساسية، محطات لم أصنعها أنا ولم يكن لي يد فيها.

فإذا تحدثنا عن البداية، وجدت العلاقة الدينية المتفتحة مع والدي الأزهري التي أدخلتني عَالم الحرية والفهم الحقيقي للديمقراطية.

المحطة الثانية: تلك الصورة الغائمة، ولاتزال غائمة، كانت عام ١٩٤٨م وما دار فيها من نزوح وانكسارالأمان، هذه المحطة خلفت عندي نوعاً من الخوف على المكان، ولذلك بت متعلقا بالأماكن التي أوجدتني وأوجدتها. ثم المحطة التالية وكانت ذات طابع متفرد، وهي دراستي الزراعة في جامعة الإسكندرية. فأنا ـ كما أقول دائمًا ـ مدين للميكروسكوب في فهم الحقائق والدقائق والعالم.

أما المحطة التي خلعتني من جذوري ورمتني مدة أيام فقط، فهي حرب ٥ حزيران (يونيو). آنذاك أحسست معنى الكذب والغرورالعربي. ولكني سرعان ما استعدت توازني. المحطة التي جعلتني غاضباً وأعادت إلي كهولتي غضب الشباب هي الاجتياح الإسرائيلي لبيروت. وهناك وقفات صغيرة ولكنها كبيرة الأهمية مثل بعض القرارات المهمة في حياتي، «أنطون تشيخوف» لايزال يهزني بعنف بهدوئه العجيب ولايزال يعيش في داخلي، وكثيرًا ما أتوقف عن الكتابة عندما أصغي إليه. ومن المحطات الصغيرة، عدد من الأعمال المسرحية التي شاهدتها هنا وهناك، حفظت لي قوة الحلم الذي أعيش عليه بالرغم من واقعيتي المفرطة. كما علمتني كتاباتي أحياناً عبر السنوات أن أظل خائفاً من أن أكرر نفسي أو أن أكرر غيري.

أعمالي لاتزال تعيش في نفسي بأبطالها وشخصياتها، فرواية «زهرة الصندل» «الجدة وهوب»، لاتزال بداخلي، وأتمنى أن أتخلص منها لأنها رقيب قاسٍ على ما يحتمل أن أرتكبه من حماقات.

(المحلية هي العالمية)، هذا قول اتفق عليه الكثيرون، هل تعتقد أن هذا القول صحيح..؟ ولماذا لا نجد كتاباً محليين تبوؤوا السوق العالمية..؟

هذا الهاجس لم يؤرقني، ولن يؤرقني، والسبب أنه كلما ازددت معرفة، ازداد الكون صغراً وضيقاً. وإذا دخلنا جوهر العالمية، فالمقصود بها ـ في رأيي ـ أن تُترجم أعمال الكُتَّاب إلى اللغات الحية، كالإنجليزية والفرنسية وفي درجة أدنى الألمانية. والسؤال الآن: ماذا عن اللغة الصينية؟ ثم ماذا عن اللغة الإسبانية؟ وهما من أوسع اللغات انتشاراً؟ إذن الذي صنع العالمية هو سلطان الغرب الذي وقعنا في أسره، والذي لا أدعو للتخلص منه، لأنه جزء من ثقافة الكون، ولكني أدعو إلى انفتاح أفق الثقافة، والكاتب العالمي الحقيقي هو الذي يقرأه فرد من الأسكيمو، وليس من نيويورك.

هذه المشكلة التي يلهث خلفها الكتاب العرب، هي ذروة الوهم الذي يشكل علاقة الخطر في آلية تفكيرنا.. أما الذي أبحث عنه أنا، فأن يقرأ لي مائة قارئ

جيد، لا أكثر.

في النص الإبداعي، هل يمكن أن نفصل العمل السياسي عن العمل الروائي؟

ما معنى السياسة؟ إذا اعتبرنا تشغيل الدراجة بالقدمين هو عمل تحصيلي، وسير الدراجة إلى اتجاه معين عمل سياسي.

إذن فكيف يمكن أن نفصل العمل العضلي عن السياسي..؟!

في أعمالك الروائية، هناك الواقع، وهناك المتخيل، كيف تنظر إليهما؟ وما وجه المقاربة بينهما؟



وليدا خلاصي:

- من مواليد الإسكندرونة.
- بكالوريوس زراعة، جامعة الإسكندرية، مصر.
- دبلوم دراسات عليا.
- محاضر في الجامعة.
- بدأ نشر نتاجه الأدبي منذ أواخر الخمسينيات.

- أهم مؤلفاته:

العالم من قبل ومن بعد، (مسرحية)، دمشق ١٩٦٤م، دماء في الصبح الأغبر (قصص) ١٩٦٨م، شتاء البحر اليابس، (رواية) بيروت ١٩٧٥م، الدهشة في العيون القاسية، (قصص) دمشق ١٩٧٢م، سبعة أصوات خشنة، (مسرحيات) دمشق ١٩٧٩م.

إذا كان الواقع هو تصوير ما عليه الحال، فإنها الواقعية المبتذلة، ولكن أن يكون الواقع في العمل الروائي هو من صنع الكاتب، فهذا هو المتوهم في أعلى درجات تجليه للواقع، وأنا لا أرى فرقا بين الحُلم (المنام) والواقع.

إذن الحالة التخيلية مرتبطة بالواقع، ولكن اتساع الأفق الإنساني خفف من حدة الجغرافية الاقليمية ونقلها إلى حدة الجغرافية الكونية.

من الواضح اليوم، أن هناك نوعاً من الغربة قائم بين القارئ والأديب، فما أسباب هذه الغربة..؟

هذا الأمر لا ينسحب على النص المطبوع فقط، بل تجده في كل الأعمال الفنية، في اللوحة، في الموسيقى، في النحت، وفي أي حالة أخرى من حالات الإبداع.

فالإبداع كالحداثة مرفوض إلى أن ينتهي الصراع الطويل ما بين المبدع والمتلقي لكي يكون الاصطفاء فالقبول. مثلاً ما كتبه الماغوط كان مرفوضاً والآن صار شعبياً لأنه مبدع. حتى في حالات الفن التشكيلي، يَقْبَلُ الناس بيكاسو الآن لأنه فُرض بقوة الزمن وتعسف النقاد وبات شعبياً، فلا يمكن أن يحكم على النص المهم، إلا بطول غربة الناس عنه.

ما مفهومك للنص الإبداعي..؟

لا أجد وسيلة لتفسير النص الإبداعي إلا بالعودة للطبيعة.. إذا أردت أن تفهم ما الشعر فيجب أن تفهم كيميائية تكوين الألماس في الطبيعة. حتى الآن عندما أريد أن أحكم على نص، فلا أجد من وسيلة نقدية سوى العودة للطبيعة والبيولوجيا والكيمياء. والنص هو التفوق الإنساني المعقد في أبسط حالاته.

كيف تنظر إلى المشهد الروائي العربي؟ وهل هناك نقاط مضيئة في مسيرة الرواية العربية؟

أستطيع أن أقول رأيي الشخصي كقارئ جيد: إن المُنجز في الرواية العربية خلال نصف قرن يشكل جانباً عظيماً من تكوين الملحمة النثرية الكبرى للعرب. قد يكون نجيب محفوظ أكثر الوجوه تألقًا، ولكن هناك عشرات من الأعمال الروائية التي تسهم في تشكيل هذه الملحمة. وأعتقد أن القرن القادم سيشهد مرحلة متغيرة هي مرحلة الرواية العربية.

كتبت الرواية إلى جانب القصة والمسرحية، كيف تحدد شكل العمل الذي تكتبه؟

إن نظرية الاحتمال هي الغالبة في تخليق الأشياءالجديدة، ليس في الإنسان، وإنما في حالات الإبداع. الفعل الإبداعي فعل قهري وهو الذي يقودك، وعندما تقوده يكون النص مجهضاً.

كيف تنظر إلى العلاقة بين النص النقدي والنص الإبداعي؟

العلاقة الظاهرية القائمة بين النص النقدي والإبداعي تصبح واهية إذا لم يكن النص النقدي معادلاً للنص الإبداعي في زخمة وتألقه، فيجب أن نميز بين المراجعة والمتابعات النقدية، وحالة النقد في تجليه الإبداعي. ولذلك لا توجد هناك علاقة حسابية بين النقد والإبداع وإنما هناك علاقة ندية.

المكتبات الإسلامية بين كيد الأعداء وجهل العامة

خليل محمود الصمادي

لم تعرف أمة من الأمم المكتبات كما عرفها المسلمون، فقد عرفها المسلمون، منذ صدر الإسلام، فكلمة «اقرأ»، التي بدأ بها نزول القرآن الكريم، كانت أول الغيث الذي روى القلوب القاحلة والعقول الجرداء، فنمت وترعرعت وأثمرت وأعطت أكلها للبشرية جمعاء.

كانت البداية في تدوين القرآن الكريم، ثم اتسعت الدائرة لتشمل التفسير وعلوم القرآن، ثم شمل التدوين السنة النبوية التي أوجدت عشرات العلوم والفروع كعلم الرجال والجرح والتعديل والطبقات وغيرها.

كل هذه العلوم فرضت الحاجة لوجود مكتبات لحفظ التراث الإسلامي العظيم.

وتعددت المكتبات في تاريخنا القديم، فكان منها المكتبات العامة والخاصة، ومكتبات المساجد والقصور والمدارس والمستشفيات والسجون وغيرها، وانتشرت في معظم البلاد والمدن، وازدهرت ازدهاراً عظيماً، وتعددت خدماتها للباحثين وللطلاب ولغيرهم.

وقد نشأت منها صناعات وأسواق، فازدهرت صناعة الورق والأقلام والمداد والتجليد في أسواق بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها.

بيد أن هذا الازدهار لم يسلم من نكبات حلّت بعالمنا الإسلامي على مدى العصور، وكان للمكتبات حظ منها.

فكم من مكتبة أُحرقت، وأخرى دُمّرت وغيرها نُهبت، مما يدل على كيد الأعداء الذين اجتاحوا بلادنا، أو على جهل العامة الذين استغلوا ظروف الفتن والاضطرابات، فقاموا بنهب المكتبات، وعبثوا بما فيها.

ولكن الكيد الخارجي كان الأشد والأقسى، فما من عدو قديم أو حديث اجتاح بلادنا إلا وانتقم من تراثنا العظيم، فحرق دور العلم والمكتبات ظناً منه أنه سيغير ثقافة المسلمين، ولكن الله الذي تعهد بحفظ كتابه الكريم حفظ معه كل العلوم الناشئة منه. ورغم الحرائق التي التهمت الكثير من مكتباتنا نَجد مقداراً غنياً من تراثنا لايزال محفوظاً إلى يومنا هذا، وكذلك نجد مئات الآلاف من المخطوطات التي لاتزال تعمُرُ مكتباتنا الكثيرة.

النكبات الخارجية

تعرضت بلادنا الإسلامية لكثير من الغزوات، وكان كل عدو يجتاح بلادنا يقوم بحرق المكتبات التي يجدها في طريقه.

فقد أقدم الصليبيون سنة ٥٠٢هـ على حرق مكتبة «بني عمار» في طرابلس الشام، وكانت تحتوي على أكثر من مليون كتاب(١). ونالت هذه المكتبة شهرة عظيمة لما كانت تحتويه من كتب ونسّاخ ووكلاء وفهارس. ولم يكتف الصليبيون بهذه الجريمة البشعة بل أحرقوا عدة مكتبات في بلاد المسلمين كما في القدس وعسقلان وغيرهما(٢).

أما المغول فعندما اجتاحوا بغداد سنة ٦٥٦هـ أضرموا النار في بيت الحكمة التي كانت أشهر مكتبة في العالم الإسلامي، وألقوا ما بقي من المجلدات في نهر دجلة، فاسودت مياهه من كثرة ما ألقي فيه من كتب(٣) . ويذكر بعض المؤرخين أن هولاكو بنى اصطبلاً للخيول وطُوالات للمعالف من مجلدات الكتب، وأقام ثلاثة جسور منها على نهر دجلة (٤)، فكان الفارس يعبر عليها من ضفة إلى ضفة.

أما دمشق فقد اجتاحها التتار سنة ٦٩٩هـ، وخربوا أماكن ومعالم عديدة، من بينها دار الحديث الأشرفية التي كانت تحتوي على كتب نفيسة، أوقفها كثير من العلماء كالسبكي والنووي، ونهبوا كتباً كثيرة من الرباط الناصري والضيائية وخزانة ابن البزوري، وصار الجند يبيعونها بأبخس الأثمان وهي مكتوب عليها الوقفية (٥).

ذكر ياقوت أن المغول لم يتركوا مكتبة في طريقهم إلا أحرقوها، وقد ذكر في كتابه عشر مكتبات دُمرت كما حدث في مرو وساوة وغيرهما (٦). وعندما اجتاح تيمورلنك بلاد المسلمين عبث بكل ما وجده من آثار حضارية، فطالت يده أكثر المكتبات التي وجدها، وقد كانت دمشق سنة ٨٠٣هـ عامرة بالمكتبات، فأضرم النار بالمدينة، وبقيت تحترق ثلاثة أيام، وبعد تلك النكبة

جُمع ما بقي من الكتب من مختلف الخزائن التي لم تُصَب بالحريق، أو التي أصابها بعض الحرق من قِبل بعض العلماء، ثم وُضعت في مكان واحد عُرف فيما بعد بالمكتبة الظاهرية(٧) .

أما في بلاد الأندلس التي كان لها الفضل في نهضة أوربا - التي كان يعارضها رجال الدين النصراني الذين تسلطوا على الحياة الفكرية - فقد بدأت الكتب تنتقل منها إلى أوربا، فلم يرق ذلك للمتعصبين والكنيسة فأضمروا في أنفسهم الانتقام من المسلمين، فوجدوا الفرصة مواتية لهم عندما حلت بالبلاد النكبة المعروفة، فقد أمر المطران خمينس - رأس الكنيسة - سنة (٩٠٥هـ) بجمع الكتب من أنحاء الأندلس وكُدست في أكبر ساحات غرناطة، واحتُفل بإحراقها. وقُدِّر عدد ما أُحرق يومذاك بما لا يقل عن مائة ألف مخطوط(٨).

وقد حصل الشيء نفسه في مختلف المكتبات التي كانت عامرة في بلاد الأندلس طوال نصف قرن.

وقد ضمت مكتبة الاسكوريال في مدريد بضعة آلاف من المجلدات سلمت من الحرق، ثم ضُمَّ إليها نحو أربعة آلاف مخطوط لتشكل قسماً مهماً من محتويات المكتبة، وتم ذلك سنة (١٠٣٠هـ)، وذلك على الرغم من أن شروط تسليم غرناطة نصت على السماح للمسلمين بالاحتفاظ بدينهم وأملاكهم وثقافتهم وكتبهم ما شاؤوا ذلك، ولكن ذلك لم يحدث البتة.

وعندما هاجم شارل الخامس (شارلكان) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية مدينة تونس عام ١٥٢٦م، دمر جنوده المكتبة العامة في تونس وأحرقوا مخطوطاتها النادرة (٩).

وعندما احتل الفرنسيون شمال أفريقيا عام ١٨٤٠م، اتبعوا سياسة الأرض المحروقة في طريقهم، فأقدموا على حرق مكتبة قسنطينة المشهورة بكتبها ومكانتها العلمية عن بكرة أبيها(١٠) .

وقامت منظمة التحرير الفرنسي السرية بعد مدة من الزمن بحرق مكتبة جامعة الجزائر المحتوية على أكثر من نصف مليون كتاب(١١).

وفي عام ١٩٢٥م أقدم الفرنسيون كذلك على ضرب مدينة دمشق بالمدافع؛ مما تسبب في حرق المدرسة الجوزية ومكتبتها العامرة، فانهارت وصارت ركاماً(١٢).

أما الدوق يوجين دي سافوا Eugene de Savoie فقد استولى على سراييفو سنة ١٦٩٧م، إذ كانت تسمى بوسنة سراي، وقام بنهب قسم من مخطوطات المكتبة الوطنية وأقدم على حرق الباقي. ومازال قسم من مخطوطاتها في مكتبة فيينا(١٣).

وعادت الْكَرَّةُ ثانية في الهجوم الصربي الشرس الأخير على البوسنة والهرسك، فأقدم الصرب على تدمير معهد الدراسات الشرقية في سراييفو، وتسبب هذا الدمار في ضياع تراث ضخم من المخطوطات والوثائق النادرة والكتب الثمينة. والمعهد أنشيء عام ١٩٥٠م لجمع الوثائق والمخطوطات باللغات العربية والفارسية والتركية ولغة شعب البوسنة، وكان في أرشيف المعهد قرابة مائتي ألف وثيقة إبان الحكم العثماني، وتعد مكتبة المعهد أهم مكتبة للمخطوطات في أوربا الشرقية(١٤).

ولحق الدمار أيضاً ٦٥٠ مسجداً، يحتوي أكثرها على العديد من المكتبات، و٨٠ عمارة تابعة لممتلكات الأوقاف، وعدداً كبيراً من المكتبات الإسلامية والقومية(١٥)، منها مكتبة الغازي خسرو بك، ومدرسته الشهيرة في العاصمة، وكانت قد أنشئت عام ١٥٣٧م(١٦) .

أما اليهود فقد ساهموا كغيرهم من الأعداء في الكيد للتراث الإسلامي فقاموا بسرقة مخطوطات البحر الميت. وتكمن الخطورة في إخفائها ووضعها في مكان آمن لا يستطيع أحد أن يطلع عليها فيه، وذلك لما تتضمنه من حقائق بالغة الأهمية من شأنها لو ظهرت أن تكشف زيف توراتهم وأكاذيبهم الكثيرة، وأكد كثير من المحققين أن المخطوطات توافق وتؤيد ما جاء في القرآن الكريم من آيات وتكشف كذب العقيدة التلمودية اليهودية (١٧).

وقد كُشفت هذه المخطوطات بواسطة أحد الرعاة سنة ١٩٤٧م، ومازالت مودعة بالجامعة العبرية بالقدس منذ ذلك الحين، مع إحاطتها بالسرية التامة.

وقد كان بالقدس وحدها قبل عام ١٩٤٧م أربعون مكتبة أو أكثر (١٨) ذهب أكثرها نهباً للمحتلين.

وخلال غزو إسرائيل لبنان سنة ١٩٨٢م، نهب اليهود جميع محتويات مركز الأبحاث والدراسات الفلسطينية في بيروت، وهو المركز الوطني لجميع الوثائق والسجلات الرسمية والمستندات المتعلقة بملكية الأراضي قبل عام ١٩٤٨م، بالإضافة إلى الآلاف من الكتب العديدة. وقام اليهود بترحيل المحتويات إلى فلسطين، وقاموا بتفتيشها، وتصوير بعضها. وبعد سنة من الغزو وإثر مفاوضات بينهم وبين الصليب الأحمر تم إرجاع ٩٠ طناً من الوثائق والكتب مع ١١٥٠ أسيراً مقابل ثلاث جثث لجنودهم قتلوا أثناء الغزو(١٩) .

نكبات داخلية

من أسباب النكبات الداخلية التي حلت بمكتباتنا ما يرجع أحياناً إلى انتهاء بعض المكتبات الخاصة إلى بعض الورثة الجهلة الذين لا يُقدِّرون العلم والعلماء، وإلى بعض الفتن والحروب الداخلية التي كانت تحدث في بعض البلدان، وما يخلفه الغزو الخارجي من قبل الأعداء من فوضى وعدم استقرار.

وكان بعض الورثة قد باعوا خلاصة عقول أسلافهم نتيجة عدم إدراك قيمتها العلمية، أو للإفادة المادية من بيعها. وبيعت بعض الكتب المنهوبة وكتب المديونين والمفلسين(٢٠).

فالعلامة ابن القيم كان مولعاً بجمع الكتب على اختلاف فنونها، وقد اقتنى منها ما لا يحصى وما لم يحصل لغيره، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهراً طويلاً سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم(٢١).

فربما كان أولاد ابن القيم ألطف من غيرهم لإنهم باعوا بعض كتب والدهم بينما غيرهم قد عبث بها أو رماها.

وقد قام الشيخ طاهر الجزائري بجهود فائقة في القرن الماضي من أجل إحياء المكتبة الظاهرية بدمشق، فجال في أسواق دمشق وبيوتها من أجل

جمع المخطوطات بعد أن دبت الغيرة في نفسه، ويذكر أنه ذهب إلى أحد حمامات دمشق فرأى غلاماً يوقد النار بمجلدات من المخطوطات يضعها جانبه، كلما خبت النار ألقى فيها حزمة من الكتب لتستعر، فدهش الشيخ ومنع الغلام من عمله، وسارع إلى صاحب الحمام يسأله عن هذه الجريمة، فقال له صاحب الحمام: إنه منذ زمن وهو يشتري الكتب من الجيران لاستعمالها بدل الحطب. فما كان من الشيخ إلا أن اشترى منه ما سلم من الحرق، وقام بجولة لشراء الكتب من الناس وضمها إلى الظاهرية.

وأغرب النكبات التي تثير الضحك ما فعلته زوجة الأمير ابن فاتك، من أمراء القرن الخامس الهجري فقد كان له مكتبة ضخمة يجلس فيها أكثر أوقاته ولا يفارقها، فداخلت الغيرة زوجته من الكتب، فلما توفي نهضت هي وجواريها إلى خزائن كتبه، وفي قلبها لوعة منها ؛ لأنه كان يشتغل بها عنها ، فجعلت تبكيه وتندبه، وفي أثناء ذلك ترمي وجواريها الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار(٢٢).

أما السبب الأهم في ضياع المكتبات فهو الفتن والاضطرابات، إذ كان العامة يستغلون تلك الأوضاع فيهرعون إلى مكتبات المساجد والمكتبات العامة، ويختلسون منها ما يقدرون على حمله، فقد روت لنا كتب التاريخ الكثير من تلك الحوادث المؤسفة، ففي سنة ٤٥١هـ تعرضت خزانة سابور التي كانت تعرف بدار العلم لحريق هائل إذ احترق بعضها، ونُهب ما سلم من الحريق، وذلك أن العامة استغلوا الفوضى ونهبوا بعض كتبها(٢٣). ومن المؤسف أن الوزير عميد الملك الكندري سمع بما حدث فحضر بنفسه إلى الدار مع قوة من الجند وأزال العامة ونهب منها لنفسه أجودها وأحسنها(٢٤).

وكذلك تعرضت مكتبة الخلفاء الفاطميين بالقاهرة سنة ٤٦١هـ إلى اقتحام الجنود من عبيد المغاربة بسبب التأخر في دفع مرتباتهم فمزقوا الكتب، واقتسموا جلودها واتخذوها نعالاً لهم، ثم أحرقوا الكتب، وما لم يحرق منها، سفت الرياح التراب عليه فصار تلالاً، عرفت بتلال الكتب(٢٥).

وفي مطلع القرن الخامس الهجري حاصر البربر قرطبة، فتعرضت مكتبة الحكم المستنصر لهزات عنيفة بعد موته، وتبددت كنوزها، ثم تم توزيعها بين ملوك الطوائف، وتعرضت مكتبة الصوفية بحلب إلى سرقة من قبل جيرانها في فتنة قامت بين سكان حلب في أيام عاشوراء(٢٦).

أما مكتبة البيمارستان المنصوري الكبير فقد ذهب معظم كتبها وتفرقت بين أيدي الناس، ثم تعرضت خزانة الكتب فيما بعد لحريق أتى على كتب العلوم والمصاحف والوقفيات(٢٧).

وكذلك تعرضت المدرسة الجوزية في دمشق لاختلاس جيرانها في فتنة قامت هناك ولم يبق منها سوى بقية يسيرة (٢٨).

والحرب الأهلية الأخيرة في بيروت امتدت أيضاً إلى مكتباتها، ومن بينها المكتبة الوطنية الواقعة بين خطوط التماس، التي وقع بعض كتبها في أيدي الجهلة من الميليشيات (المقاتلين)، فكانوا يضعون المجلدات بين أكياس الرمل على مداخل الأبنية والشرفات متاريس للوقاية من النيران، وكان بعض الجهلة يوقد النار ليلاً أثناء حراسته، ويطعمها بعض المجلدات ليشعر بالدفء من تراث الأمة، وقد أُنقذت بعض الكتب من بينها ديوان الشاعر القروي «رشيد سليم الخوري» المطبوع في ساوباولو سنة ١٩٢٥م، وكان قد أهداه إلى المكتبة الوطنية مذيلاً بتوقيعه !! إن كان هذا قد حدث قبل خمسة عشر عاماً فلا عتب على جهلة القرون السالفة .

المستشرقون والمكتبات الإسلامية

يرجع اهتمام الفرنجة بالمخطوطات الإسلامية إلى القرن العاشر الميلادي، فقد جمعوا كثيراً مما ألفه المسلمون في الطب والرياضيات والأدب واللغة وغيرها.

وخلال الحروب الصليبية بهرتهم المكتبات المنتشرة في أكثر البلاد التي اجتاحوها، فأحبوا أن ينقلوا هذا الفن لبلادهم، فاستولوا على الكثير من المجلدات التي سلمت من شرهم ونقلوها إلى بلادهم. حتى لويس التاسع ملك فرنسا (١٢٢٦ ـ ١٢٧٠م) لما عاد من الحرب نقل معه من دمياط مخطوطات عربية وقبطية زين بها خزائن قَصْره، واحتذى حذوه كثيرون من أمراء الفرنسيين وأغنيائهم الذين رافقوا الملك في زيارته للأماكن المقدسة.

وكذلك نقل الإيطاليون بعض المخطوطات العربية وأرسلوا البعثات لاقتناء ما يناسبهم. وقد جمع رجال الكنيسة كثيراً من المؤلفات العربية في مكتبة الفاتيكان في روما (٢٩).

وبدأت حملات المستشرقين تجوب البلاد الإسلامية بحثاً عن المخطوطات، وقد ساعدهم في ذلك جهل الناس في ذلك الوقت بأهميتها فباعوها بأبخس الأثمان، أو استبدلوا بها أدوات منزلية. وكانت جولاتهم تتم على المنازل ومكتبات الأديرة، ونقل معظم هذه المخطوطات إلى أوروبا(٣٠).

إن مكتبات أوربا وأمريكا الآن تضم نحو مائة ألف مخطوط عربي على أقل تقدير، هذا سوى ما في مكتبات المستشرقين وأساتذة الجامعات، وما في أيدي الناس ممن لهم عناية بالمخطوطات العربية والآثار الشرقية(٣١).

هوامش

(١) وفي رواية لابن الفرات: كان عدد كتبها: ٢.٨٠٠.٠٠٠ مجلد.
(٢) د. مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا، دار القرآن الكريم ـ بيروت، ١٩٨٠م.
(٣) ابن خلدون، العبر جـ٥، ص٥٤٣.
(٤) محمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية جـ١، ص٣٢٣.
(٥) د. يوسف العش ، دور الكتب العربية العامة وشبه العامة، دار الفكر ـ دمشق.
(٦) ياقوت الحموي ، معجم البلدان.
(٧) د. محمد عجاج الخطيب ، لمحات في المكتبة، عن محاضرة «د. عبد الرحمن الحجي» مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٠م.
(٨) المصدر السابق.
(٩) محمد ماهر حمادة ، المكتبات في الإسلام، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠١هـ.
(١٠) الفرد بتلر ، فتح العرب لمصر.
(١١) محمد ماهر حمادة ، المكتبات في الإسلام.
(١٢) أكرم الحلبي ، خطط دمشق ـ دار الطباع، دمشق ١٩٨٩م.
(١٣) جريدة الحياة، عدد ١٠٨١٤، ١٩٩٢/٩/١٨م.
(١٤) مجلة الفيصل، عدد ١٩٤ شعبان ١٤١٣ هـ.
(١٥) جريدة الشرق الأوسط، عدد ٥١٩٣ ـ ١٩٩٣/٢/١٥م في تصريح لمفتي البوسنة.
(١٦) النشرة الإخبارية لمركز الأبحاث في استانبول، عدد ٢٩ صفر ١٤١٣هـ.
(١٧) د. أحمد علي المجذوب ، أهل الكهف ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة ١٩٩٠م.
(١٨) عبد الرحمن العودة ، مجلة المكتبات والمعلومات العربية.
(١٩) مجلة المجلة، عدد ١٩٩، ربيع الأول ١٤٠٤هـ.
(٢٠) مجلة الدارة عدد ١٣٤، سنة ١٤١٣هـ.
(٢١) الدرر الكامنة ٢٢/٤.
(٢٢) مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا.
(٢٣) يذكر بعض المؤرخين أن احتراق المكتبة كان سنة ٤٤٧هـ أثناء دخول طغرل بجيشه إلى بغداد.
(٢٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٨٨/٨.
(٢٥) المقريزي، الخطط المقريزية ٢٥٣/٢.
(٢٦) د. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا.
(٢٧) المقريزي، الخطط المقريزية ٣٨٠/٢.
(٢٨) عبد القادر بدران، منادمة الأطلال.
(٢٩) خزائن الكتب العربية في الخافقين.
(٣٠) جريدة الحياة، عدد ١٠٦٥٤ ـ ١٩٩٢/٤/١٠م.
(٣١) د. محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة، وأنظر رحلات الأستاذ حمد الجاسر إلى مكتبات فينا وألمانيا ـ مجلة الفيصل الأعداد ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥.

نافذة على الصوفية

تصلني رسائل كثيرة من الشباب في عدة مواقع من الأرض، ما بين متبرم من الصوفية أو سائل عنها. وقد اختلفت الآراء المدونة عن حقيقة الصوفية، وتاريخ نشأتها في المجتمع الإسلامي، فالذين يميلون إليها، وغرقوا في بحرها، رفعوا قدرها، وجعلوها مظهراً إسلامياً متميزاً، والمعادون لها أكثروا فيها القول، والمنصفون درسوها دراسة علمية وأعادوها إلى جذورها في الديانات والمعتقدات الأخرى، والعارفون لبعض أسرارها الخفيّة ناصبوها العداء وقدحوا فيها بحسب ما عرفوا عنها. ولما كان هذا الحيز لا يفي الموضوع حقه؛ فإنني سأكتفي ببعض اللمحات والتعريفات من الدارسين لها، ولعله تتاح لي فرصة أخرى لمعاودة الكرة عندما يكون لذلك مُسَوِّغ.

فمن التعريفات التي جاءت في الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة الصادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض، هذا القول: ذهب البيروني قديمًا وفون هامر حديثًا إلى أن الصوفية إنما هي اشتقاق من سوفيا اليونانية، والتي تعني الحكمة، وهذا الرأي يدعم موقف القائلين بأن التصوف الإسلامي وليد الفلسفة الأفلاطونية.

ثم جاء في التعريف العام للصوفية، أن التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي عقب اتساع الفتوحات وازدياد الرخاء الاقتصادي كردّ فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري، مما حمل بعضهم على الزهد الذي تطور بهم حتى صار لهم طريقة مميزة باسم الصوفية، إذ كانوا يتوخون تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة، لا عن طريق التقليد أو الاستدلال، لكنهم جنحوا في المسار بعد ذلك، حتى تداخلت طريقتهم مع فلسفات هندية وفارسية ويونانية مختلفة. [الموسوعة ص ٣٤١].

ومن هذه التعريفات ندرك أن منشأ كلمة صوفية أعجمي، كما رُوي عن الجنيد. وأن من يقول بأنها مأخوذة من لباس الصوف الخشن، أو من الصُفَّة أي المسجد، أو من الصفاء، أو من الصف الأول، فهو غير صحيح، ولا يمتّ إلى هذه الطرق التي تعددت، وتباين مسلك أصحابها بصلة.

ولنرجع إلى ولْ ديورانت في «قصة الحضارة»، حيث قرن بعنوان واحد التصوف والإلحاد في الفصل الخامس من كتابه هذا، الجزء١٣، فإنه يعيد التصوف في نشأته إلى الهندوس واليونان، فيقول: ويرجع التصوف الإسلامي المنتشر في جميع بلاد المسلمين إلى أصول كثيرة، منها نزعة الزهد عند الفقراء الهندوس، وغنوطسيّة مصر والشام، وبحوث الأفلاطونية الجديدة عند اليونان المتأخرين، وتأثير الرهبان عند المسيحيين الزاهدين.

وازدهرت حركة التصوف في بلاد فارس خاصة، ولعل السبب في ازدهارها فيها قربها من بلاد الهند، كما ازدهرت في جند سابور بتأثير الديانة المسيحية، وتقاليد الأفلاطونية الجديدة التي وضعها فلاسفة اليونان، بعد أن فرّوا من أثينا إلى فارس عام ٥٢٩م.

وكانت الطوائف من الصوفية تضم كثيراً من المؤمنين بمبادئها المتحمسين لها، ومن كبار الشعراء والقائلين بوحدة الوجود - تعالى الله عن ذلك - والزهاد والمشعوذين والكثيري الزيجات، وكثير من الصوفيين حاولوا أن يصلوا إلى الله عن طريق الأشياء الخارجية أيضا، فقالوا إن كل ما نراه من كمال وجمال سببه حلول الله فيه؛ إلى أن قال ديورانت : ويعتقد الصوفي أن من وصل إلى الإنسان الكامل، وهو الاتحاد مع الله فإنه قد أصبح فوق كل القوانين وغير ملزم بأداء الحج ولا غيره من الشعائر الدينية. وفي حديثه المطول من ص ٢٦٤ إلى ص ٣٢٣ نراه يقارن بين ما يسير عليه الصوفية من المسلمين وما يسير عليه الهندوس الوثنيون، ومرة أخرى يقارن بين تعاليم رجال الصوفية وتربيتهم، وتعاليم القديسين وكهان الكنائس، وهذه المقارنة كفيلة بإدراك خطأ هذا المنهج الصوفي؛ لأن معتقدهم في الحلول - تعالى الله عن ذلك - فيه إساءة للخالق جل وعلا، وسوء أدب معه، واتّباع الهندوس والنصارى في أساليبهم التعبدية فيه بعد من الإسلام، واتّباع لما نهى الله عنه من معتقدات الأمم الأخرى التي تنافي شرع الله وسلامة العقيدة.



د. محمد بن سعد الشويعر

كما جاء في الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة أن الصوفية المنحرفة كانت بابًا كبيرًا دخلت منه كثير من الشرور على المسلمين، مثل التواكل والسلبية وإلغاء الشخصية للإنسان، وتعظيم شخصية الشيخ، فضلاً عن كثير من الضلالات التي تخرج بعضها عن الإسلام، فالحلول والاتحاد والفناء انحدرت من مصادر غير إسلامية، ودخيلة عليه، مثل الهندوسية والبوذية، والزرادشتية والأفلاطونية والمسيحية. ثم قالت الموسوعة: والسقوط في دائرة العدمية بإسقاط التكاليف وتجاوز الأمور الشرعية، إنما هو أمر عرفته البرهمية في الهند، حيث يقول البرهمي: حيث أكون متحداً مع براهما لا أكون مكلفًا بعمل أو فريضة. وأما قول الحلاج في الحلول، وقول ابن عربي في الإنسان الكامل، فإنه يوافق مذهب النصارى في عيسى عليه السلام، إلى غير هذا من أمور كثيرة تخالف الشرع والعقل السليم [انظر الموسوعة الميسرة ص: ٣٥٢].

لذا فإن طالب المعرفة خير له ألاّ يقلد زيداً أو عمراً، بل عليه أن يتبع الحقيقة وما وافق كتاب الله وسنة رسوله الله صلى الله عليه وسلم. وخير كتاب وقع عليه نظري من الكتب الكثيرة التي بحثت في الصوفية كتاب «هذه هي الصوفية» للشيخ عبد الرحمن الوكيل، الذي طُبع عدة طبعات، حيث تتبع في كتابه هذا رجالات الصوفية وطوائفها، وبيّن ما ظهر له من فضائحهم التي تخالف شرع الله. والله الهادي إلى سواء السبيل.

الطريق إلى الله:

المنصور بالله الشافعي

رحلة فرنسي عشق الإسلام

دامت رحلته مع الإسلام ثلاثين عاماً من البحث والدراسة والتفكير تُوجت في النهاية بإشهار إسلامه.

إنه المستشرق والمفكر الفرنسي المنصور بالله الشافعي (فانسان مونتيه سابقاً) الذي اختار الإسلام ديناً يعتنقه، وسلوكاً يحياه، ودافع بقوة عن قضايا الإسلام والمسلمين، من خلال أبحاثه ومقالاته التي زادت على مائة بحث ودراسة، وكُتبه التي تجاوزت الثلاثين كتاباً لعل أشهرها كتابه «الملف السري لإسرائيل» الذي طُبع عام ١٩٧٨م.

مولده

وُلِدَ فانسان مونتيه نصرانياً على دين آبائه، إلا أن عقله المتفتح تُزكيه الفطرة السليمة لم يقتنع بالأفكار التي تستند إليها عقيدة النصرانية، وبخاصة أسرار الكنيسة، إذ لم يقتنع بفكرة الفداء والزعم بصلب المسيح عليه السلام، ورأى في طقوس الكنيسة غموضاً لا مبرر له، ناهيك عما ابتدعته من رهبانية لرجالها، تداس كل يوم في الخفاء، بسلوكيات غير مقبولة.

وحين قرأ إبَّان دراسته في مدرسة سان سير العسكرية فيما بين عامي ١٩٣٤ - ١٩٣٦م ترجمة معاني القرآن الكريم للمرة الأولى، وجد في كتاب الله ما لم يجده في أناجيل النصارى من إجابات لتساؤلات داخلية طالما ترددت في صدره. لم يجد لدى القساوسة أو كتبهم المقدسة ما يروي غليله بشأنها.

الشك في النصرانية

وجد فانسان مونتيه في كتاب الله ما يتوافق مع الفطرة السليمة، والأدلة العقلية، ففي حين تزكي النصرانية فكرة ضرورة الإحساس بالذنب للخطيئة الأولى التي ارتكبها أبو البشر آدم عليه السلام، وتَحمَّل أبنائه تبعات انسياق والدهم الأول واستجابته لوساوس الشيطان، فإن الإسلام - بطبيعته السمحة - قد رفض هذه الفكرة الماشوزية التي تلتذ بتعذيب الذات، وتحميل النفس البشرية أخطاء غيرها، وأعلن أنه لا تزر وازرة وزر أخرى، مؤكداً على عفو الله عز وجل، ومشيراً إلى ما تلقاه آدم من ربه من كلمات تاب الله بها عليه، مما ينفي نفياً قاطعاً توارث أبنائه خطيئته التي تاب عنها وأناب.

واكتشف في القرآن الكريم الوضع المنطقي لعيسى عليه السلام الذي تزعم الأناجيل أنه ابن الله، وهو زعم طالما شك فيه، إلى أن تحول شكه إلى يقين حين قرأ الوصف القرآني لعيسى عليه السلام بأنه روح الله وكلمته.

في فلسطين

كان انتدابه إلى فلسطين عام ١٩٤٨م كضابط ضمن قوات الأمم المتحدة المكلفة بالإشراف على تطبيق الهدنة بين العرب وعصابات الصهاينة بداية ما يمكن أن نقول عنه إنه تعرفه الفعلي إلى الإسلام والمسلمين، ففي فلسطين لمس بساطة الإسلام وتسامحه، ورأى كيف باع بنو جلدته من النصارى تلك الأرض بما عليها من أناس مسالمين طيبين إلى عصابات من القتلة والسفاكين.

وبحكم عمله ضمن قوات الأمم المتحدة في الأرض المحتلة، كان شاهداً على المجازر التي تعرض لها أبناء الشعب الفلسطيني، والتي لم تفرق بين شيخ وطفل وإمرأة ومقعد، فعاش ألماً لا يطاق، حين اكتشف عجزه عن الحيلولة بين هذا الشعب والفناء المراد له.

دراسات مكثفة

حين عاد فانسان مونتيه إلى بلاده، كان قد عرف كثيراً عن الإسلام كعقيدة، والمسلمين كأمة، وارتأى أن يعزز هذا التعرف بالدراسة الجادة، وصولاً لراحة نفسه الحيرى التي لا تجد في النصرانية مبتغاها، ومن أجل ذلك ارتحل لسنوات طويلة أمضى معظمها في بلدان العالم العربي المختلفة. كما زار أندونيسيا وإيران ومالي والسنغال والنيجر وغانا وساحل العاج وسيراليون.

واكتشف من خلال قراءاته أن النصارى الأوائل عبدوا الله كما يعبده المسلمون حتى عام ٣٢٥م الذي عُقد فيه مجمع نيقيا، وما نتج عنه من قرارات حرَّفت النصرانية عن مسارها الأصيل، وأدخلت فيها سفسطات مقتبسة من عقائد وثنية، فأحالتها مسخاً مشوهاً لا علاقة له بما جاء به عيسى - عليه السلام - من شريعة آلهية.



المنصور بالله الشافعي

وزاد اقتناعه بزيف النصرانية وتحريفها حين اطلع على التحديد الذي صدر عام ١٢١٥م عن مجمع روما الرابع، إذ حدّد المجمع كنه الذات الآلهية بقوله عنها «لا تلد، ولم تولد»، ووجد فانسان هذا التحديد مأخوذاً من قوله

تعالى في سورة الإخلاص : ﴿قل هو الله أحد .الله الصمد. لم يلد. ولو يولد. ولم يكن له كفوا أحد﴾.

رحلاته في العالم الإسلامي والعربي

أتاحت رحلات فانسان إلى بلدان العالم العربي والإسلامي له أن يقرأ الكثير عن الإسلام والمسلمين، وعرف كيف يَدين العَالَم المعاصر بحضارته لما قدمته الحضارة الإسلامية في عصور ازدهارها من إسهامات متعددة في نواحي العلوم والفنون والآداب المختلفة.

وترجم مقدمة ابن خلدون إلى اللغة الفرنسية في ثلاثة مجلدات، كما عكف على قراءة ترجمات معاني القرآن الكريم المختلفة، وانفعل بشدة مع الحضارة الإسلامية فسخَّر قلمه وفكره للحديث عنها وعن الإنسان المسلم، واللغة العربية التي أحبها.

تبني قضايا المسلمين

عكف فانسان مونتيه على تبني قضايا المسلمين عامة، وفي مقدمتها قضية فلسطين، التي كان واحداً من أبرز المدافعين عنها على الساحة الفرنسية والأوربية، فوقَّع في سبتمبر ١٩٧٢م مع مجموعة من الكتَّاب الفرنسيين على عريضة تدين الكيان العنصري في فلسطين المحتلة، وانتهاكاته لحقوق الإنسان العربي، نشرتها صحيفة «لوموند»، وكان بيانا عنيفاً أدان الحملات العنصرية على العرب، والاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان والأردن.

وحاولت المخابرات الإسرائيلية (الموساد) تصفيته، لكنها فشلت في ذلك، وإن نجحت في إصابته بصدمة باغتيال صديقه محمود الهمشري، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس، فكان لهذا العمل الإجرامي وقع شديد في نفسه.

لقد انزعج الصهاينة حين نشر فانسان كتابه «الملف السري لإسرائيل» الذي يحكي فيه مشاهداته، وما وصل إلى علمه من جرائم الصهاينة ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، بمشاركة صامتة من الغرب.

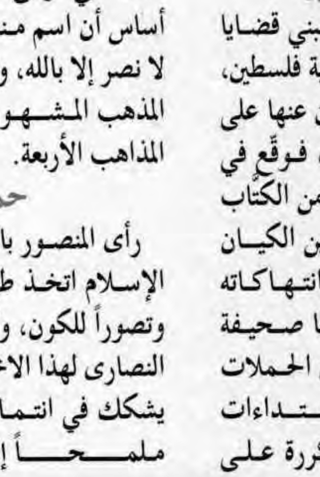
إشهار إسلامه

حاول فانسان وقد اقتنع بالإسلام ديناً أن يوفق بينه وبين النصرانية، إلا أنه بعد موازنة بين الديانتين وجد أن أية محاولة للتوفيق لن تؤدي إلاّ لمزيد من الاضطراب في داخله، فقرَّ قراره على الاختيار بينهما. وكان اختياره بالطبع الإسلام، الذي عرفه دين الحق والفطرة والبساطة.

وفي نوق الشط (نواكشوط) عاصمة موريتانيا في صيف عام ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م أشهر فانسان مونتيه إسلامه، واختار أن يتسمى باسم «المنصور بالله الشافعي» وبنى اختياره لهذا الاسم على أساس أن اسم منصور يوازي فانسان، وأن لا نصر إلا بالله، وانتسب للشافعي صاحب المذهب المشهور الذي اختاره من بين المذاهب الأربعة.

حملات ظالمة

رأى المنصور بالله الشافعي أنه باعتناقه الإسلام اتخذ طريقاً للحياة ومنهاجا، وتصوراً للكون، وكان طبيعيًا أن تثور ثائرة النصارى لهذا الاختيار، فحاول بعضهم أن يشكك في انتمائه إلى المجتمع الفرنسي، ملمحاً إلى أن الإحساس بالوطنية الفرنسية يتعارض مع الاعتقاد بالدين الإسلامي.



محمود الهمشري

إلا أن هذه الحملات التي عززتها الأقلام الصهيونية نكاية في مواقف الرجل، لم تزده إلا ثباتاً على الحق وتمسكاً بما انتهى إليه قراره، حيث رد على منتقديه بأن الانتماء للإسلام والإحساس بالوطنية الفرنسية وهويتها لا يتعارضان، بل على العكس يعبران في تلاقيهما عن شعور نبيل بالتقاء الخطوط السامية.

وحاول المغرضون أن يرجعوا سبب إسلامه إلى ما حبا الله العرب المسلمين في الخليج من ثروة نفطية، إلا أن الزعم ارتد إليهم ، فإسلام الرجل في خريف عمره، ومعيشته المعتدلة، وتخلقه بالأخلاق الإسلامية قبل إسلامه من عدم شرب الخمر أو أكل لحم الخنزير كان رداً كافياً لقطع ألسنة المتخرصين.

الرد على الافتراءات

لقد كانت هذه الافتراءات التي دُست على المنصور بالله الشافعي، حافزاً له لكشف ما يثيره القساوسة والمتعصبون من أكاذيب وافتراءات حول الإسلام والمسلمين، وبخاصة حول موضوعات الرِّقِّ، وتعدد الزوجات، والتعصب، حيث أثبت أن الإسلام دعوة لنبذ التعصب بتفضيله المرء بعمله الصالح لا بجنسه أو وطنه، وأوضح أن العقيدة الإسلامية لم تبتدع الرِّقَّ، بل وجدته نظاماً قائماً، فعمدت إلى القضاء عليه بأكثر من صورة، حتى إنها جعلت كفارة ذنوب عديدة تحرير رقبة، كما أن الشريعة الإسلامية لم تبتدع التعدد، لكنها خطت بالإنسانية خطوة كبيرة حين حددته، واشترطت له شرطاً لا بد منه هو العدل.

إن ما قدمه المنصور بالله الشافعي لأمته الإسلامية من جهاد بالكلمة والحرف، لجدير أن يحظى باهتمام المسلمين، وأن يُترجم إلى اللغة العربية، لأنه يعكس رؤية إسلامية صحيحة لأوربي نشأ في بيئة نصرانية، وهداه الله إلى طريق الحق. وما أحوجنا، وأمتنا الإسلامية تعاني الضعف، لأن نهتم بمثل هذه الكتابات التي تعطي المسلم زاداً روحياً، وتبين له طريقه إلى القوة وإحياء حضارته.

فتاوى لفضيلة الشيخ

د. صالح بن سعد اللحيدان

القبور في المساجد بدعة

في قريتنا مسجد، فيه قبر، يؤمه بعض المصلين ويزورونه، فما حكم زيارته؟ وما حكم الصلاة فيه؟ وما حكم دفع الصدقة لترميم القبر ودفع النذر؟

م. ل. م . مصر

مسألة وجود القبور في بعض المساجد والدفن فيها لم توجد إلا في حدود منتصف القرن الثالث الهجري، وقبل هذا بنحو خمسين سنة مرَّ العالم الإسلامي بمراحل مختلفة من تشتت العلماء الأخيار، وضعف «علم التوحيد»، وبخاصة العبادة، وانتشارالسفسطة، وتداخل العلوم، والانشغال بالفروع. وقد كان هذا أمرًا مقصودًا من قبل النصارى واليهود، وبعض الفرق الضالة التي نهجت نهجًا سيئًا لنشرالبدعة. وفي حدود القرن الرابع أو قبله بقليل انتشرت وثنية القبور: من الدعاء عندها والتبرك بها، والخوف، والرجاء، والسؤال الخاص والعام.

وهذا أمر جليل الخطر، لأنه يهدم توحيد المسلم الحر الكريم، وقد جاءت الرسل - عليهم الصلاة والسلام - بحقيقة التوحيد، وصرف العبادة كلها للّه سبحانه وتعالى.

وللإجابة نقول لك:

١ - لا تجوز زيارة القبر الذي في المسجد فهذا محرّم، وشدّ الرحال إليه أشد تحريمًا.

٢ - لا تجوز الصلاة فيه ما لم يوجد غيره، بشرط عدم استقبال القبر، مع ضرورة إنكار هذا الشرك بعقل وحكمة وعلم.

٣ - يحرم دفع الصدقة لترميم القبر، لأنه وسيلة لاستمرار الشرك. ودفع النذر للقبر هو الشرك بعينه.

وهذه أمور قال الله تعالى عنها: ﴿ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل﴾ هود ١٠٩. وقد حصر سبحانه أنواع العبادة كافة له فقال ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للّه رب العالمين﴾ الأنعام - ١٦٢. وقد ثبتَ في الصحيح: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد» ونحو هذا.

توزيع التركة

تُوفيت امرأة، وخلفت زوجها وولدين وبنتًا ووالديها، فكيف يتم توزيع تركتها؟

م. م. م. السبيعي ، رماح

للزوج الربع، والولدان والبنت للذكر مثل حظ الأنثيين، والوالدان لكل واحد منهما السدس.

فتكون هكذا:

أ- الزوج الربع لوجود الأبناء والبنت.

ب - ابنان وبنت واحدة

للذكر مثل حظ الأنثيين فتأخذ نصف ما لأحدهما

جـ - الأب السدس لوجود الأبناء والبنت

د - الأم السدس لوجود الأبناء والبنت

ويكون هذا كله بعد إخراج الدَّيْن والوصية، إن كانت قد ركبها دين أو أوصت بوصية.

والله تعالى أعلم.

الزكاة لا تدفع للكافر

هل يُعطى الكافر من الزكاة ؟

علي. م. ج. - كيفان، الكويت

الزكاة ركن من أركان الإسلام، لا يقوم بها إلا عند ملك النصاب من مال أو عقار أو حيوان أو خارج من الأرض، وهي فرض واجب على المسلم للمسلم فقط، لما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم: «تؤخذ من أغنيائهم وتُردّ على فقراءهم»، فلا تُدفع للكافر نصرانيًا كان أو يهوديًا أو هندوسيًا أو بوذيًا ونحوهم، لأنها فرض محدد لها مخرج خاص ومكان خاص لا تتعداه.

لكن إذا أراد المسلم دعوة الكافر إلى الإسلام وتحبيبه له فلا بأس من أن يعطي المسلم الكافر مالاً من الصدقة المطلقة، ويكون له في هذا أجران:

١ - جعل ماله في نفس رطبة.

٢ - جعل ماله وسيلة للدعوة والإبلاغ.

الخبب

رجل يتصل بإمرأة دائمًا، وهي متزوجة يريد إفسادها على زوجها، وحصل هذا فعلا فتزوجها الآخر بعد طلاقها من الأول، فما حكم هذا الزواج؟

ل. ط. ط.الرياض

هذا الأمر يُسمى «الخبب»، وهو إفساد الزوجة على زوجها ليطلقها فيتزوجها «المُفْسد». وقد جرى كلام مطول عند أهل العلم من الحنفية وسواهم حول ذلك، والذي أميل إليه هو بطلان هذا الزواج، وتعزير المُفسد حسب اجتهاد القاضي إذا ملك آلة الاجتهاد وعمق النظر، وسعة الاطلاع المتمكن مع التقوى والورع. والله أعلم.

من أحكام الإرث

هل يرث الأخ من الرضاع؟

وداد بسيوني، ساحل العاج

لا يرث شيئًا، إلا إذا كان من العصبة كعم، أو ابن عم ونحوه، فإذا اكتملت الفروض فيأخذ العاصب الباقي بعد ذلك وإلا فلا. والله أعلم.

تجربتي في القصة والرواية



يوسف أبو رية

مقاربة ـ البدايات

جاء ميلادي في منتصف العقد الخمسيني الميلادي، بالضبط كانون الثاني (يناير) ١٩٥٥م في بلدة ههيا ـ محافظة الشرقية، الواقعة في دلتا النيل بمصر، كنت أصغر الإخوة من الزوجة الثانية لفلاح كان حلمه وراثة دَوْرالباشاوات ومكانتهم بعد تموز(يوليو) ١٩٥٢م، وكان قد جاهد من أجل تحقيق تراكم رأسمالي يمكّنه من امتلاك الأرض، وتحطّم حلمه أوائل السبعينيات حينما لم تعد الأرض هي المعيار الأساس لتحقيق الأحلام.

قَدمت إلى القاهرة عقب حرب تشرين الأوَل ـ أكتوبر (العاشر من رمضان) ١٩٧٣م لاستكمال مشواري التعليمي، وتخرجت في كلية الإعلام ـ قسم صحافة ونشر عام ١٩٧٧ م، عملت بالصحافة لبعض الوقت، ولكني آثرت ـ فيما بعد ـ التحقق من موهبتي من خلال الإبداع الأدبي.

ظللت أنشر أعمالي الأدبية في المجلات والجرائد المصرية والعربية منذ العام ١٩٧٤م حتى العام ١٩٨٥م، حيث صدرت أولى مجموعاتي القصصية «الضحى العالي»، ثم المجموعة القصصية الثانية «عكس الريح» عام ١٩٨٧م، وقصة «خبز الصغار» للأطفال. وفي عام ١٩٨٩م صدرت روايتي الأولى «عطش الصبّار». وعدت مرة أخرى لكتابة القصة القصيرة، فصدرت مجموعة «وش الفجر» عام ١٩٩٣ م، وأُعدّ الآن لإصدار روايتي القصيرة مصحوبة بعدد من القصص القصيرة التي كُتبت مؤخرًا، ويحمل الكتاب المنتظر عنوان «طلل النار».

دعامة حرفية العمل

أستطيع وصف مرحلة التشكل الأولى بالرومانسية، إلى حد ما، فهذه المرحلة أكدت لي قداسة الكلمة المكتوبة، الهالة الباهرة للمبدعين عمومًا، وأدت كتابات طه حسين ـ خاصة ـ دورًا كبيرًا في تشكيل تفكيري في أثناء وجودي في بلدتي، وأعتبر نفسي محظوظًا؛ لأنني طالعت هذا الرجل في وقت مبكر من حياتي.

في البداية كانت لديّ محاولات في الرسم والتلوين والتشكيل.. وبالنسبة للكلمة، كنت أبحث عن الفصاحة بالمعنى المتعارف عليه، فلم أكن تعرفت إلى النصوص الأدبية التي تعبر عن الآني أو الآتي، لأني ارتبطت بجيل الرواد بشكل كبير، وهذا أعطاني دعامة قوية بالنسبة لحرفية العمل والاهتمام باللغة، فهذا الجيل كان موسوعيًا في ثقافته، تطرق أعلامه الكبار إلى مواقع شتى ونماذج من الأدب الأوربي والآداب القديمة. هذه الموسوعية منحتني مفاتيح، أو علامات على الطريق، يمكن أن تمثل لي موضوعات لقراءاتي التي كان من بينها

الاهتمام، بل الوعي بعطاء أوربا الأدبي.

لغة المازني

كان لكل من أولئك الرواد اجتهاد في داخل اللغة العربية، بدت الفروق واضحة بين لغة الرافعي الجزلة ذات المسحة الأصيلة، ولغة المازني المطعمة والمعشقة بالعامية الفصيحة - إن صح التعبير - وسعى الحكيم للغة ثالثة سمّاها الفصحى العامية، أو العامية الفصحى.

أنت ترى أن مشكلة كانت مطروحة عليهم بإلحاح. وهذا أعطاني الفرصة للاختيار، أي لغة هي الأنسب لهذا الزمان؟ فكانت الأقرب إلى مزاجي الفني، لغة المازني، ومن بعده لغة يحيى حقي، ثم يوسف إدريس، هي اللغة الفصيحة الفنية في آن واحد. والمعبرة عن الواقع بسهولة وسلاسة، وبراعة.

وخلال هذه الفترة كتبت العديد من النصوص التي لم يتح لها أن ترى النور، إنها تحمل تاريخي، والملامح المميزة لبلدتي، وتعتمد الأداء التقليدي، وبعد ذلك اصطدامي بالقاهرة - العاصمة - وتياراتها المصطخبة.

تحديد الملامح

انْتَقَلْتُ إلى المرحلة التالية، التي اتسمت بالنضج الفني، كما اتسمت بتحديد الملامح النهائية التي تؤطر كتاباتي الأدبية. ومنها «الريفية»، فالمدهش أن الكتابة عن الريف لديّ اتخذت طابعًا أقرب إلى الكتابة المأساوية السوداوية التي عايشت تثبيت الواقع. وبوضوح أكثر أقول: إن الريف لم يعد مكانًا جميلاً، ولم يعد (ديكورًا) من الأشجار والنخيل والسماء الصافية، أي لم يعد منظرًا طبيعيًا للفسحة كما كان لدى هيكل قديمًا، ولم تعد الكتابة طامحة للتغيير والإيجابية مثل «أرض» الشرقاوي، لكنني حاولت التقاط كل ما هو إنساني، نتيجة إحساس دفين بأن هذا الريف إلى زوال.

الحركة في عالم رحب

بعد تحولات السبعينيات أردت التشبث بالريف ليس باعتباره «الفردوس المفقود» ولكن باعتباره ملمحًا أساسيًا من ملامح


طه حسين


إبراهيم المازني

الشخصية المصرية. فالجانب الآخر هو الانتقال من الريفية المحدودة إلى عالم المدينة الصغيرة، وبخاصة في «عطش الصبّار» وللمرة الأولى في الأدب المصري يدور موضوع حول هذه المدينة، كتب أمين يوسف غراب ومحمد عبد الحليم عبد الله عن واقع قريب من هذا، بلغة تراثية، فكانت أشبه بغلالة أخفت ضجيج الحياة بداخلها.

وفي تجاربي مع الكتابة، تناولت نواة هذا المجتمع، وأتاحت لي الرواية الحركة في عالم رحب يتسع لتجربة شاملة، ولإبراز تفاصيل الحياة في هذه المدينة الصغيرة.

ومن الملامح الأساسية في كتاباتي، الرؤية الطفلية للعالم - كما وصفها النقاد - وبالنسبة لي، لا أكتب عن الأطفال كشخصيات، ولكني أرى العالم بعين طفل، وبمثل اندهاشه ورؤاه، هذا - بالطبع - يختلف عما يكتبه المبدعون عن الأطفال بعين الكاتب الواعي بهذا الأمر. دخلت عالم الطفل دون قصد أو وعي، وهذا الملمح قائم في مجموعة «الضحى العالي» خاصة، وبعض قصص «عكس الريح».

الفعل الإبداعي

الكتابة مغامرة، تحتاج إلى قدر غير يسير من القدرة على التورط والتجريب والمجازفة، ونظرا لتعقد لحظة الفعل الإبداعي وتشابكها وغموضها، إلا أنني سأحاول اقتناص هذه اللحظة، والاشتباك معها، بالاقتراب من طقسها الخاص. وإليك ما يحدث: عادة، تسيطر عليّ صورة ما، وفي الغالب تكون صورة بصرية محددة، جامعة، شاملة، دالة، ولها تردد في النفس، تظل - لفترة طويلة - تبحث عن حروفها حتى يأتي أوان قطافها، فتنتقل إلى الورق الأبيض.

فالكتابة إذا كانت تعني لحظة الإمساك بالقلم والتخطيط على الورق فهذه أسهل المراحل، ولا شيء يوقفها إذا بدأت. إنما الكتابة - كما أظنها - هي فيما يحدث قبل ذلك، مجاهدة الفكرة أو الصورة الغائمة البعيدة التي تريد لغة على مقاسها، هذه المرحلة الممتدة، هي المعاناة ذاتها، وإذا

كانت تعبر عن شيء حقيقي وصادق، فلا بد يومًا - ولو بعد سنين عدة - من أن تعثر على إطارها (لغة وشكلاً) لتخرج إلى الوجود. أما إذا كانت زائفة وخادعة، فستموت قبل أن تولد، فالتحضير للكتابة هو الكتابة ذاتها.

والمشكلة الأساسية في تلك المرحلة هي: التراوح بين الزيف والصدق. بمعنى أنني أظلّ في حالة شك مستمر في ماهية ما أحسه وأراه، وأسائل نفسي - التي تسيطر عليها وساوس الشك - أليس ما أرى مجرد سذاجة لا تعني أحدًا سواي؟ وقد يتملكني الخجل أحيانًا من تصور إخراج هذه الصور الهائمة في ضبابها، وأراهن على اللحظة التي تمسك بخناقي، وتهزني هزًا. بل في أحيان توقظني من نومي العميق لأجلس على المكتب، وأظل ألهث، وألهث لأنقل ما يملى عليّ، ثم أدسه في الدرج على عجل، وأعود إلى النوم، وأكون - في هذه الحالة - متأكدًا بأنني فعلت شيئًا حقيقيًا، يمكنه أن يثير الآخرين.

على حافة الوادي

كم مرة أحاول أن أضع لنفسي قانونًا كي أستفيد من الخبرات المتراكمة، لا فائدة! في فترات ظننت بأني أمسكت بحالة الكتابة المتواصلة، وأنني أستطيعها كل يوم، أو كلما أردت ذلك، ولكنها - المراوغة - خدعتني، وترسبت بعيدًا، ولم أعد متمكنًا منها. وكنت في فترة أعتقد أن القراءة المكثفة، تشمل الحنين للكتابة أو على الأقل تجعلني على حافة واديها، وكم مرة أخذتني القراءة الطويلة المتأملة، ولم تثمر شيئًا.

وفي فترة اعتقدت أن الانغماس في الناس والقرب منهم، ومن صخب حياتهم يجعل الإبداع مُستنفرًا ويمكن أن يصير مطية سهلة، ولكنْ كثيرًا ما يركبه العناد، ويتملص مني، فافقد اعتقادي.

ومرات ظننت أن البعد عن العالم - الذي أعدّه ينبوعي الخاص - يجعلني أراه بشكل أفضل، وبالتالي بالإمكان السيطرة عليه فنيًا، وأنا على ذروة نائية.

كل هذه المحاولات يمكنها أن تفلح في إنتاج عمل أو عملين، ولكنها تستنفد، وتتركني في همود. وتوصلت في النهاية إلى أنه لا قانون لها.

إذن عليّ ألا اسعى إليها، ولا أنتظرها، ولا أتودد إليها بوسيلة ما، وإنما أدع نفسي على سجيتها، وحين يشملني عطرها الذي تتلمسه حاسة الفن من بعيد عليّ هنا أن أتهيأ لها. وأمدّ لها أحضاني.


مصطفى صادق الرافعي


توفيق الحكيم

جو الكتابة

رغم التهيؤ للكتابة بالقراءة المتأملة أو بالاستغراق في الأماكن والناس، فإنها - في كل الأحوال - لا تنفذ إلا في حالة خاصة، على مكتب يسقط عليه ضوء (أباجورة) مكثف مع موسيقى خفيفة. لا يهم أن أكون في أول النهار أو في آخره، لا أهتم بالوقت. حتى في النهار أخلق هذا الجو المثير.

لا أكون مع نفسي في الضوء الباهر، في هذه الحالة تبرز الأشياء واضحة، وبالتالي يكون حضور العالم باهظًا، وهذا ما لا أطيقه، كذا لا يمكن التنفيذ الإبداعي في حالة الغياب الكلي للأشياء، أي في حالة الإظلام التام، الظلام للتفكير، ولتقليب الأمور مع النفس، لا بد من حالة بين بين.

وأقرب الحالات المناسبة هو ضوء المصباح الذي يتكثف على الورق الأبيض، ويلغي الحضور الآخر للعالم الواسع، ويبقي عالم الحجرة التي أمارس فيها طقس الإبداع.

النور الخفيف المنعكس في بعض حالاته على أرفف الكتب هو ما يعاونني على استدعاء الأفكار البعيدة والشخصيات المراوغة.

جربت الكتابة في المقهى، وأعطتني قصة أو قصتين، وجربت الكتابة في ضوء النهار، وفي مكتب العمل بين الزملاء، وكلها حالات نادرة، وجربت الكتابة في أحوال مغايرة رتبت عليها نفسي، ولكنّ غالبية الإبداع جاء على مكتب، بين نور خفيف متسلل في المكان وضوء مصباح يتكثف على الورق، وموسيقى تنبعث من مكان خفي، إذا توافر هذا استثارني فنيًا، وقد يأتي بعائد، أو لا يأتي، وخارج هذه «الوصفة» أنا شخص عادي، لا يمتلك موهبة خاصة.

قراءة الفكرة في حالتها الساذجة

تبدأ الحكاية بالجملة (المفتاح)، فقد تأخذني هذه الجملة من يدي إلى عوالم السحر الغامضة، أو قد تردني إلى حالتي الأولى، فأستفيق، في بعض الأوقات أقطع مرحلة لا بأس بها، ثم أنتبه، ولا أستطيع المواصلة، وهنا فأنا أخشى أن اقرأ ما خططت في حالته الساذجة، وبالخطوط التي كتبت دون ترو، وأظن أن تشوهات الخط تعكس ضعف محتواه، فأقرف من هذه الكتابة، وأدسها في مكان، وأغلق عليها، ربما بعد فترة وجيزة، أو آخر اليوم، أو صباح اليوم التالي، ينتابني الشوق مرة أخرى، واكتشف جملة (مفتاحًا) آخر يحمل شحنة جديدة لنفس الحالة، فأواصل من جديد دون النظر إلى ما نَفّذت سابقًا.

وحين أستشعر النفاد، وأنه لا شيء أمامي بعد، ويستعصي عليّ القلم، ويهدأ دمي الذي كان فوّارًا، أقول: هنا انتهت الحكاية. وتواتيني الشجاعة للنظر إلى ما كتبت.

العمل بلا رادع ولا خطة

اليقين يكون قاطعًا حين تراه عين أخرى، في أحيان يكون شعوري به صادقًا، وأعرف أني أبدعت شيئًا مهمًا، وفي أحيان ينتابني الشك حول قيمته، فأخفيه مدة طويلة حتى أتشجع فأمد به يدي للآخرين.

هذه واحدة.. ولكنْ في أحيان أخرى يأتي العمل دفعة واحدة، بلا رادع، وبلا خطة مسبقة، وإنما هو يسبقني، وأنا أجاريه، وأقطع معه المسافة حتى نهايتها، وفي هذه الحالة يكون مجهدًا جدًا، ولكني أميل إلى مثل هذه الأعمال التي لا منطق لها، وأدعو الله أن يزيدني منها؛ لأنها - بحكم التجربة معها - هي التي تحقق انعطافاتي، فهي تضرب في الثوابت والكتابة المُهَندَسَة سلفًا، التي - ربما - تكون قد بدأت بفكرة جاهزة، أما هذا النوع من الكتابة، فإنه باطني جدًا. لذا فهو الأعمق.

والحالة الثالثة، تحدث حين أقول لنفسي: لقد مرت فترة طويلة دون أن تكتب سطرًا، والشعور بالخطر، والتهديد المستمر بالتوقف، خاصة وأن هذه الحالة يتملكها الإحساس بالجدب، فدافعه الأساس هو الخوف من الانتهاء، فأدفع نفس الحروف دفعًا إلى كتابة شيء، أي شيء، فأبدأ وأنا مستفيق تمامًا، وعيني ترى الحروف، وأضغط على نفسي بشدة. ثم.. تحدث المفاجأة، وإذا بالحروف المرئية تتلاشى، وأندفع إلى كتابة شيء لم يكن في الحسبان، وأكتشف أن السطور الأولى لا لزوم لها ويمكن رفعها بكل ثقة، وأن العمل الحقيقي يبدأ بعدها بمسافة.

انتماء النص

حين يبرز وهج التجربة، وينشغل العقل بأشياء خارج عالم القصة المخطوطة يصير الرجوع إليها أكثر جرأة، ففي هذه الحالة أتعامل مع نص لم يعد ينتمي إليَّ تمامًا. وتصير العين المحايدة هي التي تحدد مساره، لم يعد نصًا ينتمي إلى الداخل، صار النص حروفًا موضوعية تنتمي إلى عالم الخارج، وهنا تبدأ الحاسة النقدية الواعية، فأكتشف أخطاء النحو والإملاء، وأراقب إحساسي بهذا النص المكتوب، وهل سيثير لديّ شيئًا، تمامًا كما تثير إبداعات الآخرين ؟

أؤكد أنني أطالعه كما أطالع كتابات المبدعين الذين اقرأ لهم، ونادرًا ما أغير أشياء جوهرية، يقتصر التعديل على مستوى لغوي بحت حتى الجمل الأخيرة التي تقفل النهايات، نهايات القصة. وهي أساسية حين أبدلها، أو أضبطها في سياق مغاير، فأنا اتعامل معها كعبارة تنتمي للغة، والعمل الذي يحتاج كتابة مختلفة تتعلق بمستوى جودته أو تأثيره، فإنني أهمله تمامًا، ولديّ الكثير من مثل هذه الأعمال، حبيسة الأدراج، ولا أفرط فيها أبدا، لأنها في التعامل معها - فيما بعد - قد تقوم بدور المثير للعمل الحقيقي الذي مهدتْ له، ولم تصعد به إلى المستوى اللائق الذي أريده.

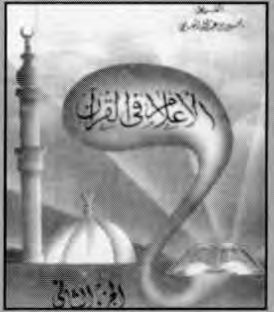
أعمال صدرت للمؤلف:

١ - الضحى العالي - مجموعة قصصية - ١٩٨٥ م.
٢ - عكس الريح - مجموعة قصصية - ١٩٨٧ م.
٣ - عطش الصبّار - رواية - ١٩٨٩ م.
٤ - وش الفجر - مجموعة قصصية - ١٩٩٣ م.

ترجمات:

قصة (الولد الكفيف يرى في الحلم).
- في كتاب Arabic short stories - ترجمة دينيس جونسون ديفيز، عن دار كواتيت بوكس - لندن - عام ١٩٨٣ م.
- قصة (طفل الطين) صدرت عن Azure - ترجمة دينيس جونسون ديفيز (١٩٨٠ م) كما تُرجمت القصة نفسها إلى الفرنسية في Prism - ترجمة د. نادية عبد الله (١٩٨٨ م).
- قصة (الصبي والعانس) صدرت عن Verlag Volkund Welt برلين عام ١٩٨٩ م - ترجمة دوريس كيليس.
- قصص (حب الزعيم - المحاولة - حلم أبو عطية القديم - السجين) صدرت عن Lenas Verlag - بازل عام ١٩٩١ م، ترجمة هارتموت فيندرتش.

العنوان: الأعلام في القرآن (الجزء الثاني)
المؤلف: يحيى عبد الله المعلمي.
الناشر: دار المعلمي للنشر ـ الرياض ١٤١٤ هـ/١٩٩٤ م، ط١، (٣٢٨ ص).


غلاف الكتاب


يحيى المعلمي

إذا كان كتاب الفريق المعلمي: الأعلام في القرآن، في جزئه الأول، قد تناول أسماء الأعلام الواردة في القرآن الكريم من أنبياء وملائكة وأشخاص وأماكن استغرق أكثر من تسعين عَلَمًا.. فإن هذا الجزء (الثاني) قد تناول أعلامًا آخرين، بلغ عددهم ثمانية وسبعين علمًا.. وقد ترجم المعلمي حياتهم ترجمة وافية.. وهم ممن قصدهم أو عناهم الله تعالى في الآيات القرآنية، أو أشار إليهم على نحو ما، فضلاً عن أعلام آخرين كُثر أوردهم المعلمي في السور التي لم يرد في سياقها ممن خصّوا بالذكر والقصد ولم يترجم لهم.. وهم ممن كانوا من ذريتهم أو قومهم، أو من اختلف بِمَنْ عُني بهم من الملائكة وغيرهم.

ولقد بلغت السور التي استشفّ منها المعلمي أعلامه خمسًا وثمانين سورة.. منها ثلاث وعشرون سورة استمد منها أعلامه الذين ترجم لهم، ويتراوحون بين العشرة والواحد في السورة الواحدة. فنجد مثلاً في سورة النساء عشرة أعلام هم: [الزبير بن العوام، سراقة بن مالك، عياش بن أبي ربيعة، الحارث بن يزيد العامري، أبو الدرداء، أسامة بن زيد، المقداد بن عمرو، العباس بن عبد المطلب، عبد الله بن العباس، سودة بنت زمعة]. وفي سورة البقرة تسعة هم [معاذ بن جبل، صهيب بن سنان الرومي، حمزة بن عبد المطلب، عبد الله بن رواحة، عباد بن بشر، أسيد بن الحضير، معقل بن يسار، عبد الرحمن بن عوف، عثمان بن عفان]. وفي سورة المائدة تسعة أيضًا هم: [عدي ابن حاتم، عاصم بن عدي، سعد بن خيثمة، عبد الله بن سلام، أبو لبابة، عبادة بن الصامت، أبو موسى الأشعري، تميم الداري، عمرو بن العاص]. وفي سورة الأنعام: [النضر بن الحارث، وبلال بن رباح، وعمار بن ياسر، وعمر بن الخطاب]. إضافة إلى مسيلمة الكذاب وفي الأنفال: [سعد بن أبي وقاص، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو سفيان، والحارث بن هشام]. وفي التوبة: [أبو بكر الصديق، والجد بن قيس، وعلبة بن زيد، وعبد الله بن مغفل، وسالم بن عمير، وكعب بن مالك]. وفي هود: [أبو اليسر كعب بن عمرو]. وفي النحل: [الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام]. وفي الإسراء: [عبد الله بن أبي أمية]. وفي الكهف: [عيينة ابن حصن]. وفي الحج: [علي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث]. وفي النور: [حمنة بنت جحش، وحسان بن ثابت، وصفوان بن المعطل]. وفي السجدة: [الوليد بن عقبة]. وفي الأحزاب: [سالم مولى أبي حذيفة، وأبو حذيفة، وأنس بن النضر، وزوجات النبيّ صلى الله عليه وسلم، والسيدة فاطمة الزهراء، والحسن بن علي بن أبي طالب، والحسين ابن علي بن أبي طالب، وبنات النبي صلى الله عليه وسلم]. وفي الزخرف: [عبد الله ابن الزبعرى]. وفي الأحقاف: [عبد الرحمن بن أبي بكر]. وفي محمد: [عبد الله بن مسعود]. وفي الفتح: [سهل بن عمرو]. وفي الحجرات: [الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم]. وفي المجادلة: [خولة بنت حكيم، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، ومصعب بن عمير]. وفي الممتحنة: [أم كلثوم بنت عقبة، وحاطب بن أبي بلتعة]. وفي الفجر: [عاصم بن ثابت].

ولقد أوردنا ذكر هؤلاء الأعلام جميعهم ـ رغم وجود بعض الكافرين بينهم ـ، لندعو القارئ إلى تلاوة الآيات القرآنية، وليتعرف إلى مناسباتها، وقيمة من أشارت إليهم تلك الآيات وأثرهم، لتوثيق الصلة الحميمة بين النص القرآني والأعلام المسلمة الذين كانت لهم مناسبات ومواقف ومشاهد رائعة إبان نزول القرآن، ودخول الناس في دين الله أفواجًا،

وليعرف القارئ الكافرين الذين ورد ذكرهم ليحذرهم. وبعدها تجيء ترجمات المعلمي عن أعلامه دعوة أخرى للتزود بقيم ومعلومات معرفية أصيلة منبعها القرآن والحديث وكتب التفسير والتاريخ، ومصادر أخرى، كان للمعلمي بعضها، وبخاصة كتابه [المرأة في القرآن]، الذي استقى منه معلوماته عمن ترجم لهن من المسلمات الفاضلات.

كما أن في غزارة هؤلاء الأعلام وذكرهم، ومن لم نذكرهم قيمة تاريخية كبرى تستدعي القارئ كي ينهل عنهم أصدق المعلومات، التي لا تتطلب منه غير جهد ضئيل، وكان المؤلف قد بذل في إعداد تراجمه مجهودات كبيرة، لا يقوى على جمعها وترتيبها واستخلاص معانيها الجوهرية إلا فئة تتحلى بالصبر والأناة، وحب العلم والمعرفة، والتصاق حميم بالجذور والأصالة، وشغف كبير بمناهل الدين الحنيف، وكتب التراث الدينية والتاريخية.

وقد اتبع المعلمي المنهج القرآني في بث مادة كتابه وترتيبها. فبدأ بسورة الفاتحة وانتهى بسورة الفلق. فكان يبدأ بالآية القرآنية، ويقف عند مناسبتها، أو عندما يشير إلى وجود علم يستوجب الوقوف عنده.. ثم يسترسل في معلوماته عن ذلك العَلَم، مظهرًا دور الرسول عليه الصلاة والسلام في تقديره.. ولا سيما أنّ جُل أولئك الأعلام هم منَ الصحابة رضوان الله عليهم. فلو قرأنا مثلاً قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ (الآية ١٨٩ من سورة البقرة) لوجدنا المعلمي يقول: «قد سأل عن الأهلة نفر من الصحابة نذكر منهم: معاذ بن جبل وثعلبة بن عنمة الأنصاري جاءا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا: يا رسول الله مَاللهلال يبدو فيطلع رقيقًا ثم يزداد حتى يعظم ويستوي ويستدير ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما كان؟ فنزلت الآية». ثم يسترسل - كما قلنا - في ترجمة عن (معاذ بن جبل) و(ثعلبة بن عنمة الأنصاري). وهكذا في سائر كتابه الذي يجمع بين التفسير والتاريخ والسيرة النبوية.

العنوان: رعشة الظل (رواية).
المؤلف: إبراهيم الناصر الحميدان.
الناشر: دار ابن سينا للنشر - الرياض
ط ١، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣ م،
(٢٠٣ ص).





إبراهيم الناصر

مازالت الكتابات السعودية في الأدب الروائي قليلة، ولم يخض غمارها غير عدد ضئيل.. رغم أننا شهدنا بدايات لها مواكبة الأدب الروائي العربي، على يد كل من عبد القدوس الأنصاري، وأحمدالسباعي، ومحمد علي مغربي.. ثم تبعهم حامد الدمنهوري، وبعده بسنتين ظهرت كتابات (إبراهيم الناصر الحميدان) القصصية والروائية. وها هي ذي روايته الخامسة (رعشة الظل) تصدر هذا العام.. وصدرت الأولى (ثقب في رداء الليل) عام ١٣٨١ هـ، والثانية (سفينة الضياع) عام ١٣٨٩ هـ، والثالثة (عذراء المنفى) عام ١٣٩٨ هـ، والرابعة (غيوم الخريف) عام ١٤٠٨ هـ.

ويبدو أن إبراهيم الناصر يحاول أن يواكب التطور الذي لحق بالفن الروائي العربي، في الحوار، والاختزال التكثيفي، والإشارات الدالة الخاطفة، فضلاً عن تتويج النسيج الروائي بمضامين وأفكار ورؤى معاصرة.. ولكنها لا تنفصل عن الجذور والأصالة.

يقوم البناء الروائي عند إبراهيم الناصر - في رعشة الظل - على أسلوب المتكلم.. حيث نجد الراوي - فالح أو رمح - يسرد قصته أو حكايته منذ وطئت قدماه أرض الرياض نازحًا من القرية، ليعمل حارسًا في قصر لأحد الأثرياء. وإذا كنا لا نعرف تاريخ ذلك النزوح أو تاريخ أحداث الرواية، فإن ثمة إشارات عابرة تناثرت خلال السياق: إشارة تدل على أن الزمن كان إبان الطفرة، طفرة غنى العقارات والأراضي، وثانية تدل على أن التاريخ كان أيام بناء السد العالي في مصر، وثالثة

كانت يوم الصعود أول مرة إلى القمر.
ورابعة تصف الحالة التي كانت عليها أحياء الرياض، وشوارعها وأسواقها وبعض منشآتها العمرانية. وإشارات أخيرة لحركة البيع في تلك الأسواق نستشفها من ذهاب الحارس - رمح - إليها ليتسوق حاجات القصر اليومية.

وإذا كنا لم نعرف ما يعج من أمور داخل ذلك القصر فإننا نعرف - من طريق هذا الحارس الراوي - الكثير من الأمور والقضايا خارجه. لأن ما يطرأ داخل القصر بشكل عابر، وما يسمعه بشكل خاطف وتلقائي وعفوي.. لا يمنح القارئ صورة واضحة عن ذلك العالم الداخلي.. رغم الزائرين وأهل القصر في دخولهم أو خروجهم.

إن أبطال الرواية - بالمعنى الفني - يتحركون جميعهم من خلال الراوي، ومن خلال وصفه ورؤاه، سواء أكان شقيقه وأصدقاؤه، أم مَنْ كان يعمل معه في القصر، كالحارس الذي تسلم منه الحراسة، والسائق، ومرافق السيد صاحب القصر - وهو الظل - الذي كان ظله، وابن السيد، الشاب العائد من أمريكا منهيًا دراسته، وزهرة الخادمة الأفريقية التي يهيم بها حارسنا وتهيم به، والتي تود لو تصحبهما - هو وابن السيد - إلى أمريكا في نهاية الرواية.

إن الروائي إبراهيم الناصر حين كسر طوق السرد التقليدي، اعتمد على مزج الواقع المرئي بالدبيب النفسي.. فكانت تختلط في كتاباته المفارقات، والوقفات، والقرائن، من خلال حوار الأبطال، وحوار النفس ومناجاة الذات.. فيذوب ذلك كله في بعضه ليشكل نسيجًا روائيًا قشيبًا. ولأنه لا يعتمد على صراع الشخصيات أو احتدام المواقف، فإن صراعه يتبدّى مع خواطره، ووقفاته الخيالية، واستبطاناته الذاتية. فتأخذ أحداثه تسير بسياق هادئ، يستوعب المجرى العام للوصف الحي المتحرك، ولا يوقفه غير تلك التأملات الاستبطانية، والرؤى التحليلية التي لا تخلو من حس ثقافي ومنظور عصري.. وإن جاءت على بال أو وردت على خاطر حارس قروي، قد لا يحمل مصداقية الاقناع.. ولكنه حارس مثقف له ذكريات مع مكتبة والد صديقه في القرية.

وإذا كان كثير من الروائيين العرب قد أبرزوا قضية مواجهة القروي الفطري لغول المدينة المخيف في عملية درامية تعج بالصراع والاحتدام والضياع.. فإن صراع بطل رواية الناصر خافت، إذ لم يكن صراع بين واقع القرية وواقع المدينة.. لأن البطل الراوي لم يقع في خضم معاناة أو تجربة جديدة قاسية.. فقد كان كل شيء أمامه ممهدًا، منذ وصوله، وعقب استلامه حراسة القصر. لذلك افتقدت الرواية حدة الصراع في المواجهة مع الجديد. ربما لأن مدينة الرياض آنذاك لم تكن بصورة مرعبة للنازحين من الأرياف. ولذلك فقد كان الناصر يُجري موازنة بين العالم الخارجي والعالم الذاتي، بين العام والخاص، بين الواقعية والذاتية.. بين ما تموج به مظاهر الآخرين، وما تموج به أعماق حارسنا الراوي، وهي التي حددت لنا أبعاد شخصيته.

من هنا استطاع الناصر أن يجعل من راويته صورة معاصرة للإنسان البسيط الفطري الطموح المثقف.. وإن كان أحيانًا لا وجود له في واقع الحياة إلا في خيال ورؤى الحالمين. والحلم هو أروع سلاح في يد المبدعين.

العنوان: و.. الضلع حين استوى.
المؤلف: أميمة الخميس.
الناشر: دار الأرض. الرياض.
ط ١، ١٤١٣هـ،
(١٠٩ ص).



عندما تتماوج الآمال، وتمتزج الرؤى، وتتبلور الأفكار.. في النفس الإنسانية وتعلن عن ولادة تود الانطلاق، يسعى صاحبها إلى أن يجد لها شكلاً أدبيًا، وقالبًا فنيًا يليق بمخاضها الفكري والوجداني، ولذلك فمع ساعة الولادة الإبداعية يقترن بها شكلها الأسلوبي والفني، فتختلط لدى المبدع صور التعبير، وتضيع المعالم بين فنون عديدة، تجسدها صورة واحدة، تزخرفها

ألوان وعناصر من القصة والشعر والخاطرة، ولكنها في النهاية تشكل لوحة متكاملة، بل شريحة مقتطعة من قلب المبدع، وروح المجتمع.

هذا ما نجده في العملية الإبداعية لدى الكاتبة (أميمة الخميس) في كتابها: [و..الضلع حين استوى]، الذي اقتطعت لنا فيه من عالم المرأة، والطفولة، والمجتمع، ست عشرة شريحة؛ يفوح منها أريج الوطن الصغير، والكبير، والعالم بأسره.. تقودنا إلى الرياض، جدة، ربوع نجد، عُمان، البحرين، بيروت، يافا، رام الله، عَمّان.. وغيرها من المدن والبلدان؛ حين تجعلها تتنفس بأنفاس شخوصها، وتتلاحم فيها الأعراف والطقوس والحكايات والحضارات.. لتتوّج لنا أخيراً هموماً معاصرة.. تتجمع فيها كل المعالم الذاتية والوجدانية والوطنية والسياسية والعربية والإنسانية. وكأن كل مضامين وقضايا الإنسان المعاصر احتوتها تجربة الأديبة أميمة الخميس، وصاغتها في هذا القالب القصصي الشعري.

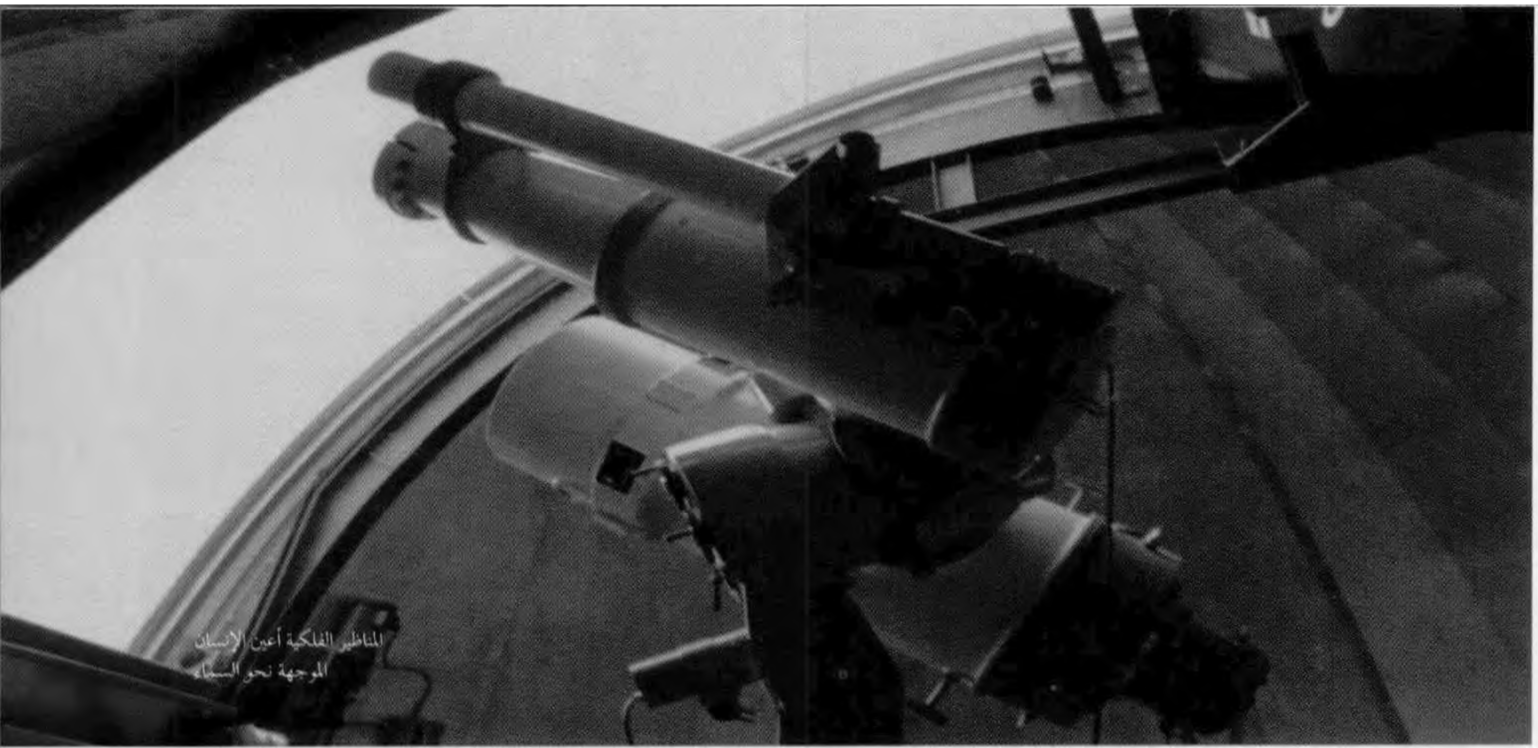
ولقد استطاعت أن تحاور هذا العالم الصغير الكبير، وأن تجعل قارئها يلاحق لقطاتها وانطباعاتها ورؤاها، من خلال وقع المعاناة والتجربة الشعورية والفكرية على شخصياتها التي كانت غالبيتها من العنصر النسائي.

ولهذا تميزت هذه الكتابات بمميزات عديدة للأدب النسائي العربي، وإن كنا لا نجد فواصل واضحة بين ما ينتجه الرجل، وما تنتجه المرأة في المجال الأدبي الإبداعي، ولكن تظل هناك بصمة ناعمة، وهمسة خافتة، وعاطفة ساخنة.. منسرحة في طيات ذلك الأدب النسائي، تُستطاب في الحال، وتمتع القارئ بإيحاء آسر.

على أن الأديبة (أميمة الخميس) كانت في (و..الضلع حين استوى) سريعة في عدوها، فتطير محلقة في كل الأرجاء، وتحط في كل صوب، وتغوص في كل الأعماق، فتستخرج شتى الانفعالات والأحاسيس، وضروب المعاني والأفكار والرؤى، مطرزة بقوالب صارخة متوثبة، لا تبدو على شكلها غير الدلالات والرسوم والرموز التي تتبدّى للوهلة الأولى أنها غائمة، ولكن بشيء من التأني، والوقوف عند معجمها ومفرداتها وإيحاءاتها التعبيرية والفنية يتجلّى الكثير من معانيها وأثرها على النفس والوجدان والذهن.

وإذا كانت شخوصها النسائية والطفولية مجبولة بعناصر عديدة من مواد تكوينها وفلسفة وجودها وبقائها، فإن هيمنة الواقع والبيئة والظروف وروح العصر تحاول أن تلفّ تلك الشخوص برداء قاتم؛ لكن قوتها القادرة على الانطلاق والظهور تجعلها تقاوم التيار وتغالبه، وتصد ريح الاحتدام والاحتواء فتمنعه. ولذلك فهي لا ترضى التصالح أو الهدنة المؤقتة، لأنها تظل في عملية دائبة، واستمرارية متجددة، تمنحانها تلك القدرة على المجابهة، والعطاء المستمر.

وإننا لنرى شخوصها النسائية في محاورة الواقع، حتى لو كان واقعًا محفوفًا بمظاهر يومية مما يقع عليه بصر المرأة في الأسواق والحوانيت، فإن رؤيتها الثاقبة قادرة على استشفاف الجوهر المكنون مما وراء المادة المحسوسة. إنها قدرة المبدع على تحويل تلك المظاهر المادية، والمفردات السلعية، أو البخورية، إلى عالم له فلسفته ومذاقه. فحين تمر بسوق العطارين، والصناديق الخشبية التي تعج بأنواع البخور المشرقية والمغربية. فإنها تراها في الحال [أسماء أسطورية فاتنة كأنها انسلت من مغارة علي بابا]. فجماجم التمرحنة كأنها «الحنة حين يكون لها جماجم صغيرة تهتز كأجراس حين يحركها نسيم الليل» وكذلك مع «عين العفريت» و«أظافر المارد» و«أظافر الديك الأيسر» و«زبد البحر» و«عود الند» و«قرنفل» و«شب يمني» و«تفاح الجان»، وغيرها من الأسماء«الشعرية المغرقة في الشفافية والغموض والثراء الحاد في الأخيلة والصور»، ثم تتجسد الرؤية لديها حيال تلك الأسماء إلى شحنة ثقافية واعية، فتقول: «استعاض الوجدان الشعبي عن أبطال الحكاية القديمة، وجدّ يبحث عن أبطاله الجدد من تفاصيل الواقع اليومي، هل هم بحجم البطولة السابقة والإجماع الشعبي السابق؟ هل يليق أبطال العصر به؟». وهكذا تتحول، المشاهد الحسية والمواقف والهموم المعاصرة عندها دومًا إلى تصور وفكر وثقافة ورؤى متألقة.

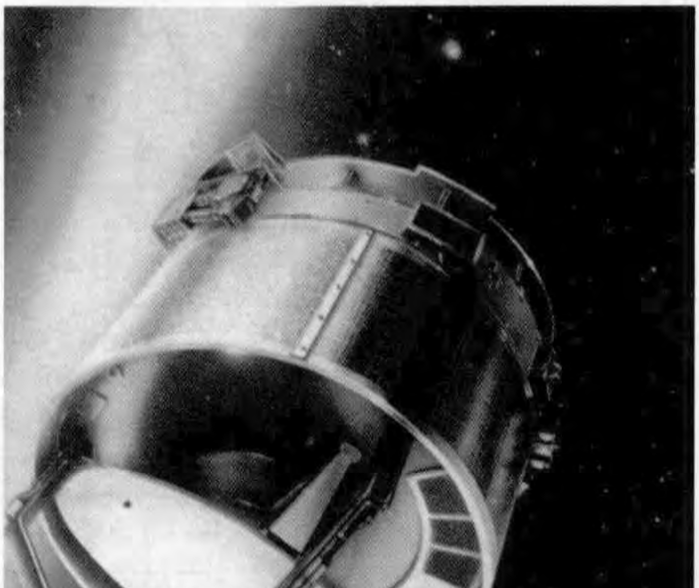


المناظير الفلكية أعين الإنسان
الموجهة نحو السماء

الفلك في المملكة العربية السعودية ومستقبله

د. محمد بخيت المالكي

منذ أن خرج آدم ـ عليه السلام ـ من الجنة بما قدَّر الله له من إغواء الشيطان، والإنسان يُمَني نفسه بالعودة إلى الجنة التي حرم منها، وينظر إلى السماء التي نزل منها.
هذه النظرات كانت البداية لعلم الفلك، فمنها لاحظ الإنسان الظواهر الفلكية من إشراق الشمس وغروبها والقمر والنجوم، إلى غير ذلك من مذنبات وشهب. ثم أخذ علم الفلك ينمو مع نمو البشرية في أكثر من اتجاه . فقلما نجد حضارة من الماضي ليس لها اهتمام أو تفاعل مع الفلك على مدى آلاف السنين.
وكان الموحّدون المؤمنون بالله يستدلون بالظواهر الفلكية على خلق الله ووحدانيته وقدراته سبحانه وتعالى. أما مَن أضلّه الشيطان واتبع هواه ، فكان اهتمامه بالفلك فتنة له وجحوداً لربوبية الله وقدرته، بصرف عبادته إلى مخلوقات الله من شمس وقمر وأجرام سماوية وغيرها، أو بالاعتقاد أن لها تأثيرًا على حياة البشر. ولعل أبلغ مايُمثل هذين الفريقين قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع قومه، حيث قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيهِ الَّيْلُ رَءَا كَوكَباً قَالَ هَذَا رَبي فَلَما أَفَلَ قَالَ لا أُحبُ الآفِلينَ﴾ الأنعام ٧٦. وعبر التاريخ نجد الدلائل الكثيرة على اهتمام البشرية بهذا العلم، فمن جداول الصينيين الشهيرة للظواهر الفلكية، إلى تقاويم الكلدانيين والفراعنة ،
فأساطيراليونانيين وماحفظه شعر العرب في الجاهلية. ثم ماأنجزه علماء المسلمين في هذا المجال، الذي تلقفه منهم الأوربيون فطّوروه إلى مابلغوه الآن في علم الفلك من غزو للفضاء.



صحة معلوماتنا الفلكية تعتمد على مدى دقة ما تزودنا به التلسكوبات الفضائية



ربط آلة التصوير بمنظار فلكي للحصول على صورة للنجوم في مسارات دائرية

وعلم الفلك وإن كان من أقدم العلوم، إن لم يكن أقدمها على الإطلاق، فإنه لم يصب بالشيخوخة، بل لايزال يجدد شبابه ونشاطه بما يثيره من أفكار وطموحات إبداعية، وبما يقدمه من معرفة جديدة. لذا لايستغرب اهتمام الدول به، بحيث يصبح دليلاً على تقدم هذه الدولة أو تلك . ومن هنا يأتي اهتمام المملكة العربية السعودية بهذا العلم طبيعياً، فهي دولة تملك الكثير من الإمكانات وفي طريقها لتصبح في عداد الدول المتقدمة إن شاء الله. وإذا أردنا أن نطور واقعنا الفلكي لنصل إلى مانطمح إليه في المستقبل، فإنه من المهم أن نعرِّف علم الفلك، وهنا لابد من ذكر فروعه وأنواعه ببساطة وبوضوح.

علم الفلك

يمكن تقسيم علم الفلك - بشيء من التحفظ - إلى فلك تقليدي وفلك حديث:

١-الفلك التقليدي

إن بداية اهتمام الإنسان بعلم الفلك - كما ذكرنا سابقا - كان له ارتباط روحي ، وهذا يظهر في كثير من الآثار التي خلفتها الحضارات السابقة. فأما الحضارات المؤمنة فتهتم به للاستدلال على وحدانية الله وقدرته، ومعرفة الوقت وحساب التقاويم والاتجاهات. وأماالحضارات الكافرة فقد خلطت أرصادها ومعرفتها الفلكية بالشعوذة والتنجيم.لذا فإن الفلك التقليدي ينقسم بدوره إلى فلك خرافي وفلك علمي.

الفلك الخرافي: ونتج بسبب اتباع الإنسان هواه وإغواء الشيطان حتى تكبّر عن عبادة ربه أو أشرك في عبادته. والإنسان مفطور على عبادة الله، فإذا حدث انحراف في هذه الفطرة بحثت عن طريق لتُصرف به فكان هذا الفضاء بما يحويه من شمس مشعّة وقمر مضيء ، ونجوم لامعة وكواكب ذات ألوان مختلفة ومذنبات وشهب. هذا الكون البعيد المنال والمثير للخيال، كان باباً واسعاً لصرف فطرة التوحيد إلى العبودية المنحرفة، نجد بعض الحضارات قد ألّهَت الكواكب والنجوم كما فعل اليونانيون والفراعنة ، وأشركها بعضهم في عبادته مع الله، ظانين أن لها قوة تؤثر بها في حياة البشر مثلما فعل عرب الجزيرة في الجاهلية. وقد يكون أقل هذه الحضارات انحرافاً تلك التي عملت بالتنبؤ بالغيب أو مايسمى بالتنجيم، الذي كان له أهمية كبرى لدى أغلب الأمم السابقة. حيث كان الكهنة والمنجمون يتنبؤون - عن طريق الملاحظة والرصد الدقيقين - بالمواسم الزراعية والفصلية وبأوقات فيضانات الأنهار وكسوف الشمس وخسوف القمر والتي كانت لها دورتها الطبيعية المنتظمة، مستغلين جهل الناس بهذا الانتظام. استغل الكهنة والمنجمون هذه المعرفة وأضافوا إليها مايأتيهم به الجن، حتى جعلوا لعملهم قداسة وسرية لايرقى إليها إلا المقربون والمحظوظون من الناس. ثم زعموا أن هناك ارتباطاً بين حياة البشر وحركة الأجرام السماوية، وخصوا في البداية هذه العلاقة بحياة الملوك والعظماء مما جعل الدول تدعمهم بالمال والتقدير. وقد بلغ تأثر الناس بالتنجيم أن تأثرت به الحضارات ذات الديانات السماوية كاليهودية والنصرانية. بل نجد فرقًا من اليهودية قد ربطت حياتها بما توحيه حركة النجوم، كما نجد قساوسة قد تعلموا التنجيم وأرشدوا به.

وبالرغم من أن المنجمين قد أساؤا إلى سمعة علم الفلك والمختصين به إساءة كبيرة، إلا أنه - لكي لانبخس الناس أشياءهم - كان لعمل المنجمين جانب إيجابي. فقد كان رصد الأجرام السماوية وانتظام حركتها يتفق في دقة ملاحظتها العالم والخرافي، ويكون الاختلاف في تفسير المعلومات الناتجة عن الرصد واستخدامها، وحيث إن الراصدين من الخرافيين قد أتاحت لهم الدول قديماً الفرص والإمكانات، فقد تركوا كماً هائلاً من الأرصاد الدقيقة والحسابات القيمة، دلت على ما وصل إليه هؤلاء من علم ، كما كان لها فائدة في التأكد من الكثير من النظريات الحديثة التي تصف حركة الأجرام السماوية، ومع أن أكثر



أحد المراصد الفلكية الموجودة في المملكة، لكنها ذات قدرات محدودة

الآثار التي خلفتها الأمم السابقة كانت تدل على ارتباط روحي بالسماء، إلا أنه كان هناك من يهتم بالفلك اهتماماً علمياً.

الفلك العلمي: اختلطت منذ القدم النتائج العلمية الفلكية مع الفلك الخرافي، مما جعل المهتمين بالفلك - من دارسين وغيرهم - يتأثرون بالفكر الخرافي بدرجة ما. وبالرغم من أن الرسالات السماوية دعت إلى التوحيد ونبذ الخرافة، إلا أن أكثر الكتابات القديمة بقيت متأثرة بالأساطير الوثنية. وقد يكون أول فصل واضح بين الفلك الخرافي والعلمي في المخطوطات بعد بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالإسلام، حيث بين لنا الله في القرآن الكريم أنه خلق السموات والأرض وأنها ليست ذاتية الإرادة، ونزّه نفسه عن شرك المشركين، قال تعالى:﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ النحل٣. كما أرشدنا إلى بعض الحقائق العلمية ، مثل أن الشمس ذات ضوء مشع - أي مشتعلة - والقمر ذو نور بغير حرارة - أي يعكس الضوء - . كما دعانا إلى التعلم والحساب لمعرفة السنين ، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ، مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلا بِالْحَقِّ ، يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يُونُس٥. وعلّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الظواهر الفلكية لاتؤثر في حياة البشر بذاتها، وإنما هي دلالات على قدرة الله، فلا الكسوف الشمسي ولا الخسوف القمري يَحدُثان لموت أحد من الناس - وإلا كان ابن الرسول صلى الله عليه وسلم إبراهيم أولى بأن يحدثا عند وفاته كما ورد في صحيح البخاري - ولا المطر يهطل لأجل نَوْءٍ (نجم) كذا أو كذا.

من هذا المنهج الفريد وهذا التطور الإيماني انطلق علماء المسلمين يدرسون الفلك، فأبدعوا وطوّروا ناظرين في الفلك نظرة إيمانية علمية مجردة من الخزعبلات التي التصقت به. فأقاموا المراصد والمكتبات العلمية المتخصصة، وصنعوا أجهزة الرصد الدقيقة لقياس مواقع الأجرام السماوية وحركتها، كالإسطرلاب الذي طُوِّر كثيراً أيامهم. وكانوا بذلك مطيعين أوامر الله في تدبر هذا الكون، ودراسة انتظام حركته ، وحساب المواقيت للصلاة والزراعة وغيرها من أمور الحياة. كذلك درسوا اتجاه القبلة والاتجاهات الأخرى ليستفيدوا منها في السفر في الصحراء والملاحة البحرية. ثم توجهوا في اهتماماتهم بعد ذلك لدراسة النجوم وألوانها وازدواجها، واهتموا بالمذنبات والكواكب والقمر وغيرها من الظواهر الفلكية. كذلك قاموا بوضع أسس حسابية دقيقة جداً لحركة الأجرام السماوية ووضعوا جداول رياضية لها وتقاويم، كما طوروا أساليب رياضية لحساباتهم تلك، إما لتسريع العمليات الحسابية أو لجعلها أكثر دقة . وتُستخدم هذه الأساليب والطرق الآن في الحاسبات الآلية، كما أن نتائج حسابات العلماء المسلمين القدماء أثبتت دقتها بموازنتها بالوسائل العلمية الحديثة. وقد بلغ علم الفلك مكانة عظيمة عند المسلمين، حتى عدّوه من أهم فنون العلم والمعرفة وأكثرها فائدة وجدوى بعد العلوم الشرعية قطعاً ، كما قال الإمام ابن القيم وغيره من العلماء.

وللأسف لم يستمر هذا النعيم العلمي طويلاً، حيث تأثر المسلمون في نهاية القرن الثالث الهجري بالفلسفات والأفكارالبعيدة من دينهم كالفارسية والهندية واليونانية ، فأخذوا منها دون تمحيص أو تدقيق. هذا التأثر انعكس سلبياً على فكرهم العقائدي، ومن ثم اهتز المنهج العلمي الفريد في تصور هذا الكون، مما وجه نتاجهم العلمي إلى الفلك الخرافي، فعاد التنجيم والكهانة. واستشار الخلفاءُ المنجمين وأعطوهم وقربوهم، وكان هذا مع بداية ضعف المسلمين أيام الدولة العباسية. ومع ذلك استمر الفلك البعيد عن الخرافة في الوجود، وإن كان بعض المهتمين به يُتهمون بالتنجيم، بسبب انتشار الفلك الخرافي بين الناس، وبخاصة بعد اهتمام عليّة القوم به.

استمر البعد من المفاهيم الإسلامية يزداد، حتى وصل المسلمون إلى وضعهم الحالي. ومع الزمن فقد المسلمون اهتمامهم بالإنتاج العلمي في جميع المجالات، إلا على نطاق يكاد يكون فردياً. فتلقف الأوربيون لواء المنهج العلمي الإسلامي، واستخدموه في أثناء ثورتهم على الكنيسة، فطوّروا ماوصلهم من علوم المسلمين بدءاً بالترجمة والتعليق ، فنسب الأمين منهم ماأُخذ من المسلمين إليهم وإن أغضب الكنيسة عليه، ومنهم من لم يعترف بفضل المسلمين العلمي؛ إما لخوف من الكنيسة وإمّا لعدم الأمانة. ولكن لو حاول الجميع نسيان جهود المسلمين في العلوم كلّها وبخاصة في علم الفلك، فبصماتهم واضحة فيه كالأسماء العربية لكثير من الأجرام السماوية والمصطلحات العلمية العربية التي لاتزال تُستخدم إلى الآن في جميع اللغات بألفاظها العربية بالإضافة إلى الكثير من القوانين والعلاقات الرياضية التي احتفظت بها الكتب من نتاج العلماء المسلمين، والتي تُعد الأساس لكثير من القوانين الرياضية الآن.

كان لاضطهاد الكنيسة العلماء أثر سلبي في أسلوبهم العلمي، فمنهم من عاد إلى الفلسفة اليونانية الوثنية وتأثر بها في تفسيره للظواهر الفلكية، ومنهم من ألحد وتوجّه لدراسة الكون على أنه ذاتي الإرادة، أو نتج صدفة. أما الذين لم يريدوا إغضاب الكنيسة فكانوا يبعدون الدين عن تفسيراتهم العلمية مقتربين من الملحدين في تصوراتهم. هذا الضعف في التصور للكون جعل الفلكيين الأوربيين يخلطون مرة أخرى بين الفلك العلمي والخرافي.



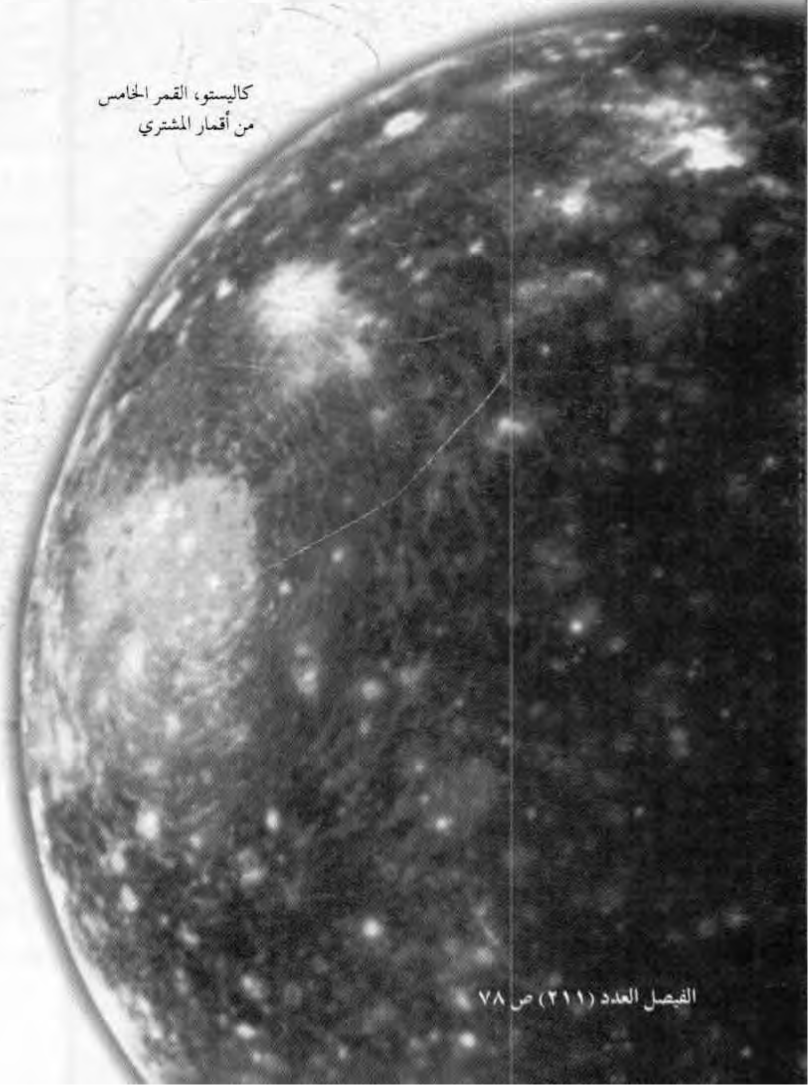
فتجد أدق الراصدين، الذين اعتمد على جداولهم في تطوير علم الفلك يكسبون رزقهم من طريق التنبؤ بالغيب. لذا لم يأخذ الأوروبيون المنهج العلمي الإسلامي كاملا، بل استفادوا من أسلوبه التجريبي والقبول بالملاحظة والأرصاد. هذه الاستفادة من المنهج الإسلامي أهّلت الأوربيين لتطوير علم الفلك، من حيث الأرصاد وتطوير الأجهزة؛ فَصُنعَ المنظار الفلكي، واكتشفت أجرام سماوية لم تُعرف من قبل، كما طُورَت الأساليب الرياضية فتم التوصّل إلى تعريف أدق للكون وحركة الكواكب، حتى بُدىء بالتنبؤ بكواكب جديدة حسابياً، ودخل الفلك عالماً حديثاً أخرجه من حدود المجموعة الشمسية والنجوم، فاكتُشفت المجرات والبلزار (شبه نجمة طاقتها أكبر من طاقة المجرات)، واستُحدث الرصد الرادوي. ودخلنا مايسمى بعصر الفضاء.

٢- الفلك الحديث:

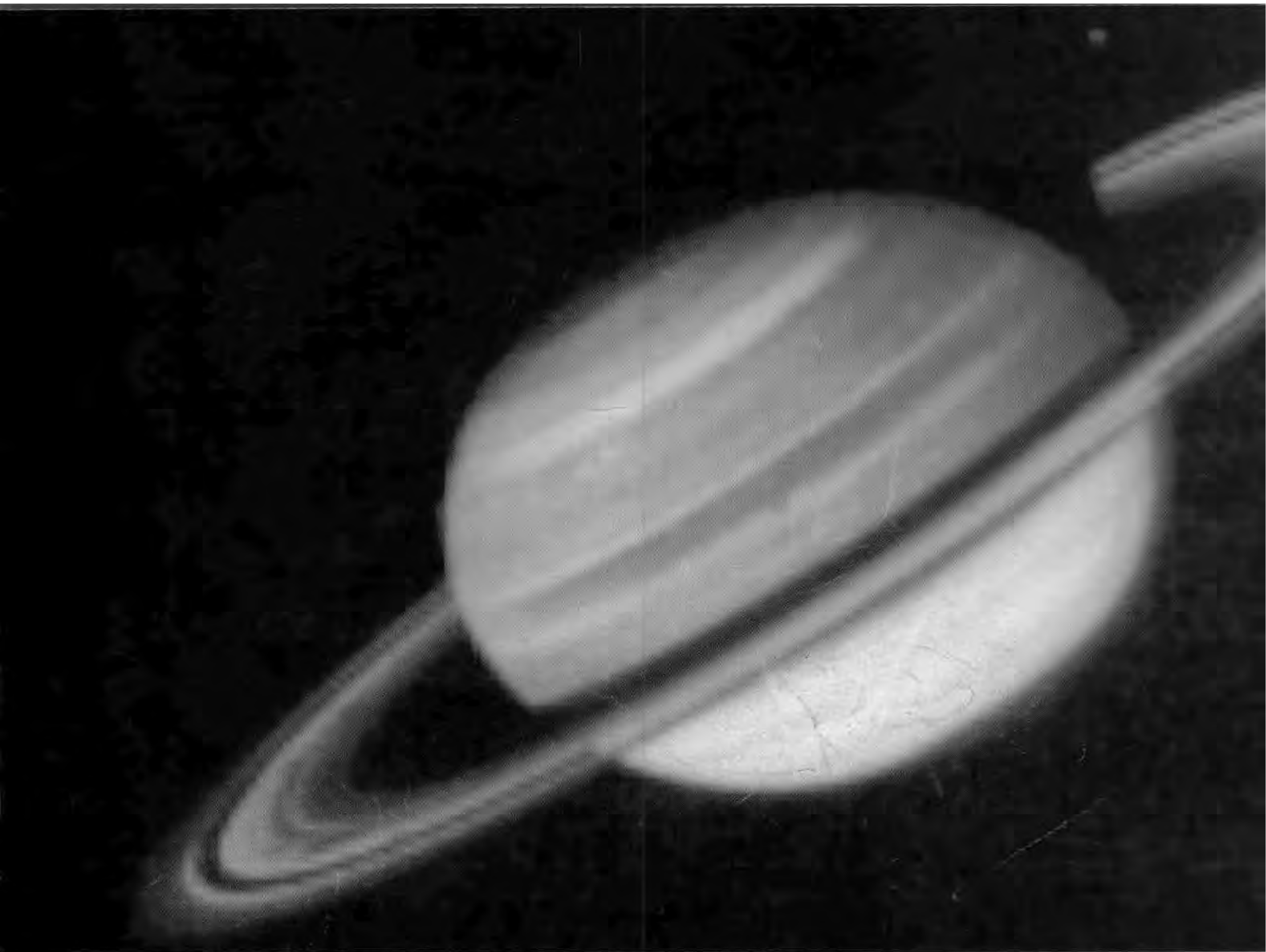
من الصعب وضع حد زمني فاصل بين الفلك التقليدي والفلك الحديث. لكن بعدما وجّه الفلكيون أنظارهم إلى أوجه جديدة من الفلك وطرق حديثة للرصد وأساليب مطورة للحساب وضعت تصوراً أوضح عن الكون خلال القرن السادس عشر الميلادي، بدأ علم الفلك يأخذ مساراً حديثاً، خاصةً مع تطور النظريات الفيزيائية وتطبيقاتها على الكون خلال القرن الثامن عشر الميلادي، كما قفز الفلك قفزات واسعة بتطوير الحاسب الآلي فيٍ بداية هذا القرن، وأصبح قضية مهمة للعالم أجمع مع دخول عصر الفضاء في الستينيات من هذا القرن الميلادي. لكن هذا التطور في الفلك لم يكن في المجال العلمي فقط، بل تطور معه الفلك الخرافي.

الفلك الخرافي الحديث: لم يختف عُبّاد النجوم بل تغيرت أشكالهم، ولعل من أبرز ما اشتُهر من الفلك الخرافي حديثاً هو التنجيم الذي لانزال نرى جداوله في كثير من المجلات والصحف. وسبب انتشاره هو ماذُكر سابقاً أن علماء أوروبا لم يكن تصورهم لهذا الكون تصوراً إيمانياً كاملاً لبعدهم عن المنهج الإسلامي، فعادوا إلى مشاربهم العفنة من فلسفة اليونان، إلى أساطير الكنيسة، فانحراف الإلحاد. فواكب فلك الخرافة التطورالعلمي، بل حمل لواءه علماء لهم وزنهم العلمي، حتى استُخدم الحاسب الآلي لحسابات التنجيم والتنبؤ الغيبي، وأُنشئت المراكز والجمعيات التي تتبنى هذه الأفكار وأصبحت لهم الدوريات التي تنشر دجلهم، وتوسع اهتمامهم إلى الأطباق الطائرة والأشباح والاتصالات الروحية. هذه الاهتمامات الأخيرة قامت على قصص اختلط فيها القليل من الحقيقة العلمية بالكم الهائل من الخيال والكذب، والذي يمكن اكتشافه بقليل من التدقيق.

الفلك العلمي الحديث: قفز علم الفلك في السنوات القليلة الماضية قفزات واسعة، نتيجة عمل استمر قروناً. وفي أثناء تطور علم الفلك طوّر الفلكيون الكثير من العلوم والأجهزة ليصلوا إلى ماوصلنا إليه في عصر الفضاء. فمثلاً للحصول على أرصاد أكثر دقة ووضوح، درس الفلكيوّن العين وأنشأوا علم البصريات لهذا الأمر، وبعد أن أبدعوا فيه صنعوا العدسات المقربة والمرايا المُكَبرة، وعندما أرادوا حفظ أرصادهم سعوا إلى صناعة الكامير والألواح الفوتوغرافية، وطوّروا في أجهزتهم وتقنيتهم الشيء الكثير مما عاد بنتائج علمية مهمة تُستَخدَم الآن في الشؤون العسكرية والطب والهندسة وغيرها من العلوم. وللحصول على معلومات أكثر دقّة من الأرصاد، ولوضع تصور أوضح عن الكون حولنا، طوّرالفلكيون كثيراً من الأساليب الرياضية والإحصائية للتغلب على صعوبات الحصول على المعلومات التفصيلية من ضوء النجوم، هذه النتائج طوّرت النظريات الفيزيائية وأضافت الكثير إلى العلوم الكيميائية والجيولوجية. ولأن الحسابات الفلكية من الصعوبة والتعقيد بحيث تحتاج إلى وقت طويل، فقد سعى الفلكيون إلى تطوير أساليب حسابية تُسرّع حساباتهم، حتى وصلوا إلى تصنيع الحاسب الآلي، لحساباتهم أولاً، ثم لمواجهة



كاليستو، القمر الخامس من أقمار المشتري



كوكب زحل كما صورته المركبة فوياجير (٢) في ١٢ يوليو ١٩٨١م

الكم الهائل من المعلومات التي تحصل عليها المراصد في العالم والتي كانت تُعد تحدياً صعباً من غير الحاسب الآلي ثانيًا، وكان لعلماء الفلك فضل تطويرالكثير من لغات الحاسب الآلي وبرامجه الكبيرة.

ولم يقف الغلاف الجوي الأرضي حائلاً بين الفلكيين والوصول إلى ضوء النجوم، حيث بدؤوا في إرسال المناطيد قديماً لدراسة الغلاف الجوي، والحصول على أرصاد للسماء، ثم سعوا للقفز خارج الغلاف الجوي مما كان السبب الرئيس لتطويرالصواريخ والقذائف، الذي أدى إلى تقنية عصرالفضاء من محركات جبارة ومكيفات للجو واتصالات هاتفية ومرئية، وبرامج فضاء كبيرة لإنزال البشر على سطح القمر، هذه البرامج طورت نظريات الإدارة والاقتصاد إلى جانب ماأضافته إلى العلوم الأخرى. وسعى الفلكيون لتطوير تقنية الأقمار الصناعية من حيث توجيهها وتحديد مكانها في الفضاء، بالإضافة لوضع البرامج العلمية لها. كان لهذا كله تأثير في تطور علوم الأرض والأرصاد وهندسة الإلكترونيات والميكانيكا، وظهرت علوم جديدة مثل طب الفضاء والزراعة في الفضاء، وقريباً سنرى في الأسواق مواد صُنعت في الفضاء. وهذا التطور والإنتاج رد فعل طبيعي لمَا يُبديه علم الفلك من أسئلة وتحديات تَشحذ الهمم وتُثير القدرات وتُخرج الطاقات الإبداعية لمواجهة تلك التحديات والأسئلة وحلها، وقديماً قالوا: الحاجة أمُّ الاختراع.

لم يقف طموح الفلكيين عند أطراف الأرض، بل سعوا إلى إرسال المركبات الفضائية لسبر أسرار الكون، فبدؤوا بالكواكب وتوابعها، ونجحوا في إنزال مراكبهم على سطح المريخ، كما نجحوا جزئياً في الإنزال على الزهرة، وأرسلت تلك المركبات كماً هائلاً من المعلومات، ولاتزال ترسل، منذ أكثر من عقدين من الزمان . وفتح هذا التطور أبواباً جديدة في الفلك ، فمن علم طبيعة الكواكب وجيولوجيتها مع مقارنتها بجيولوجية الأرض، إلى دراسة تكوين المذنبات وتوابع الكواكب. وحديثاً أُرسلت مركبة لدراسة المريخ والمشتري وتوابعهما، وهناك مشروع طموح لإرسال مركبة تقلّ بشراً إلى المريخ قبل نهاية هذا القرن .من ناحية أخرى، كان تطور أساليب الرصد فتحاً جديداً في الفلك ، فاكتشفت المجرات وأنواع النجوم: من نابضة ومتغيرة ومزدوجة ـ وإن كان بعض النجوم المزدوجة قد عُرف من قبل المسلمين ـ وأصبحت هناك معرفة أكبربطبيعة تكوين النجوم والكون، مما طوَّر نظريات الفيزياء الكونية وأصبح هناك مايسمى بعلم الفلك الفيزيائي، كما تطورت الدراسات الشمسية لما للشمس من تأثيرات مباشرة في الأرض كالعواصف والانفجارات الشمسية التي تؤثر في حالة الطقس والاتصالات اللاسلكية. ولعل من الطريف معرفة أن غاز الهيليوم ـ الذي كان يُستخدم في المناطيد واستخدامات أخرى ـ اكتشف على الشمس قبل اكتشافه على الأرض. كما أن للدراسات الشمسية أهمية في الطاقة الشمسية واستخراج الطاقة من حالة البلازما،

وللدراسات الشمسية أهمية أخرى حيث إنها نجم قريب نعرف الكثير عنه، مما يفيد في موازنة حالتها مع النجوم الأخرى البعيدة. ومن المشروعات الكبيرة في مجال الرصد إطلاق التلسكوب الفضائي "هَابل" الذي أجريت له - مؤخراً - عملية إصلاح ليحقق الغرض المرجو من إطلاقه.

لماذا يُدرس علم الفلك ؟

بالرغم من أن علم الفلك كان سبباً رئيساً في تطوير كثير من العلوم والأجهزة التي لايستغني عنها الإنسان المعاصر، إلا أنه باهظ التكاليف، ويَعُده بعضهم ترفاً علمياً يمكن الاستغناء عنه، أو أخذ أشياء أساسية منه دون الاهتمام ببقيته. وهذا الكلام عامٌ وقد يكون فيه بعض الحقيقة. ولكن هناك أسباباً كثيرة تدعونا لدراسة علم الفلك ترد على هذا القول وتوضح المسالك التي يُفضَّل أن ننتهجها اعتماداً على مايَهُمنا في بلادنا ، من أهمها :

١- طاعة الله في أوامره بالتدبر والنظر في هذا الكون ، قال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَنظُرُوا في مَلَكُوتِ السَّمَاوات والأَرْضِ ومَا خَلَقَ الله مِن شَيءٍ وأَن عَسَى أَن يَكُونَ قَد اقْتَرَبَ أَجَلُهم فَبِأي حَدِيث بَعْدَهُ يُؤمِنُون ﴾ الأعراف ١٨٥. هذا بالإضافة إلى التطبيقات الفلكية المباشرة التي تهم المسلمين من حساب أوقات الصلاة واتجاهات القبلة والأزمنة والمواسم الزراعية وغيرها من الظواهر.

٢-إشباع الفضول العلمي لدى الإنسان؛ لمعرفة أسرار السماء التي يعيش تحت قبتها، بما تحويه من أجرام وأشكال صعبة المنال بالأيدي ، لكنها تُنال بالصبر والمثابرة العلمية .

٣-التحدي الذي يقدمه علم الفلك في كثير من مجالاته، مما فتق المفاهيم والأفكار وأطلق لها العنان للإبداع والاختراع، وكان سبباً رئيساً لتطوير العلوم الإحصائية والرياضية والفيزيائية والكيميائية



أحد المراصد الفلكية المقامة على هضبة «كيت» القومية

بصفتها علوما بحتة، وأدى كذلك لتطوير علوم الأرض والطب والهندسة بصفتها علوماً تطبيقية. فلولا هذه التحديات التي قدمها علم الفلك لاحتاج ظهور كثير من الأجهزة المنزلية العادية سنين طويلة. وهذه طبيعة البشر، لابد من الاجتهاد حتى يحصل الانتاج والاختراع .

٤-هناك الكثير من التجارب التي يطمح الإنسان لعملها لأهميتها عنده، لكن الإمكانات على الأرض تكاد تكون مستحيلة أو باهظة التكاليف ، مثل تصرف المادة عند درجات الحرارة المرتفعة جداً أو المنخفضة جداً، وحالة المادة عند الكثافات العالية أو المنخفضة. هذه الحالات كثيرة في الكون، فمن النجوم العملاقة ذات الحرارات العالية إلى أماكن وجود درجة الصفر المطلق، ومن النجوم النيوترونية ذوات الكثافات العالية، إلى شبه الفراغ التام. عدا البحث عن مصادر جديدة للطاقة، كالدراسات القائمة عن البلازما التي يتوقع أن تعطي طاقة من غير تلوث. وهناك تطبيقات أخرى كثيرة لاتنتهي، فهذه المعامل الكونية الجاهزة التي سخرها الله لنا، توفر علينا دراستها المال الكثير، ويعود مايُبذل في الفلك من مال بمردود مالي وعلمي كبيرين.

وهذه الأسباب قليل من كثير، تدعونا هنا في المملكة العربية السعودية خاصةً وفي العالم الإسلامي عامةً لدراسة الكون وظواهره، وعلم الفلك كما لاحظنا سابقاً تفرع وتشعب كثيراً، مما يدعو إلى زيادة المختصين بفروعه حتى يُغطي مايمكن من الإنتاج العلمي فيه ، ثم يكون على عاتق هؤلاء المختصين توجيه العمل لما يهمنا في بلادنا، وفي العالم الإسلامي ، على أن يكون الاهتمام بالأهم فالمهم .

واقع علم الفلك في المملكة العربية السعودية

أهتم الناس على المستوى الشعبي بالأجرام السماوية منذ القدم، لعلاقة الأبراج وحركتها بالمواسم الزراعية والفصلية، كما نجد ذكر النجوم ومواقعها في الشعر العربي والنبطي عند البدو والحضر، بالإضافة إلى اهتمام الناس من الناحية الشرعية بحساب أوقات الصلاة واتجاهات القبلة والخروج لرؤية أهلة أوائل الشهور. هذا عدا المهتمين بما أنجزه الأجداد في علم الفلك وأساليب حساباتهم ، والهواة الذين يتابعون تطورات الفلك ويمتلكون مناظير فلكية للرصد والتصوير .

وقد بدأت أجهزة التثقيف الفلكي العامة في الظهور في مدينة الرياض، ممثلة في القباب الفلكية، وهي قبة تمثل السماء في أي وقت من السنة، ولأي سنة من السنين مما يعطي تصوراً عن توزيع النجوم ومسار الشمس والكواكب، كما يمكن أن تعرض صوراً تمثل أسطح الكواكب وتوابعها، كما تعرض أفلاماً عن الكون، وهي من أنجح الوسائل التعليمية الفلكية والترفيهية. كما يقوم التلفزيون بعرض بعض البرامج العلمية من وقت لآخر مما يساعد في رفع المستوى التثقيفي العلمي والفلكي.

أمـا على النطاق التـعليـمي، فـقـد أُدخلت بعض المعلومات الفلكية في مواد ماقبل المرحلة الجامعية، مما يزيد الوعي الفلكي عند الطلاب، وأما على النطاق الجامعي فبالرغم من أن الشهادة الجامعية في الفلك تمنح منذ حوالي العقدين من السنين، إلا أن عدد المختصين ـ للأسف ـ ليس كما نطمح إليه لتكوين قاعدة علمية فلكية ، ترفع اسم المملكة خفاقاً في عالم الفلك. مع العلم أن المراكز العلمية في المملكة التي تهتم بالفلك كثيرة، فقسم الفلك بجامعة الملك سعود بالرياض يمنح الشهادة الجامعية في هذا العلم، كما يملك عدداً من الأجهزة العلمية ومعملاً شمسياً ومرصدين أحدهما بمرآة ٤٥سم وهو أكبر المراصد العلمية في المملكة وإن كان يعد صغيراً علمياً. أما تخصص الفلك التابع لقسم الفيزياء في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، فهو يمنح الدرجة بتخصص مشترك مع الفيزياء. هذا عدا أجهزته العلمية ومعمل شمسي ومرصدين صغيرين. ومن جهة أخرى هناك عدد من المهتمين في المجال الأكاديمي بالفلك في بقية جامعات المملكة وفي مركز تحليل الصور الفضائية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران.

وقد أُنشيء مركز المرصد الوطني الذي تحول اسمه إلى معهد الفلك والجيوفيزياء بمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بالرياض منذ أكثر من عشر سنوات، ليتبنى مشروع إنشاء مرصد وطني كبير للدراسات العلمية، وليكون مركزاً علمياً بارزاً في العالم، ولاتزال الدراسات قائمة لاختيار مكان مناسب لهذا المرصد ، ويعمل في المعهد عدد من الفلكيين المختصين في مجال نشر الوعي الفلكي والبحث العلمي.

مستقبل علم الفلك في المملكة والتطلعات

المملكة العربية السعودية دولة أرسلت أحد أبنائها إلى الفضاء، ومع ذلك فإن علم الفلك فيها يُعَدُّ وليداً موازنة بالدول الأخرى، فنحن في بداية الطريق. ومستقبل الفلك مرتبط بالكوادر الفلكية من ذوي الشهادات الجامعية بكل درجاتها من البكالوريوس إلى الدكتوراه. والحقيقة أن هذا الكادر أقل بكثير مما يُطمح إليه، بالإضافة إلى أن الموجود لايُستغل كما ينبغي، مما يعوق تقدم المملكة الفلكي. وبالنظر إلى واقع المسلمين وبخاصة منطقة الشرق الأوسط، نجد ـ من جهة ـ أن باب الريادة في الفلك مفتوح لمن لديه القدرة والرغبة لقيادة المنطقة في هذا العلم، ومن جهة أخرى فإن تطوير الكادر الوطني وزيادته من أهم الأمور التي تفتح لنا المستقبل في هذا المجال، ومما يؤسف له أن خريجي تخصص الفلك يجدون مجالات عملهم محدودة، في حين أن مجالات استغلال علم الفلك في المملكة أكثر من أن تعد، وإليك على سبيل المثال لا الحصر بعض مجالات تطبيقه:

١- في المجال التعليمي قبل الجامعي: هناك بعض المعلومات الفلكية التي توجد في مقررات الفيزياء والعلوم، مما يحتم وجود موجهين فلكيين يسعون إلى الإشراف على إعطاء هذه المعلومات وتطويرها مستقبلاً.

٢- في المجال العسكري: يُعَدُّ تحديد الموقع على الأرض وارتفاعه من التطبيقات المباشرة في علم الفلك، بالإضافة إلى تحديد الاتجاهات ومسار القذائف والصواريخ داخل الغلاف الجوي وخارجه، وتوجيه الطائرات؛ مما يجعل استغلال علم الفلك مهماً في السلاح الجوي والدفاع الجوي والمساحة العسكرية والبحرية وغيرها من المجالات العسكرية. كما يمكن استغلال خبرة الفلكيين في مجال التطوير والصناعة والخدمات الاستشارية ، كما يحدث في الغرب.

٣- في مجال الاتصالات الفضائية: حيث يستغل الفلك في تحديد مواقع الأقمار الصناعية، مع الإشراف على إطلاقها وتحديد أنسب المواقع الإرسالية لها لما يخدم الأغراض التي أُرسلت من أجلها.

٤- في مجال الطيران المدني، والمساحة المدنية، ومصلحة الأرصاد وحماية البيئة: يمكن الاستعانة بالفلكيين في تحديد مسارات الطائرات ومواقعها. والمواقع على الأرض، بالإضافة إلى مواسم هجرة بعض الحيوانات والطيور، مما يساعد في حماية الحركة الجوية من الكوارث، وحماية البيئة.

٥- في المجال التثقيفي العام والترفيهي: يكون الفلك من أمتع مايجذب العامة للمشاهدة والتعلم، لما يحويه من أسرارالكون ومشاهد قدرة الله سبحانه وتعالى، ووسائل التثقيف كثيرة من قباب سماوية إلى أبواب علمية في الصحافة، وبرامج علمية متلفزة، ونطمح إلى إصدار صحافة علمية مستقلة.

٦- في المجال العلمي، وكما ذُكر سابقاً، فإنّ دراسة الفلك والاهتمام به أدى مباشرة إلى تطوير الكثير من العلوم والأجهزة العلمية والحياتية، هذا بالإضافة إلى مايضفيه علم الفلك من خيال وإبداع فكري . ويقع على عاتق المراكز العلمية عبء قيادة الحركة الفلكية وتوجهها، بتقديم وجبة علمية في هذا العلم وغيره إلى أغلب التخصصات العلمية والأدبية، حتى يكون هناك مهتمون بالفلك والعلوم في جميع المجالات، وحتى نواكب التطور العالمي. هذا إلى جانب أن المختصين الفلكيين يقع عليهم عبء إيصال علمهم إلى المهتمين، وتخريج الكوادر العلمية الفلكية، فضلاً عن عمل الأبحاث والإنتاج العلمي.

وهنا لايفوتني التنويه بأهمية إنشاء المرصد الوطني الذي ينتظره كل الفلكيين والمهتمين بالفلك ، والذي يُتوقع أن يكون مركزاً عالمياً يضيف إلى الإنتاج العلمي الشيء الكثير وسيضع اسم المملكة العربية السعودية في مكان يَصعُب أن تُنازع فيه. فيجب إعداد الكوادر العلمية له، بالإضافة إلى تطوير الكوادر الأكاديمية في الجامعات حتى تواكب إنشاء هذا الصرح العلمي الكبير.



بعض الأجهزة العلمية التي تعين على تحليل المعلومات الواردة من الفضاء

إن إقامة العلاقات بين هذه المجالات المختلفة من أبواب تطبيقات علم الفلك وبين المختصين، سيطوّر الاهتمام الفلكي وسيساعد في إعداد الكوادر التي سوف تعمل في تلك المواقع، بحيث يوجّه المتخرج في مراحل دراسته النهائية إلى تطبيق بحث تخرجه أو بعضه في أحد هذه المواقع، مما يُسهل على المسؤولين فيها تفهم الفلك، ويُسهل على المختصين العمل هناك . كما يمكن أن توفر هذه المواقع فترات تدريب للطلاب.



نموذج لإحدى المركبات المرسلة إلى القمر لكشف المزيد من أسراره

الفلك باعتباره هواية

لاشك أن الفلك ـ على مستوى الهواة ـ من الأمور المحببة للناس، وفيه الكثير من الأشياء التي تثير الخيال ورغبة الإنسان في المعرفة . كما أن الفلكيين لاحظوا منذ زمن طويل صعوبة تغطية جميع أبواب الفلك وحدهم، لذا فتحوا أبواب علم الفلك للهواة، بل تركوا بعض مجالات الفلك لهم، مثل رصد المذنبات التي أصبحت تُسمى باسم أول ثلاثة يُبلِّغون عن اكتشاف مذنب جديد، كما أنشأوا مراكز للهواة وجمعيات مثل جمعية رصد النجوم المتغيرة. هذا عدا المجالات الفلكية المبسطة للهواة والمختصين، ويُسهم هواة الفلك بإضافة الكثير من المعلومات إلى علم الفلك ، ويرجع إليهم الفضل في اكتشاف بعض الكويكبات والكثير من المذنبات والنجوم المميزة .

وكما أن علم الفلك يجمع الكثير من العلوم ، فإنه مادة جيدة للكثير من الهوايات، ومنها:

١-الرصد: وهي أكثر الهوايات التي يتميز بها هواة الفلك، حيث يستمتع الإنسان بخلق الله في الكون من نجوم وسُدم ومجرات واختلاف أشكالها وألوانها وانتشارها في السماء، وهي هواية قليلة التكلفة نسبياً، فيمكن الرصد بالعين المجردة، ويمكن بذل بعض المال للرصد بالمناظير على اختلاف أسعارها وكبرها. مع ملاحظة أن منظارًا بحجم مناسب وموصل بحاسب آلي للتوجيه مع كاميرا، قد لايكلف ماتكلفه هواية أخرى.

٢-التصوير: حيث يمكن التصوير مباشرة بالكاميرا، أو ربطها بمنظار فلكي. ففي هذا الكون الكثير من المناظر الخلابة والجميلة ، التي يعجز عن وصفها لسان أو يعبر عنها قلم. بل يقف الإنسان أمامها يُسبِّح الخالق المبدع المصور سبحانه وتعالى. ويكون التصوير بعدة طرق، إما بتثبيت الكاميرا فنحصل على حركة النجوم في مسارات دائرية، أو بتحريك الكاميرا مع حركة الأرض لنحصل على صورة ثابتة للنجوم، التي يمكن تكبيرها إلى أي درجة اعتماداً على حجم المنظار الفلكي الذي التقطت الصورة من خلاله.

٣- الكمبيوتر والإلكترونيات: هناك الكثير من البرامج الفلكية التي تمثل الخريطة السماوية وأسطح الكواكب ، مما يقدم وقتاً ممتعاً وتثقيفاً مفيداً للهواة. هذا غير التوصيلات الإلكترونية بين الكمبيوتر والمناظير الفلكية لتوجيهها والتحكم فيها، عدا التصوير والاحتفاظ بالصور وتحليلها داخل الكمبيوتر.

٤- الحسابات الفلكية: حيث يمكن ببساطة تعلم الحسابات الفلكية، لحساب أوقات الصلاة وحركة الأجرام السماوية، وسيكون من الممتع مراقبة دقة الحسابات بالرصد.

٥- القراءة: يعتبر الفلك من المواد الطريفة عند القراءة عنه، لما يقدمه من معرفة مبسطة ومعلومات ميسرة تَحثُّ الإنسان على متابعة كل جديد فيه، وهو يثير الخيال والإبداع، وهذا مانراه في الكثير من قصص الأساطير والخيال العلمي.

٦- الفن: الكثير من الناس يحبون رسم الأشياء المميزة، وفي أشكال الكون من الإبداع والجمال مايحث النفس الفنانة على جعل الريشة تُعبر عن إعجابها بخلق الله . كما يمكن العمل على تصنيع مجسمات مصغرة من المركبات الفضائية والمناظير الفلكية والكواكب والقمر وغيرها مما تتخيله النفس ولا تراه العين.

هذا بعض مايمكن للهواة ممارسته في الفلك، مما يضع على عاتق المراكز العلمية للهواة عبء توفير المكان والأجهزة المناسبة للهواة، والاتصال بالمختصين للتدريب والتوجيه. ومن المهم إصدار مجلة علمية مبسطة للهواة، ترصد نشاطهم وتنظم جهودهم وتُنسق بينهم، وتقدم لهم المعلومة مبسطة لتوسيع ثقافتهم العلمية. كما يمكن استغلال مواسم رؤية أهلّة أوائل الأشهر لتنظيم الرحلات لرؤية الهلال ، مما يفتح الباب للتعليم وتحسين قدرات الراصدين.

والاهتمام بالفلكيين الهواة مجال بكر في المملكة العربية السعودية، حيث إن العامة لهم اهتمام فطري بالفلك خاصةً في بدايات الأشهر، حيث يمكن استغلال رؤية الهلال من كل شهر في تكوين رحلة تثقيفة لتعليم الفلك وتغيير بعض المفاهيم الخاطئة عنه. كما يمكن خلالها شرح حركة الشمس والقمر والكواكب وطرق رصدها ، والتفريق بينها وبين النجوم، كما يساعد مثل هذا التجمع في التعارف وتبادل المعلومات.

إن المملكة العربية السعودية وهي بلد شاركت في برامج الفضاء بأحد أبنائها، كما أسهمت في التجارب العلمية الفضائية، لم تحقق على المستوى المحلي الشيء الذي يُطمح إليه، ذلك أن الفلك لايزال وليداً بحساب الزمن، والمختصين قليل بحساب الكوادر. والمملكة لاينقص أبناءها الإخلاص ولا الحماسة ولكن ينقصهم التشجيع والتوجيه وإتاحة الفرص الوظيفية والعملية. والمملكة بما حباها الله من إمكانات مؤهلة لقيادة العالم الإسلامي في مجال الفلك. وهذا مايطمح إليه جميع المحبين لهذا البلد الطيب.

إن مانطمح إليه ليس بعيد المنال، فمنذ سنوات قليلة لم نكن نحلم بما وصل إليه التطورالعلمي في المملكة، ولكن مانطمح إليه لن يكون سهلاً ولن يأتي بالأحلام، بل بالعمل والمثابرة والإخلاص.

المراجع

١- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم .
٢- الألباني، مختصر صحيح الإمام البخاري .
٣- أبو بكر الجزائري، العلم والعلماء، دار الكتب السلفية، ١٤٠٣هـ .
٤- صلاح الدين حامد، مذكرات ١٠١ فلك، ١٤١٣هـ .
٥- علي عبد الله الدفاع، أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ .
٦- محمد مرحبا، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م .
٧- سعد شعبان، الطريق إلى القمر، تهامة، ١٤٠٥هـ .



تسعون عامًا على أول طيران في التاريخ

الطيران

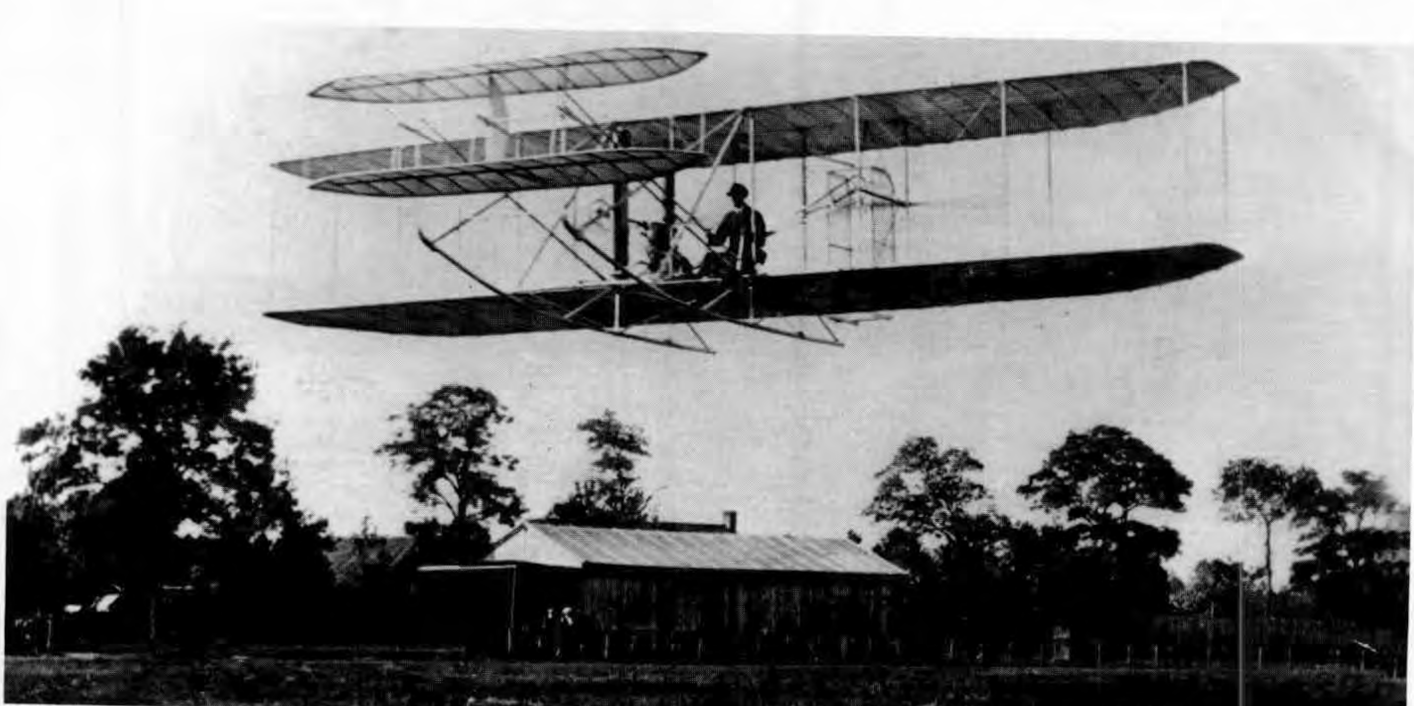
من بساط الريح إلى الطائرات الأسرع من الصوت

جان ألكسان

في الأزمنة الغابرة كان الاعتقاد السائد في الأساطير والخرافات أنه لا يستطيع الطيران إلا تلك الأجسام المزودة بقوى خرافية غير طبيعية تساعدها على الطيران، ويرينا التاريخ عديدًا من الرجال والنساء تمتعوا بروح الحرية والخيال والمغامرة من خلال حلمهم بالطيران ومحاولاتهم تحقيقه. وكانت أولى محاولات الإنسان للطيران هي عمل ريش يشبه ذلك الذي في أجنحة الطيور، ومن خلالها يحاول الرفرفة ومن ثم الطيران.

وجميع تلك المحاولات باءت بالفشل، فلم يشفع لهم تثبيت الريش على أخشاب بحيث يضاهي شكل أجنحة الطيور، ولا الرفرفة القوية ولا حتى القفز من مكان مرتفع، بل إن معظم أولئك المحاولين قد لقوا حتفهم.

وليست قصة «عباس بن فرناس» منا ببعيدة، فقد كان مخترعا، وفيلسوفًا وشاعرًا، وينسب إليه أنه أول من أدخل صناعة الزجاج إلى الأندلس. راودته فكرة الطيران بجسده، فكساه بالريش، وربط إليه جناحين، ثم ارتقى قمة جبل وحاول الرفرفة بهما، لكنه سقط ليلقى حتفه، وليلحق بمن سبقه من المغامرين الذين راودهم الحلم نفسه.



ويلبوررايت في أول محاولة ناجحة للتحليق بطائرة (١٧/١٢/١٩٠٣م).

خطوة نحو الواقعية

في القرن الثالث عشر الميلادي، بدأت في أوربا أولى المحاولات الجادة لجعل الطيران «حلمًا واقعيًا»، فبين عامي ١٢١٤ - ١٢٩٤م، عاش الفيلسوف الإنجليزي «روجربيكون»، الذي كان عالمًا بالرياضيات، وخبيرًا بالفلك والجغرافيا والكيمياء. وكانت له كذلك أفكاره عن «الآلة الطائرة الأثقل من الهواء».

ثم جاء من بعده الفنان الإيطالي الشهير «ليوناردو دافنشي» (١٤٥٢ - ١٥١٩م). الذي كان العبقرية الممثلة لعصر النهضة، لما جمع من شتى العلوم، وكانت رسوماته التي تركها تشير بوضوح إلى الآلات الطائرة الشبيهة بالطائرات العمودية الحالية.

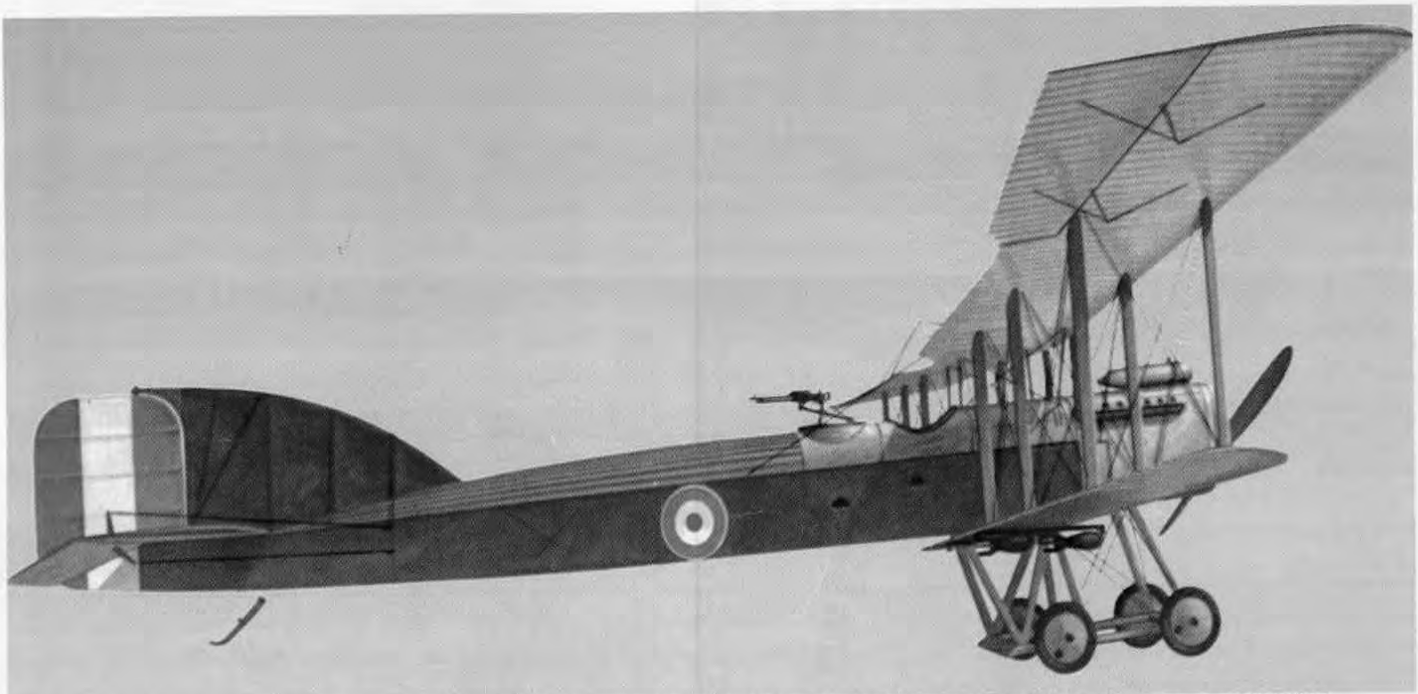
وفي خلال الأعوام المائة التالية، ساعد أدباء الخيال العلمي على ترسيخ فكرة الطيران بين الناس، وهو مايتضح من كتابات «فرانسيس جودوين» (١٥٦٢- ١٦٣٣م)، «صمويل برانت، و «سيرانودي بيرجراك» (١٦١٩- ١٦٥٠م). وفي نهاية القرن التاسع عشر، كان «جول فيرن» (١٨٢٨ - ١٩٠٥م) - أشهر أدباء الخيال العلمي الذي نشأ في فرنسا، ولم يكن مخترعًا البتة - قد أوجد بين الناس في أوربا والعالم، شعورًا بأن عصر «الآلة الطائرة» قد أصبح على وشك التحقق، فقد كتب عن رحلات استكشافية بالطائرة العمودية، والمنطاد. كما تنبأ بقيام صاروخ برحلات إلى القمر، بل إنه استطاع - بحس أدبي مرهف - أن يقدم وصفًا تفصيليًا لمرحلة انعدام الوزن التي يتعرض لها رواد الفضاء أثناء سفرهم.

ثم ظهرت الطائرة

ففي ١٧ ديسمبر من عام ١٩٠٣م، قام الأخوان الأمريكيان أورفيل وويلبور رايت بمحاولة تأكيد فكرة أن الإنسان يستطيع الطيران من خلال طائرة مزودة بوقود يساعدها على الطيران. وبعد تلك التجربة بست سنوات تمكن رجل فرنسي يدعى لويس بليريو من عبور بحر المانش بين فرنسا وبريطانيا باستخدام طائرة من تصميمه أحادية السطح سهلة القيادة.

بعد تلك التجربة قام إنجليزي يدعى ويتل وآخر ألماني يدعى فون أوهين بعمل تعديلات وإضافات على التصاميم السابقة للطائرة، وأصبحت طائرتهم تلك أولى المحاولات للدخول في عالم الطائرات النفاثة وتقديم مفهوم جديد عن السرعة والراحة والأمان في الرحلات الجوية. وتعد المحاولة التي قام بها الأمريكي تشارلز ياجر في ١٤ أكتوبر من عام ١٩٤٧م لتحطيم حاجز الصوت رائدة لجعل قياس سرعة الطائرة بآلاف الأميال في الساعة.





قاذفة القنابل «شورت بومبر»، النموذج المطور للطائرة البحرية ١٨٤، يبلغ طولها ٨٥ قدمًا، وطول محركها ٤٥ قدمًا صنعته «رولزرويس»، وتبلغ سرعتها القصوى ٧٧ميلا/ساعة.

تسعون عامًا من التحليق

مع نهاية عام ١٩٩٣م، يكون قد مرَّ تسعون عامًا على أول تحليق ناجح للطيران في العالم، حيث حلقت الطائرة التي صممها الأخوان رايت لمدة خمس دقائق فقط.. وبهذا تحقق للإنسان حلمه القديم وهو يرى كيف تحلق الطيور في الجو.. وفي جميع الأساطير القديمة، المصرية، والأشورية، والاغريقية، كان هذا الحلم موجودًا.. حتى في قصّة بساط الريح في كتاب (ألف ليلة وليلة) وفي شعر الأسلاف منذ أكثر من ألف عام:

بكيت على سرب القطا إذ مررن بي
فقلت، ومثلي بالبكاء جدير
أسرب القطا.. هل من يعير جناحه
لَعَلّي إلى من هويت أطير

والمعروف أن الأخوين أورفيل وويلبور رايت تناوبا القيادة على طائرتهما البدائية التي صنعاها بأنفسهما أربع مرات، وحلّقا من ١١ - ٥٩ ثانية فقط، ولكنهما في المرة الخامسة استطاعا الطيران لمدة خمس دقائق وكانت تلك بداية أول عملية طيران في التاريخ.

محطات أساسية وأرقام قياسية

في ٤ يوليو (تموز) ١٩٠٨م، حصل جلين كورتس على ميدالية الملاحة في الولايات المتحدة لقيامه بالطيران لمسافة أكثر من ميل، وهذا أول رقم للطيران سجل رسميًا في أمريكا.

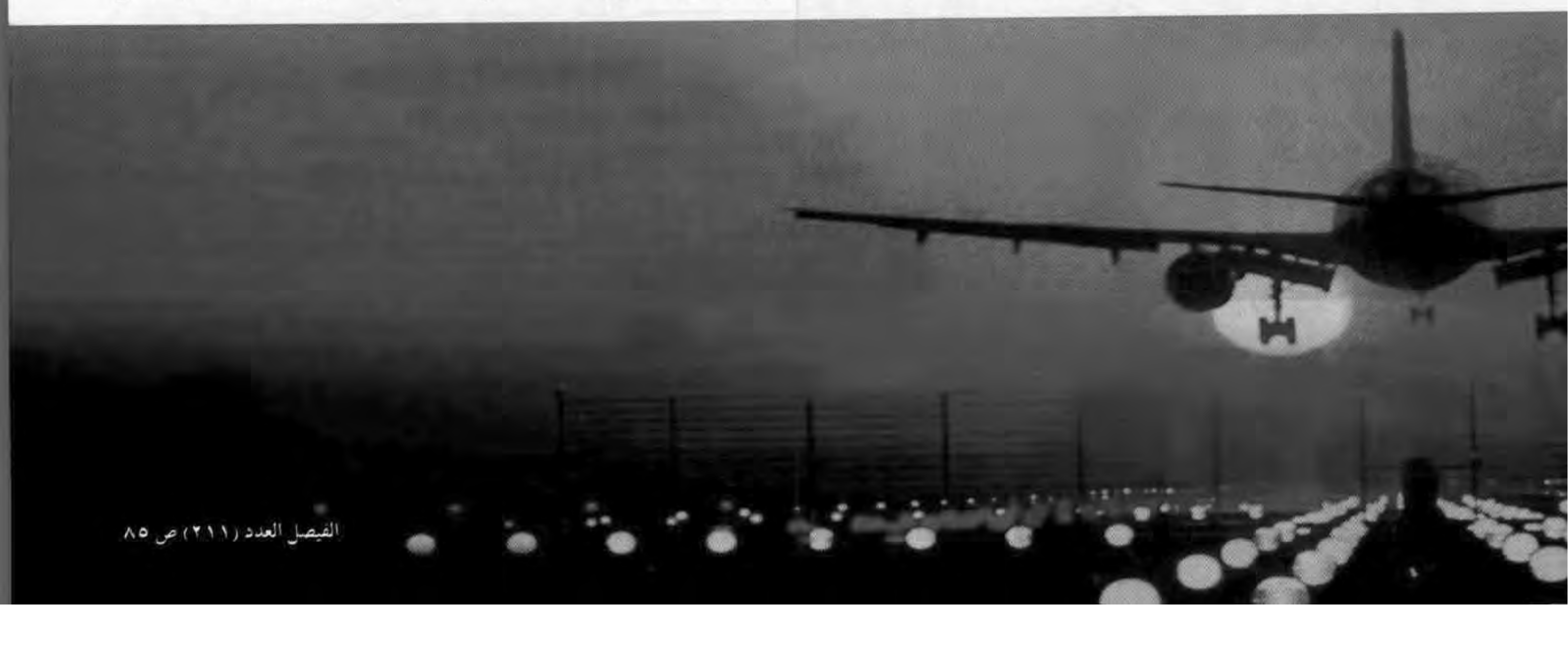
في ٤ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٠٨م، قام هنري فارمان، بربط نقطتين جغرافيتين (بوي - رانس) والمسافة بينهما ٢٧كم قطعها في عشرين دقيقة بطائرة نوازان.

في عام ١٩٠٩م، استطاع لويس بليريو اجتياز المانش بين فرنسا وانجلترا، وقد قطع المسافة (٢١ميلا) في ٣٧ دقيقة (ليربح جائزة صحيفة الديلي ميل البالغة ألف جنيه استرليني) وكانت طائرته مزودة بمحرك قوته ٢٥ حصانًا.

في ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٠٩م، قام ج. آ. د ميكردي بالطيران مسافة ثلاثة أرباع الميل فوق بحيرة متجمدة في كندا (نوفاسكوتيا)، وكان ذلك أول طيران في دول الكومنولث البريطاني.

في عام ١٩١٢م، استطاع رولاند كاروس الطيران فوق البحر الأبيض المتوسط بطائرته (موران سوليز) المزودة بمحرك قوته ٦٠ حصانًا، بين تونس وصقلية.. وقد قام بعد ذلك برحلة أطول حيث قطع مسافة ٥٥٠ ميلاً من مدينة (كان) الفرنسية حتى تونس في سبتمبر (أيلول) ١٩١٣م.

في عام ١٩١٨م حصل تطور ملحوظ في مجال الطيران الحربي لمواجهة اندلاع الحروب ولمحاولة إيجاد قوة ضاربة لمواجهة الأعداء. وكان للطائرات الحربية فائدة عظيمة من





على أرض مطار الملك خالد الدولي بالرياض تربض أحدث طرز الطائرات في العالم

خلال رصدها تحركات الأعداء ومعرفة قدراتهم العسكرية من حيث كمية العتاد ونوعه. وهي أيضًا أداة تدمير من خلال قذفها القنابل شديدة الانفجار وتدميرها المباني الحصينة. وفي هذا العام اخترعت أول قاذفة قنابل لتدمير كتائب المشاة في مخابئهم الطينية على أرض المعركة . وكانت الضرورة الملحة خلف إنشاء مصانع لصنع طائرات طوربيدية لمواجهة السفن في البحر.

لم يحصل الطيران المدني على ترخيص في بريطانيا حتى أوائل شهر مايو من عام ١٩١٩م. ولم تغفل وزارة الطيران هذه النقطة، بل إنها أنشأت جناح الاتصالات السادس والثمانين لضمان وسيلة سريعة لإيصال المعلومات لأعضاء الحكومة البريطانية المشاركين في مؤتمر السلام في باريس، وقد أنشأت قاعدة في منطقة كينلي بالقرب من لندن من أجل هذا الغرض، وقد انتهت هذه الخدمة بعد ستة أشهر من العمل، حيث قامت هذه الطائرات بـ ٧٤٩ رحلة جوية بين لندن وباريس، أي بمعدل رحلة كل ساعتين ونصف الساعة، وقد حملت ٩٣٤مسافرًا و ١٠٠٨حقيبة بريدية و ٤٦ دبلوماسيًا.

في ١٤ يونيو (حزيران) عام ١٩١٩م، قام الكابتن جون الكوك والليفتينانت أرثر ويتن براون، بأول طيران دون توقف عبر الأطلسي باستخدام طائرتهما العسكرية من طراز فايكرز (فيمي) المزودة بمحركين، وقد غادرا سان جونز في جزيرة نيوفاوند لاند ليلة ١٤ - ١٥ يونيو، ووصلا في اليوم التالي إلى كليفدن (ايرلندا)، واستغرقت الرحلة ١٦ساعة و ١٢دقيقة، قطعا خلالها ١٩٦٠ميلا .

في ١٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٩م، قام روث وكيث سميث بالطيران من إنجلترا إلى أستراليا في رحلة استغرقت ثلاثين يومًا، وقد هبطا في ميناء داروين بتاريخ ١٠ديسمبر (كانون الأول).

في ٤فبراير (شباط عام ١٩٢٠م، قام فان رينيفيلد وكوينتون براند بأول طيران من إنجلترا إلى الكاب على متن الطائرة فايكرز (فيمي)، وبعد تغيير محرك الطائرة في القاهرة إثر تحطمه، وصلت طائرتهما إلى مدينة الكاب حيث تحطمت هناك في ٢٠ مارس (أذار).

في عام ١٩٢٢م، استطاع البرتغاليان كونيهينو وكابرال اجتياز الأطلسي من لشبونة إلى ريودي جانيرو في مدة ٦٠ساعة و١٤دقيقة، وهي أول رحلة استخدم فيها جهاز قياس الارتفاع في الملاحة الجوية.



المكان الذي تحطم فيه منطاده أثناء عاصفة شديدة في ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٠٦م، وفي الوقت نفسه أصبح الدكتور كاتانكو الإيطالي بطل الطيران على طائرة لا محرك لها، فقد طار من فوق قمة جبل ارتفاعه ١١٥٠متراً، واستغرق طيرانه ١٦دقيقة، قطع فيها ١٢كيلو متراً، وكان لقب البطولة في حوزة الطيارين الفرنسيين فانتزعه منهم.

في ٢٩ نيسان ١٩٢٧م، صنع السيد بوني جول الأمريكي طائرة غريبة

قام طيارو فرقة الطيران الملكية الإنجليزية برحلة جوية كبيرة على أربع طائرات، وصلت يوم الأحد ٢٢ مايو (أيار) إلى مطار هليوبوليس في مصر عائدة من جنوب أفريقيا.

في ٣٠ يونيو (حزيران) ١٩٢٧م، قام الطياران الإنجليزيان: الملازم كار والملازم جيلمان بالطيران من لندن إلى الهند فقطعا مسافة أربعة آلاف ميل.

تواريخ أخرى متميزة

في ٢٨ يوليو (تموز) عام ١٩٢٨م، قام الطيار بيرو برحلة جوية من نيويورك إلى



أول طائرة دخلت شركة الخطوط السعودية، وكانت هدية من الملك عبد العزيز آل سعود، طيّب الله ثراه. (الطائرة طراز DC-3).

عام متميز في تاريخ الطيران

كان عام ١٩٢٧م عاماً مميزاً في تاريخ الطيران حيث تحققت فيه إنجازات كبيرة منها:

قيام كلارنس شامبرلين وتشارلز ليفن برحلتهما من شواطىء الأطلسي في الولايات المتحدة إلى مدينة ايسليبن في المانيا دون توقف قاطعين مسافة ٣٩٠٥ أميال في مدة ٤٤ساعة و٤٥ دقيقة، بطائرتهما ذات المحرك الواحد من نوع (بلانكا).

قيام ديو دوني كوستس وجوزيف لبريكس برحلة ناجحة من باريس إلى بوينس أيرس، وقد قطعا مسافة ١٢٤٠٠كم في ٧٢ساعة، وقد سميت طائرتهما باسم الطيارين الفرنسيين نونيجيسير وكولي اللذين اختفيا في محاولة سابقة لعبور الأطلسي في العام نفسه.

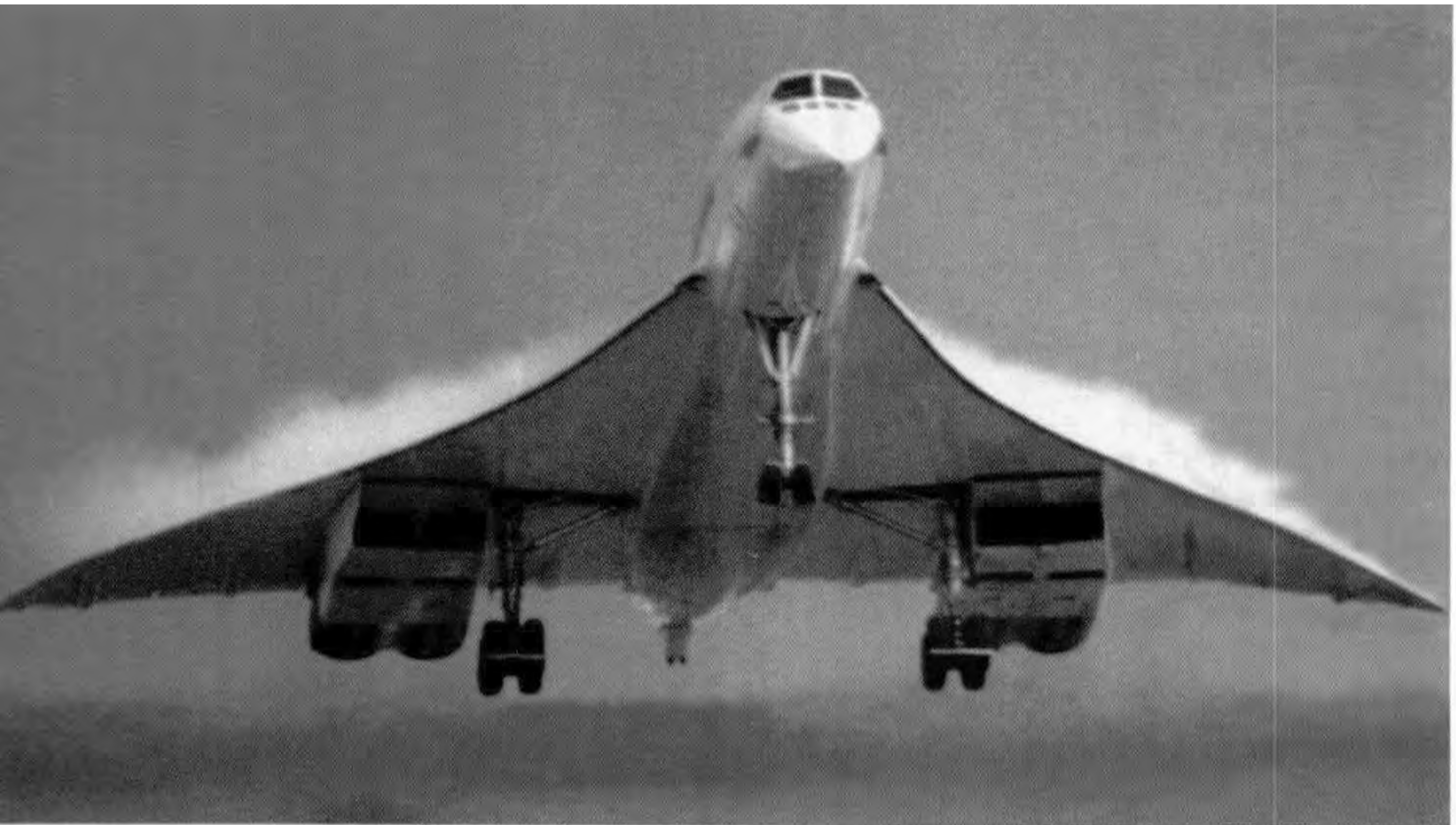
قيام شارلز لندنبرج بأول طيران منفرد عبر الأطلسي قطع فيه ٥٧٦٠ كيلو متراً في ٣٣ ساعة، ٢٩دقيقة و ٣٠ ثانية.

في ١٨ فبراير (شباط)١٩٢٧م، أقام الألمان نصباً تذكارياً للمهندس الألماني زبلن مخترع المناطيد في ديلر نشزدت، بالقرب من (كسلك)، في بشكل جديد، يرف جناحاها كأجنحة الطيور.. وقد أراد أن يستعيض عن قوة المحرك بحركة الجناحين مثل الطيور.

في ٢٧مايو (أيار) ١٩٢٧م، قام الطيار نوينجيسير بالإقلاع مع رفيقة كولي من باريس على متن طائرة تقصد نيويورك، وكانت سفرة خطرة ، وقد رسما جمجمة ونعشاً على الطائرة.. وشاع الخبر أنهما وصلا نيويورك، فأقيمت الزينات، وهتف الناس في الشوارع، ولكنهم ما لبثوا أن علموا بالحقيقة المرة، وهي أنهما لم يصلا إلى أمريكا ، بل بقيا في (النعش) الذي رسماه لنفسيهما بعد أن تحطمت طائرتهما.

باريس مجتازاً المحيط الأطلسي، كما اجتازه من قبل لندنبرج وتشمبرلين، وقد وصل إلى فرنسا، وحلق فوق ضواحي باريس دون أن يعلم أنه وصل آخر مرحلة من رحلته لأن البوصلة تعطلت معه، وأخيراً اضطر إلى النزول في البحر، ووصل إلى الشاطئ مع رفاقه في زورق إنقاذ.

في العام نفسه أسست عدة شركات كبرى للطيران منها شركة (بان أمريكان) وشركة (لوفتهانزا).. كما صنع الألمان أول طائرة (تاكسي) يمكن لكل إنسان أن يركب فيها ويذهب حيث يشاء، ويدفع الأجرة وفقاً لعداد



الطائرة «الكونكورد»، إنتاج فرنسي - بريطاني مشترك، فخامة عالية، وأداء جبار، لكنها فشلت تجاريًا.

المسافة، وكانت أجرة الكيلو متر الواحد ٣٥. ١ ماركًا، أما إذا كانت الرحلة طويلة، فإن المسافرين يدفعون نفقات الطيار ومبيته.

في عام ١٩٣٢م، قامت أول امرأة باجتياز المحيط الأطلسي وحدها وهي إميليا إيرهارت، وقد غادرت ميناء جريس في الأراضي الجديدة بطائرة لوكهيد (فيفا) وهبطت في كولمور في ايرلندا، واستغرقت رحلتها ١٣ ساعة و ٣٠ دقيقة قطعت خلالها ٢٠٢٦ ميلاً.

في عام ١٩٣٣م قام ويلي بوست بأول رحلة بمفرده حول العالم في أقل من ٨أيام، بدءًا من يوم ١٥ يوليو (تموز)، حيث استقل طائرته (ويني - بي) من طراز (لوكهيد - فيفا) قاطعًا مسافة ١٥٥٩٦ميلا في سبعة أيام و ١٨ ساعة و١٩ثانية ، وبذلك حطم رقمه القياسي الذي سجله في عام ١٩٣١م، حيث قام مع هارولد جاتي (ملاح) برحلة حول العالم استغرقت ٨ أيام و ١٥ ساعة و ٥١ دقيقة.

في عام ١٩٣٤م، تم إنتاج الطائرة (داكوتا) التي استخدمت في أغراض الحرب والسلم ، أعقبها - في سنوات الحرب العالمية الثانية - استخدام الطائرة ذات المحركات الأربعة.

في عام ١٩٤٦ تم إنجاز طائرة ركاب بأربعة محركات مكبسية في الولايات المتحدة الأمريكية، مما مكن من إنشاء خطوط طيران منتظمة عبر القارات والمحيطات (طائرة د.س.٤) تحمل ٤٢ مسافراً وسرعتها ٣٢٠ كيلو متراً في الساعة.

قي عام ١٩٤٧ تجاوز الأمريكي شارل بابر بالطائرة Bellx-T سرعة الصوت عند ١٦٠٩.٦ كيلو متراً في الساعة

في عام ١٩٥٢م كانت طائرة شركة دي هافيلاند (كوميت) أول طائرة ركاب تطير بسرعة ٧٢٠ كيلو مترًا في الساعة.

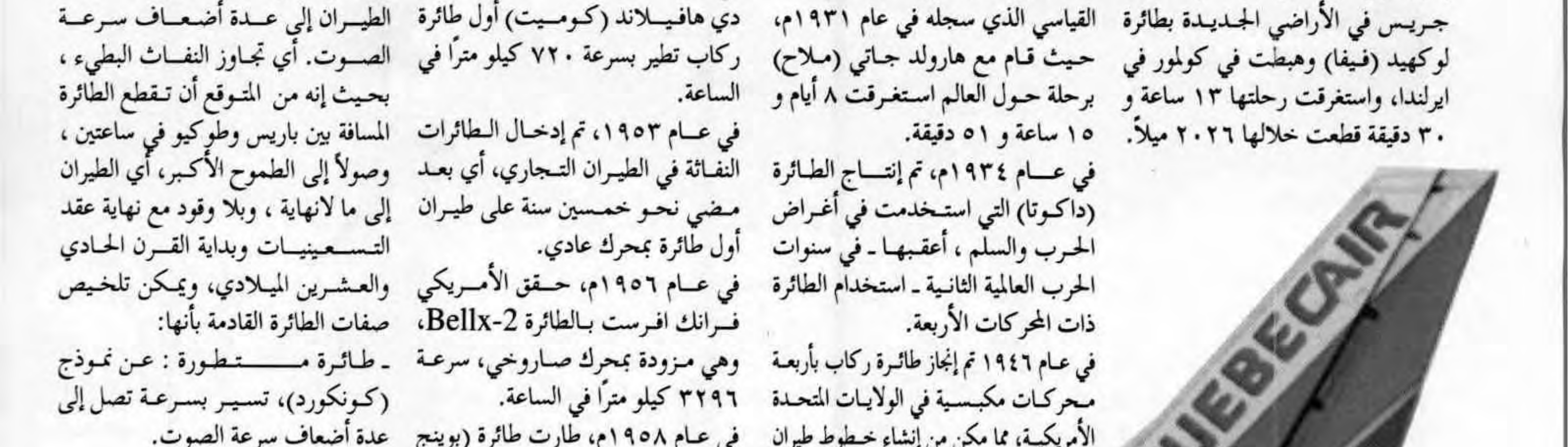
في عام ١٩٥٣، تم إدخال الطائرات النفاثة في الطيران التجاري، أي بعد مضي نحو خمسين سنة على طيران أول طائرة بمحرك عادي.

في عام ١٩٥٦م، حقق الأمريكي فرانك افرست بالطائرة Bellx-2، وهي مزودة بمحرك صاروخي، سرعة ٣٢٩٦ كيلو متراً في الساعة.

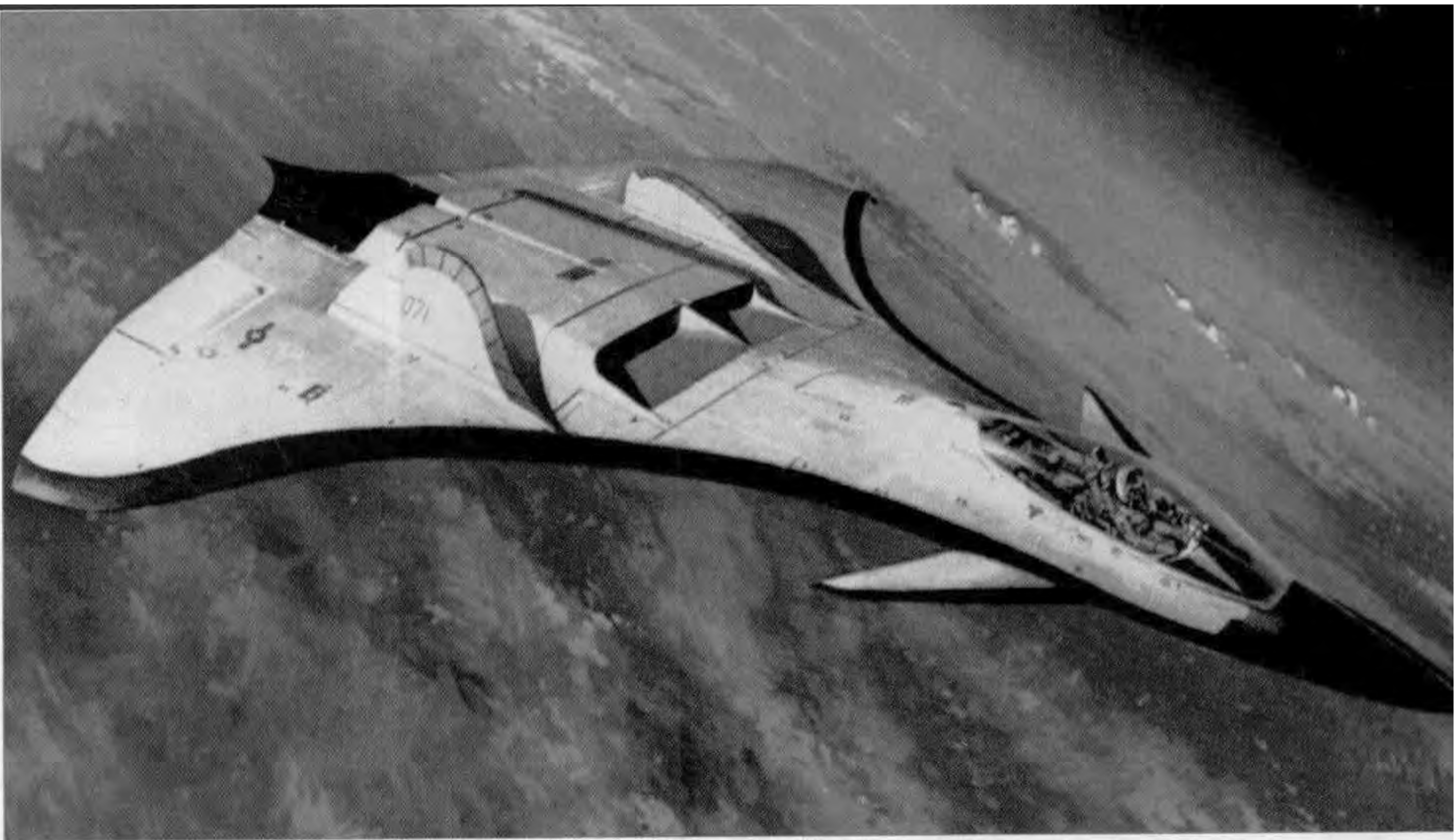
في عام ١٩٥٨م، طارت طائرة (بوينج ٧٠٧) وطائرة (D.C.8) بسرعة ٩٦٠ كيلو متراً في الساعة.

بعد ذلك طُورت الطائرات النفاثة وأصبحت أكبر حجمًاوأسرع طيرانًا وأكثر أمانًا، وتسابقت شركات الطيران - ولاتزال - لانتاج طرازات جديدة ومتطورة من الطائرات وزيادة سرعة الطيران إلى عدة أضعاف سرعة الصوت. أي تجاوز النفاث البطيء ، بحيث إنه من المتوقع أن تقطع الطائرة المسافة بين باريس وطوكيو في ساعتين ، وصولاً إلى الطموح الأكبر، أي الطيران إلى ما لانهاية ، وبلا وقود مع نهاية عقد التسعينيات وبداية القرن الحادي والعشرين الميلادي، ويمكن تلخيص صفات الطائرة القادمة بأنها:

- طائرة متطورة : عن نموذج (كونكورد)، تسير بسرعة تصل إلى عدة أضعاف سرعة الصوت.



طائرة من طراز DC-8 SRS63
تحمل محركًا من نوع JT3D.



طائرة القرن القادم، تبلغ سرعتها ٢٥ ضعف سرعة الصوت

- طائرة تقطع مسافات طويلة (نصف محيط الكرة الأرضية) دون توقف لإراحة المحركات أو التزود بالوقود.
- طائرة تستغني عن الوقود التقليدي، وتستخدم الهيدروجين السائل أو الغاز الطبيعي المسيل.
- طائرة تسير دون قائد، أي بوساطة الطيار الآلي (الروبوت).
- طائرة تطير دون ضجيج (محرك مكتوم).
- طائرة لا تخلف أي نوع من أنواع التلوث.
- طائرة عملاقة تجمع بين الجولة الكبيرة والسرعة التي تفوق سرعة الصوت عدة أضعاف.

رحلات حول العالم

شهد عام ١٩٨٦م تحقيق أول طيران حول العالم دون توقف بوساطة طائرة أطلق عليها اسم (فوياجير)، ولكن كانت هناك قبله وبعده محاولات أخرى للطيران حول العالم، منها نجاح صبي أمريكي في الحادية عشرة من عمره، في تحقيق دورة حول العالم قطع خلالها أكثر من ثلاثين ألف كيلو متر.

وفي العام نفسه حطم طيار عربي هذا الإنجاز، ودار بطائرته حول العالم في ١٤٦ ساعة و ٥٧ دقيقة، وهو الطيار الشيخ حمد بن علي بن جبر آل ثاني.

أما رحلة (فوياجر) فقد تحققت خلال ٢١٦ ساعة يقودها الطيار ديك روتان وزميلته الطيارة المساعدة جينا ياجير.

في عام ١٩٨٧ قام شابان يابانيان هما كاتو تاكاشي وميا زادا ماكوتو، برحلة في طائرة شراعية حول العالم استغرقت ٣٨ يومًا قطعا خلالها ٢٠ ألف كيلو متر.

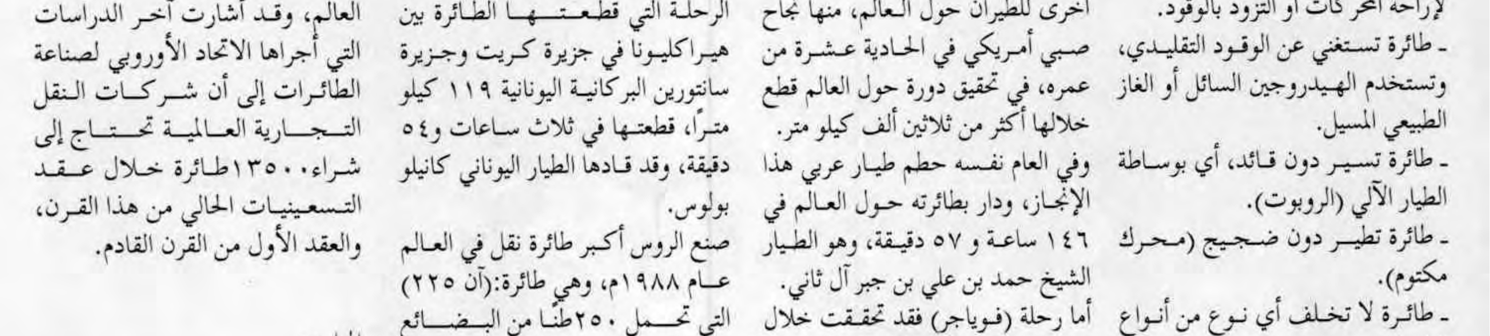
في العام نفسه حققت طائرة (ديدالوس ٨٨)، وهي أمريكية الصنع، ثلاثة أرقام قياسية عالمية للطيران الذي يعتمد على عضلات الإنسان وحده، وبلغ طول الرحلة التي قطعتها الطائرة بين هيراكليونا في جزيرة كريت وجزيرة سانتورين البركانية اليونانية ١١٩ كيلو مترًا، قطعتها في ثلاث ساعات و٥٤ دقيقة، وقد قادها الطيار اليوناني كانيلو بولوس.

صنع الروس أكبر طائرة نقل في العالم عام ١٩٨٨م، وهي طائرة:(آن ٢٢٥) التي تحمل ٢٥٠طنًا من البضائع والمعدات.

وتقول الأرقام التي نشرتها مؤخرًا منظمة (اياتا) إن عشر شركات عالمية عملاقة تستحوذ على ٨٠٪ من سوق السفر والنقل في العالم، حيث يطير يوميًا ثلاثة ملايين مسافر مستخدمين ثلاثة وثلاثين ألف مطار منها ٣٥٠ مطارًا في الوطن العربي .. وتمتلك واحدة من هذه الشركات ٦٠٠ طيارة تسيرها إلى مختلف أنحاء العالم، وقد أشارت آخر الدراسات التي أجراها الاتحاد الأوروبي لصناعة الطائرات إلى أن شركات النقل التجارية العالمية تحتاج إلى شراء١٣٥٠٠طائرة خلال عقد التسعينيات الحالي من هذا القرن، والعقد الأول من القرن القادم.

المراجع

1- FLIGHT, by: John W.R. Taylor, New- York, 1974.
2- Modern Commercial AIRCRAFT, by: William green & Others, Portland House, New York,1987.
3- Naval Aircraft, by: Louis S. Casey, london,1977.
4- The National Air & Space Museum, by: C.D.B. Bryan, New York.



أولادنا ...

وهذا النموذج القصصي التاريخي المضلل

محمد بسام ملص

إن المتمعّن في سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وحرصه على إيجاد جيل مؤمن قوي قادر على حماية هذا الدين الذي ارتضاه الله لعباده، يزداد يقينًا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان الأسوة الحسنة لهذه الأمة: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾(١). وانسجاما مع قول المصطفى: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(٢)، كان هو الراعي المسؤول عن رعيته، ومن بعده جاء الصحابة رضوان الله عليهم يرسخون دعائم هذا الدين وينشرون الإسلام منهاج حياة وعدلا ورحمة وخيرا للعالمين.

إذن هي التربية التي كانت دعامة قوية من دعائم بنيان هذه الأمة. واليوم تقف الأمة على منعطف خطير تواجه تحديات جساما، وهذا قدرها، وقدر كل مسلم مؤمن أن يعمل. فالأخطار جسيمة والتحديات عظيمة. فلا إيمان دون عمل، ولا إسلام دون حركة نشطة تبني وتحصّن البنيان وتبعد الأخطار.

لقد بدأ الاهتمام بنوعية ثقافة أبناء الأمة منذ عقود قليلة، وراح كثير من الكتاب يدلون بدلوهم، وقد أخذتهم أهواؤهم سُبلا تفرق ولا تجمع وتهدم بدل أن تبني. وكثرت الكتب وغيرها من أوعية المعرفة التي تضم ما نسميه اليوم بـ «أدب الأطفال». وتدفق التيار قويا نسبيا، ويزخر بنتاج الأقلام، دون اعتبار واضح لقيم هذه الأمة، وما يجب أن ينشأ عليه أبناؤها. لذلك كان لا بد أن تطفو على السطح أعمال تشكل خطرا كبيرا على أبنائنا، لأنها تتناول التاريخ الإسلامي من رؤية تتعامل مع هذا التاريخ على أنه (شيء من الماضي)، حكايات و«حواديت» تسلّي الأبناء، وربما وجدوا فيها شيئا من البطولات والقيم الإنسانية النبيلة، مثلما يجدون في أخبار العرب قبل الإسلام. أما أخطر هذه الأعمال التاريخية فهي التي تتناول التاريخ الإسلامي بافتراءات وأكاذيب.

تثبيط الهمم

ويبدو أن الأمة قد تنبهت، ولو مؤخرا، إلى خطورة ما يُكتب لأبنائنا عن تاريخهم، وأدركت ـ أيضا ـ أهمية أدب الطفل والفتيان في تربية النشء، فأخذت تظهر على صفحات دوريات عربية عامة ومتخصصة دراسات ومقالات تبين قيمة هذا الأدب ودوره في تربية أبناء الأمة. وإن كانت هذه الخطوات متواضعة، إلا أنها في المكان الصحيح بحمد الله. وهذه تحتاج إلى دعمٍ وتشجيع، لأن من يخطوها إنما يفعل هذا بدافع من الغيرة على هذه الأمة في إطار رسالة الجهاد. والجهاد لا يقتصر على استخدام القوة ومواجهة العدو فقط، بل يشمل أيضا مواجهة ما تتعرض له الأمة من اعتداءات فكرية غير مرئية خطرها أشد فتكا، لأنها تخبط الهمم، وتُشكِّل السلوك الذي يريد أعداء الأمة لها أن تسلكه وفق خططهم، ولا بد أن تكون عندنا خطط واضحة المعالم محددة الأهداف، لا ترمي فقط إلى مواجهة الغزو الفكري فتكون بذلك مجرد ردود فعل محدودة التأثير، بل تسعى أيضا إلى إيجاد أرض خصبة يتربى فيها النشء التربية الصالحة المرجوة.

رواية «عذراء قريش»

أتناول في هذه الدراسة جوانب من إحدى روايات جورجي زيدان التي كتبها ضمن سلسلة «روايات تاريخ الإسلام» وكانت موجهة أصلا للكبار، فقامت دار نَشْرٍ بتكليف مَن يُعدّ معظم «روايات تاريخ

الإسلام» للفتيان والفتيات. الرواية موضوع هذه الدراسة هي «عذراء قريش». وقد أراد مؤلفها جورجي زيدان أن يتناول مرحلة حرجة ودقيقة من مراحل التاريخ الإسلامي المبكرة. فهي مرحلة سبقت استشهاد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه وما تبع استشهاده من حوادث.

ولأن الرواية تقع ضمن الإطار التاريخي، فقد أوجد الكاتب خطا سرديا روائيا يسير جنباً إلى جنب مع الخط التاريخي، وأحيانا يتقابلان أو يتقاطعان. هذا الخط السردي اختاره الكاتب ليجعل الأحداث التاريخية تسير في قالب مشوق يقبل عليه القراء باهتمام. ومن هذا الخط الروائي ابتكر المؤلف شخصية خيالية أسماها «أسماء» ولقّبها بعذراء قريش فكان لقبها عنوان روايته.

يُدخل الكاتب هذه الشخصية الخيالية الروائية في الدائرة التاريخية، إذ يجعل شخصيتين تاريخيتين هما مروان بن الحكم ومحمد بن أبي بكر يتنافسان في حبها! ونلاحظ في هذا السياق الروائي التاريخي أن الكاتب يجعل أسماء تنفر من مروان بن الحكم، بل إنه يدفعها لتعمل ما في وسعها حتى لا تقترن به. في حين أنه ترك المجال لقلبها ليتعلق بمحمد بن أبي بكر، فينمو الحب بينهما، مع تدفق الأحداث التاريخية، كما أرادها المؤلف.

بعد التقديم أقف وقفات قصيرة مستعرضا ما قدّمه الكاتب، ومن بعده مُعدّ هذه الرواية عن اثنتين من الشخصيات التاريخية، كما أتناول جانبا من اتصال الشخصية الخيالية (أسماء) بالحوادث التاريخية.

معاوية بن أبي سفيان

أبدأ مع شخصية معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. ولمعاوية نصيب من المفتريات والأكاذيب في هذه الرواية. تظهر الرواية هدف معاوية نحو السلطة(٣)؛ لأنه من أهل الدنيا(٤)؛ وليس بصاحب دين ولا قرآن(٥). ويعرض الكاتب والمعد افتراء خطيرا على لسان معاوية نفسه مفاده أن «عليا قتل عثمان وآوى قتلته»(٦). وعندما تجرأت الشخصية الخيالية أسماء ودخلت المسجد لتخبر الناس أن عليا لم يقتل عثمان، يأمر معاوية حرّاسه بزجها في السجن(٧)، في مشهد لا يمت إلى الحقيقة التاريخية بأية صلة. ونسمع رئيسة راهبات دير، قضت فيه أسماء أياما(٨)، تقول عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ثم انتظم له الأمر في العراق وفي مصر واليمن والحرمين.. وفارس وخراسان.. وبايعه أهلوها، ولم يبق خارجا عنه إلا الشام وأميرها معاوية بن أبي سفيان»(٩).

مروان بن الحكم

أما الشخصية الأخرى التي تناولتها الرواية واتهمتها زورا وظلما فهي شخصية مروان بن الحكم. يرى القارئ الفتى مروان ابن الحكم للمرة الأولى عندما يقدمه الكاتب والمعد «فتى قويا، لم يتجاوز سن الشباب.. تلمس في مشيته زهوا.. وفي حركته خيلاء.. وتلحظ في حديثه غرورا وافتتانا»(١٠). وفي وقفة أخرى غير بعيدة من تلك يرى القارئ مروان في عيني أمّ أسماء. فأمُّ أسماء «كانت تلمس في مروان غروراً وصلفاً، وإعجاباً بنفسه وبحسبه ونسبه، واعتزازا بنفوذه»(١١). وتخبر أم أسماء ابنتها بأن مروان ظالم(١٢).

وينحرف معد الرواية، ومن قبله الكاتب، في تيار التهّم التي أُلصقت ظلما ببني أمية، فنراه يدّعي أن الكتاب المزعوم الذي اتُّهم فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه قد كتبه ليتخلص ممن وردت أسماؤهم فيه، إنما هو بتدبير من مروان بن الحكم. فمروان بن الحكم قد أغرى الخليفة ليكتب ذلك الكتاب(١٣).

وينتقل مُعدّ كتاب «عذراء قريش» إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يتحدث مع الخليفة عثمان بن عفان في محاولة ليبين بأن مروان هو أصل البلاء: «لقد وعدتهم ثم أخلفت.. ونحن لا نعد ذلك إخلافا منك.. ولكنك أصغيت إلى ابن عمك مروان، وهو غلام غرّ مفتون.. فقم إلى الناس وخاطبهم.. واعتذر لهم عما بدر من مروان»(١٤). ويزج المعد الشخصية الخيالية أسماء في هذا الموقف التاريخي المزيف لتدلي بدلوها وتعقب على ما قال علي رضي الله عنه: «صدق فيما قال عن مروان، فإنه أصل هذه الفتنة.. ومصدر هذا البلاء»(١٥). وتكبر الفرية ليتحول الكاتب والمعدّ من مروان بن الحكم إلى بني أمية. فقد أرادا أن يكون مروان بن الحكم مهتما بعشيرته من بني أمية، دون أن يكترث بمصلحة الأمة. يسمعه القارئ الفتى يخاطب زوجة الخليفة نائلة: «أما النصران فهما نصر الخليفة على أعدائه ومعارضيه.. ثم نصرنا بتثبيت بني عمومتنا في مناصبهم من الحكم»(١٦). ويؤكد الكاتب والمعد تعصبَ مروان لبني أمية عندما يدفعانه إلى قتل طلحة والزبير كذبا وزورا. فمروان كان يبغي القضاء على طلحة منافسه الخطير على الخلافة حتى لا

يبقى من يطلبها سوى بني أمية(١٧).

وفي فصل من الرواية أطلق عليه المُعد عنوان «أصل الفتنة»(١٨) يصرح المعد ومن قبله الكاتب على لسان أسماء - الشخصية الخيالية - أن أصل الفتنة هو مروان(١٩)، رغم أن الفصل يتناول محاولة اليهودي عبدالله بن سبأ بذر الخلاف وإشاعة الفتن في هذه الأمة(٢٠). فأسماء «مشفقة على أحوال المسلمين من غدر هذا الماكر اللئيم مروان بن الحكم»(٢١).

ويشتط المعد في اتهاماته لمروان زورا وكذبا، إذ نراه يلقي بأسماء لتشق صفوف المسلمين في بيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتصرخ محرّضة المسلمين على قتل مروان: «إذا شئتم يا قوم أن تُصلحوا وتجنبوا المسلمين المصائب والويلات فاقضوا على أصل الشر..اقتلوا مروان بن الحكم فإنه مصدرالفتنة وسبب البلاء.. اقتلوه يستقم الأمر لكم وللخليفة.. ولكافة المسلمين.. اقتلوه هو»(٢٢). وتفعل كلمات أسماء سحرها في نفوس الثائرين، إذ يقرأ الفتى عن أحد الثائرين يصيح عند دار الخليفة ذي النورين: «ادفعوا إلينا مروان بن الحكم نقتله وكفى»(٢٣).

شهادة التاريخ

أكتفي بعرض مفتريات وأباطيل في حق معاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم كما بيّنتْها رواية «عذراء قريش» لأقف وقفة قصيرة للرّد على تلك المفتريات.

رأينا كيف قدمت هذه الرواية المعدة للفتيان معاوية كرجل طامع في السلطة والملك وأنه من أهل الدنيا وليس بصاحب دين ولا قرآن! هذا ما قرأه أبناؤنا عن معاوية رضي الله عنه. فما شهادة التاريخ له؟

روى البخاري: «حدثني ابن أبي مليكة، قيل لابن عباس هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة، قال إنه فقيه»(٢٤). وهذا حكم ابن عباس رضي الله عنه على معاوية بن أبي سفيان. وابن عباس هو حبر الأمة وترجمان القرآن وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عم علي رضي الله عنه والقائم بنصرة علي في حياته وبعد وفاته(٢٥).

وروى الترمذي رحمه الله في سننه: «عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاوية: اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به»(٢٦). كما روى الترمذي: «لما عزلَ عمر بن الخطاب عمير بن سعد عن حمص ولّى معاوية، فقال الناس عزل عميرا وولى معاوية، فقال عمير: لا تذكروا معاوية إلا بخير، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم اهد به»(٢٧).

يذكر أن معاوية صحبَ النبي صلى الله عليه وسلم. وذكر ابن تيمية: «واستكتبه النبي صلى الله عليه وسلم لخبرته وأمانته ولا يعرف عنه وعن أخيه يزيد بن أبي سفيان أنهما آذيا النبي صلى الله عليه وسلم»(٢٨). وكان معاوية أحد الكُتّاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٩). وقد روى معاوية عن الرسول الكريم مائة وثلاثين حديثا اتفق البخاري ومسلم على أربعة منها، وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة(٣٠). وقد روى عنه عدد من الصحابة والتابعين مثل ابن عباس وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير رضي الله عنهم(٣١).

وعن عدله روى شيخ الإسلام ابن تيمية: «حدثنا أبو هريرة المكتب قال: كنا عند الأعمش فذكروا عمر بن عبدالعزيز وعدله فقال الأعمش: فكيف لو أدركتم معاوية؟ قالوا: في حلمه؟ قال: لا والله في عدله»(٣٢). وذكر ابن العربي: «وأما معاوية فعمر ولاّه، وجمع له الشامات كلها، وأقره عثمان. بل إنما ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لأنه ولى أخاه يزيد. واستخلفه يزيد، فأقره عمر لتعلقه بولاية أبي بكر لاجل استخلاف واليه له، فتعلق عثمان بعمر وأقره. فانظروا إلى هذه السلسلة ما أوثق عراها... ولن يأتي أحد مثلها أبدا بعدها»(٣٣).

أين الجوانب الخيِّرة المضيئة؟

تلك الجوانب الخيِّرة المضيئة في سيرة معاوية رضي الله عنه لم تظهر في رواية «عذراء قريش». وحرصا على بيان حقيقة ما جرى بين معاوية وأصحابه من جهة، وعلي وأصحابه من جهة أخرى، لا بد من الإشارة إلى أن معاوية وأصحابه لم يذكروا عليا في أمر عثمان إلا بسبب وجود قتلة عثمان مع علي(٣٤). فلم يكن معاوية يريد الحرب ولم يبتدئها. ولم يأت إليها إلا بعد أن خرج علي من الكوفة(٣٥).

والتزاما بالأمانة أشير إلى ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية «بأن عليا في صفّين كان مجتهدا مصيبا، وهو أولى بالحق، في حين أن معاوية كان مجتهدا مخطئا»(٣٦).ويضيف شيخ الإسلام قائلا: «أما تصويب القتال فليس هو قول أئمة السنة بل هم يقولون إن تركه كان أولى»(٣٧). ولأنه قتال فتنة، فلم يكن مستحبًا أو واجبا(٣٨). ويؤكد ابن تيمية على هذا فيقول: «وإن عليا مع كونه أولى بالحق من معاوية لو ترك القتال لكان أفضل

وأصلح وخيـرا»(٣٩). ومع ذلك «فلم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء بل كان من أشد الناس حرصا على أن لا يكون قتال»(٤٠).

لقد كان همُّ معاوية إقامة الحد على قتلة عثمان رضي الله عنه. وقال في هذا الشأن إلى رسل علي خلال وقعة صفين: «أرأيتم قتلة صاحبنا ألستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة»(٤١). ويعلق ابن العربي على طلب معاوية هذا فيقول: «وأما الصواب فيه فمع علي، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه، بل يطلب الحق عنده، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر، فكم من حق يحكم الله فيه. وإن لم يكن له دين فحينئذ يخرج عليه، فيقوم له عذر في الدنيا»(٤٢).

وكان علي معذورا في عدم قتل قتلة عثمان(٤٣). وكان يعلم بوجودهم في معسكره(٤٤). وقد امتنع علي رضي الله عنه من قتلهم اجتهادا؛ «لأن الأمر عظيم. وقد تفرقوا مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بعسكره مما يؤدي إلى الاضطراب»(٤٥). وما كان علي رضي الله عنه محابيا للقتلة وهو الذي لعنهم إذ قال: «اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم»(٤٦).

تشويه التابعين والإساءة إليهم

ما شهادة التاريخ لمروان؟ «مروان بن الحكم هو من كبار التابعين»(٤٧). وهو رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين. «أما فقهاء الأمصار فعلى تعظيمه»(٤٨). «وقد روى عن عمر وعثمان وزيد بن ثابت وبسرة بنت صفوان»(٤٩)، «كما روى عن علي»(٥٠). وكان يعد في الفقهاء(٥١). وقال عروة بن الزبير: «كان مروان لا يُتَّهم في الحديث»(٥٢). وقال حنبل عن الإمام أحمد: «قال: يقال كان عند مروان قضاء. وكان يتتبع قضايا عمر بن الخطاب»(٥٣). «وكان يتفقه في الدين»(٥٤).

«كان مروان من سادات قريش وفضلائها، فكان عثمان رضي الله عنه على تكريمه وتعظيمه»(٥٥). «وكان علي رضي الله عنه يكثر السؤال عنه يوم الجمل، فقيل له في ذلك فقال إنه يعطفني عليه رحم ماسة، وهو سيد شباب قريش»(٥٦). «وقد استكتب معاوية مروان على المدينة أكثر من مرة يعزله ثم يعيده إليها. وأقام للناس الحج في سنين متعددة»(٥٧). وكان مروان في ولايته على المدينة «يجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستشيرهم ويعمل بما يجمعون له عليه»(٥٨).

وتابعيٌّ هذه صفاته ونماذج من سلوكه لا يمكن أن يكون بتلك الصورة المشوهة التي قدمتها له رواية «عذراء قريش».

لقد زعم كاتب الرواية ومعدّها أن مروان هو كاتب الكتاب المزعوم الذي فيه أمر من الخليفة عثمان رضي الله عنه بقتل من وردت أسماؤهم فيه. «لقد كان مروان كاتبا لعثمان»(٥٩). وكان يعرف المراسلات التي تتم بين الخليفة وولاته. «وقد استأذن عامل الخليفة على مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح الخليفة عثمان في القدوم إليه»(٦٠). فلا يمكن للخليفة ولمروان أن يكتبا إلى عبد الله بن سعد وهما يعرفان حق المعرفة أنه قادم إلى المدينة.

«لقد اضطربت روايات الكتاب المزعوم»(٦١). وهذا الاضطراب يؤكد المكيدة المدبرة ضد الخليفة ومروان بن الحكم، «وأن هذا الكتاب كتاب مفتعل يزيد الريبة في أمره اختلاف رواياته واضطرابها»(٦٢).

وقد تجرأ أصحاب الفتنة على الخليفة عثمان وكذبوا على عليٍّ وزوّروا كتابا باسمه. بل إنهم قاموا بكتابة كتب مزورة إلى الوفود على اعتبار أنها من طلحة والزبير. ووصل بهم الأمر أن زوّروا كتابا باسم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها»(٦٣).

يقول ابن تيمية: «وقد حلف عثمان أنه لم يكتب شيئا من ذلك وهو الصادق البار بلا يمين، وغاية ما قيل أن مروان كتب بغير علمه وأنهم طلبوا أن يسلم إليهم مروان ليقتلوه فامتنع، فإن كان قتل مروان لا يجوز فقد فعل الواجب، وإن كان يجوز ولا يجب فقد فعل الجائز، وإن كان قتله واجبا فذا من موارد الاجتهاد فإنه لم يثبت لمروان ذنب يوجب قتله شرعا... وأما الذين طلبوا قتل مروان فقوم خوارج مفسدون في الأرض ليس لهم قتل أحد ولا إقامة حد»(٦٤).

أما اتهام مروان بن الحكم بأنه قتل طلحة رضي الله عنه فهذا خبر لقيط لا يُعرف أبوه ولا صاحبه. وما دام لم ينقله ثبت بسند معروف من رجال ثقات فإن لابن العربي أن يقول بأمانة: «ومن يعلم هذا إلا علاّم الغيوب؟!»(٦٥) وقد روى الطبري رحمه الله: «وجاء طلحة سهم غرب»(٦٦) (لا يعرف راميه، طائش).

لا بد من الإشارة في هذا الصدد إلى

الحملة الضارية التي شُنت على الأمويين ودونتها «أقلام كانت تحمل شيئا من الأحقاد والضغائن ضدهم، فما رعت الحقيقة وحدها حق رعايتها، ولا سعت لأن تلتزم قدرا طيبا من الموضوعية، واندفعت لا تلوي على شيء في كيل الاتهامات وقذف الشتائم - حتى - بوجه بني أمية ومؤيديهم»(٦٧). وقد تم ذلك إبان العصرالعباسي. وكان من نتيجة هذا أن تلقّى الحاقدون على الإسلام في عصرنا الحديث هذه الأكاذيب والافتراءات وراحوا يبثونها في كتابات، منها رواية «عذراء قريش» الأصلية والمُعَدَّة.

ربط ذكي، وإيحاء خبيث

وينبغي عليّ أن أنبّه القارئ الفاضل إلى أمر، من جملة أمور كثيرة وردت في الرواية، فقد ربط الكاتب جورجي زيدان بين اتصال أسماء، بطلة روايته الخيالية، ووقعتي الجمل وصفين. وهو ربط ذكي لكنه خبيث هدفه إيجاد موازنة غير معلنة بين أوضاع النصاري وأوضاع المسلمين. فنحن نرى أن الكاتب قد أصر على أن تلجأ بطلة روايته إلى دير. وقد أراد الكاتب أن يكون هذا الدير قريبا من المكان الذي جرت فيه وقعة الجمل(٦٨). ولم يفت الكاتب والمعد هنا أن يشيرا إلى الهدوء والسلام والسكينة التي ترفرف على الدير، مقارنة مع خوف واضطراب المسلمين في ساحة القتال(٦٩).

وفي دمشق تلجأ أسماء إلى كنيسة، حيث السكينة والهدوء. ومن غرفة الكنيسة تطل أسماء لترى معاوية بن أبي سفيان في مسجد يتهم عليا بقتل عثمان(٧٠). ولا نقدر أن نعتبر أن هذا كله جاء أمرا عفويا، بل هو مقصود ليتمكن القارئ الفتى من الموازنة التي أرادها الكاتب والمعد بين أجواء الكنيسة وأجواء المسجد خلال ذلك الموقف!

ولا بد أن أذكر هنا أن أسماء كانت تعلّق في صدرها حجابا من الحجب التي اعتاد النصارى تعليقها في صدورهم (٧١). ويؤكد الكاتب والمعدّ أن أسماء مسلمة (٧٢). ولكن اتصال أمها بالكنيسة يثير أمر كون أمها نصرانية. وهذا غموض لم يقدر معد الكتاب أن يزيله. فأم أسماء في الرواية الأصلية رومية وقعت في أسر المسلمين أثناء غزو الشام (٧٣). وفي الرواية الأصلية نرى أسماء تعلق في عنقها حجابا يستخدمه النصارى وعلى يدها وشم صليب يعلن عن انتمائها الديني(٧٤).

وقد ذكرتُ ذاك الامر لأهميته في الرواية المعدة. إذ لم يستطع المعدّ أن يجعل أسماء ملتزمة بالإسلام. وخير دليل على هذا النهاية التي آلت إليها أسماء. فلو كانت أسماء مسلمة تحتسب حياتها عند الله ما انتحرت في نهاية الرواية(٧٥). لأن انتحارها يلغي إسلامها وهي التي رأت أن تكرس حياتها فداء للإسلام ولرجل الأمة علي(٧٦)!

هكذا تفضح الرواية ما يبيّت الأعداء لهذه الأمة على الصعيد الفكري. وهو هجوم أشد فتكا وأكثر تأثيرا من الرصاصة لأنه يحيل أبناء الأمة إلى مخلوقات «مروّضة» تتخلى عن تاريخها باعتباره تاريخا مخضبا بالدماء والقتل والمؤامرات والأطماع. وإذا ما تخلّت هذه الأمة عن تاريخها، تخلت عن وجودها ومستقبلها. فتاريخها لم ولن يكون بعون الله حوادث من الماضي البعيد، ولن نتعامل مع أجزاء منه بحنين وعاطفة جامحة باعتبار أنه من التراث الذي لا يمكن للحياة المعاصرة أن تعيش معه.

مصادر ومراجع لا يعتمد عليها

يتوجب ذكر بعض المصادر والمراجع التي اعتمد عليها جورجي زيدان في روايته عذراء قريش وفي روايات أخرى. فقد استند زيدان في روايته إلى «مروج الذهب ومعادن الجوهر» و«الأغاني» و«العقد الفريد»(٧٧)، وهذه مصادر لا يمكن الاعتماد عليها عند كتابة التاريخ الإسلامي دون تثبت، ومن غير الممكن الاطمئنان إلى كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر»؛ لأن مؤلفه المسعودي مبتدع محتال عند ابن العربي(٧٨). والشيعة يعدونه من شيوخهم وكبارهم، فله مؤلفات في الوصاية وعصمة الإمام تكشف عصبيته وبعده من سبيل السنة المحمدية(٧٩).

ومن مراجع زيدان المهمة والخطيرة كتاب المستشرق رينهارت دوزي «تاريخ مسلمي إسبانيا»(٨٠). ومما جاء في هذا المرجع أن الحكم في حقيقة الأمر كان بيد مروان بن الحكم إبّان خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه(٨١). كذلك ذكر أن الصحابة: عليا والزبير وطلحة رضي الله عنهم كانوا منافسين لعثمان بن عفان، أخذوا ينشرون الذهب ذات اليمين والشمال بغية إثارة الجميع(٨٢). وذكر معاوية على أنه رجل طامح للحكم حريص على أن يبقى واليا على الشام وليس بصاحب دين ولا قرآن(٨٣).

وهذه المفتريات التي ساقها المسعودي ودوزي قد وردت في رواية زيدان. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

التصدي لهذا التيار المضلل

إذا كان كاتب «عذراء قريش» قد ظن أنه بتصديه لكتابة التاريخ الإسلامي ضمن إطار روائي يدفع أجيالا عديدة للاطلاع على التاريخ الإسلامي، وإذا كان معد «عذراء قريش» قد حاول أن يبسط «أمام فتيان العرب وفتياتهم صفحات مجهولة ومؤثرة من تاريخهم وأمجادهم»(٨٤)، فلا بد من وقفة حازمة في وجه هذا التيار الفكري المضلل.

وقد آن الأوان لتخطو المؤسسات العلمية الأكاديمية ذات المستوى الرفيع القادرة على تبني مشاريع ثقافية لأبناء الأمة. وحان الوقت، في هذه المرحلة التاريخية الحاسمة، لتحذو مؤسسات علمية مميزة في أرجاء ديار الإسلام حذو مؤسسة علمية رفيعة المستوى هي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، التي قامت بتكوين «لجنة لدراسة موضوع ثقافة الطفل المسلم بوجه عام وذلك من أجل إعطاء مزيد من العمل الجاد والمدروس حول معالجته»(٨٥). وجاءت هذه اللجنة تحت اسم «اللجنة العلمية لثقافة الطفل المسلم»(٨٦). وقامت الجامعة أيضا بإصدار «قصص إسلامية هادفة تربي الطفل على محبة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم. وتزرع فيه الأخلاق الإسلامية الفاضلة وتدربه وترشده إلى ممارسة العبادات، ومعرفة ما يجب لله سبحانه وتعالى وما يجب للمخلوقين»(٨٧). وقد «لقيت هذه الإصدارات ـ والحمد لله ـ تجاوبا كبيرا في الداخل والخارج، وأخذت مكانا بارزا في مكتبات الأطفال والمكتبات العامة والخاصة، نظرا لما تتميز به من غيرها من الكتب والقصص الموجودة في الساحة»(٨٨).

لقد رأيت ضرورة الإشارة إلى جهود جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من باب الأمانة العلمية وذكر جهود صادقة غيورة على هذه الأمة وثقافة أبنائها. فهي إسهامات متميزة تعتبر متفردة في مجال عطائها باعتبارها ثمار مؤسسة علمية ذات مستوى علمي رصين.

الله نسأل أن يهدينا سبل الرشاد ويجعل عملي هذا من باب العلم الذي ينتفع به. وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

الهوامش

١- سورة الأحزاب ـ ٢١.
٢ - البخاري، صحيح البخاري. - القاهرة: مطابع الشعب، ١٩٥٨م، كتاب الجمعة: باب الجمعة في القرى والمدن، جـ ٢.
٣ - جورجي زيدان، عذراء قريش. إعداد محمود سالم - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٨م. - روايات تاريخ الإسلام للفتيان والفتيات، ٦.
٤-٢٣ - المرجع نفسه.
٢٤ - صحيح البخاري باب فضائل أصحاب النبي، باب ذكر معاوية، جـ٥. وانظرالذهبي: سير أعلام النبلاء. تحقيق شعيب الأرناؤط، وآخرين - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م، جـ ٣.
٢٥ - ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة. ويليه كتاب تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان. - طبعة مزيدة ومحققة، القاهرة، مكتبة القاهرة، ١٩٦٥م.
٢٦ - الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، الترمذي، تحقيق وشرح أحمد شاكر، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م. كتاب المناقب مناقب معاوية جـ٥، وانظر النووي: تهذيب الأسماء واللغات. - القاهرة: إدارة المطبعة المنيرية، م١ جـ٢، وسير أعلام النبلاء جـ ٣.
٢٧ - المصدران السابقان.
٢٨ - ابن تيمية: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية، (١٩٠٤) (طبعة مصورة)، جـ ٢.
٢٩ - تهذيب الأسماء، وانظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ. - بيروت: دار صادر، ١٩٨٢م، جـ٣، ص ٤٣٣.
٣٠-٣١ - تهذيب الأسماء، وانظر ابن سعد: الطبقات الكبرى. - بيروت: دار صادر، جـ٧، وانظر سير أعلام النبلاء، جـ ٣.
٣٢ - منهاج السنة، جـ ٣.
٣٣ - ابن العربي: العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. تحقيق محب الدين الخطيب، ط ٤، القاهرة، المطبعة السلفية، (١٩٧٦م). ص٨٠ ـ ٨١
٣٤-٤٠ - المصدر نفسه، وانظر منهاج السنة جـ ٢.
٤١ - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، بيروت: دارالقلم، (طبعة مصورة) م ٣، جـ ٦، ص٣.
٤٢ - العوصم من القواصم، مصدر سابق، ص١٦٤
٤٣ - منهاج السنة، جـ ٢، مصدر سابق، ص٢٠٩
٤٤ - تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ص٣٢، جـ٦، ص٢٨
٤٥ - الصواعق المحرقة، مصدر سابق، ص٢١٦
٤٦ - تاريخ الأمم والملوك، وانظر ابن كثير: البداية والنهاية. - بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م م ٤، جـ ٧، ص٢٥٣
٤٧ - سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٣،ص٤٧٦
٤٨ - العواصم من القواصم، مصدر سابق، ص٨٨ ـ ٩٠
٤٩ - الطبقات الكبرى، مصدر سابق، وانظر البخاري: كتاب التاريخ الكبير، بيروت، دار الكتب العلمية، جـ ٧، ص٣٦٨
٥٠، ٥١ - ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، بغداد، مكتبة المثنى، (طبعة مصورة) جـ ٣، ص ٤٧٧، وانظر البداية والنهاية م ٤، جـ٨، ٢٦٠.
٥٢ - كتاب التاريخ الكبير، مصدر سابق، ٣٦٨/٧
٥٣ - البداية والنهاية م ٤، مصدر سابق، جـ ٨./٢٦٠
٥٤ - منهاج السنة، مصدر سابق، جـ ٣./١٩٧
٥٥-٥٧ - البداية والنهاية، مصدر سابق، ٨/٢٦٠
٥٨-٥٩ -الطبقات الكبرى وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ ٣./٤٧٧
٦٠، ٦١ - تاريخ الأمم والملوك مصدر سابق، وانظر ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق سكينة الشهابي، عثمان بن عفان، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٤م،٣٢٧ والكامل في التاريخ جـ ٣./١٦٨
٦٢ - العواصم من القواصم، مصدر سابق، وانظر مزيدا من التفصيل عن الكتاب المزعوم: عثمان بن عفان في أدب الأطفال، محمد بسام ملص، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر، ١٩٨٨م، اللجنة العلمية لثقافة الطفل المسلم، ص ٥٦-٦٢.
٦٣ - البداية والنهاية م ٤، جـ ٧ مصدر سابق، ص١٨١ ـ ١٨٢
٦٤ - منهاج السنة جـ ٣، مصدر سابق، ص١٨٨، ١٨٩
٦٥ - العواصم من القواصم، مصدر سابق، ص١٥٧، ١٥٨
٦٦ - تاريخ الأمم والملوك، ٢٠٣/٥ والكامل في التاريخ، مصدران سابقان. ص٢٤٣/٣
٦٧ - عماد الدين خليل: حول القيادة والسلطة في التاريخ الإسلامي، القاهرة، مكتبة النور، ١٩٨٥م. ص٤٨
٦٨- ٧٢ - عذراء قريش، مصدر سابق. ص١٠٨ ـ ١٠٩
٧٣، ٧٤ - جورجي زيدان، عذراء قريش تقديم ودراسة فاروق خورشيد، القاهرة، دار الهلال ١٩٨٣م، ص٧٣
٧٥، ٧٦ - عذراء قريش، مصدر سابق. ص١٥٢
٧٧ - جورجي زيدان، عذراء قريش، بيروت، دار مكتبة الحياة، ص ١٩١.
٧٨، ٧٩ - العواصم من القواصم مصدر سابق. ص٢٤٩
٨٠ - أشار زيدان إلى هذا المرجع في روايته «فتح الأندلس» في أربعة مواضع، انظر جورجي زيدان: فتح الأندلس أو طارق بن زياد، بيروت، دار مكتبة الحياة، روايات تاريخ الإسلام ص ١٠٥ و١١٩ و١٣٩ و٢٣٧.
٨١-٨٣ - دوزي، رينهارت، تاريخ مسلمي اسبانيا. الحروب الأهلية. ترجمة حسن حبشي - القاهرة، دار المعارف، (مقدمة ١٩٦٣) ص ٣٨.
٨٤ - عذراء قريش، صفحة الغلاف الأخيرة.
٨٥، ٨٨ - عثمان بن عفان في أدب الأطفال، مرجع سابق، ص٥

دور المواطن في الوقاية من الجريمة والانحراف

ان التحولات الاقتصادية والتغيرات الاجتماعية والثقافية والحروب الأهلية والصراعات الاقليمية والكوارث الطبيعية التي يتعرض لها الوطن العربي أصبحت تشكل عوامل ضغط على الإنسان العربي أنى وجد وحيثما رحل، بحيث أخذت معدلات الجريمة والانحراف ترتفع سنة بعد أخرى، كما أخذت تتفاقم تفاقمًا أكثر خطورة، تَمثَّل في تعدد أشكال الجرائم والانحرافات، وظهر الاتجاه نحو الجرائم المنتظمة، وتزايد الإقبال على العنف وأنماط السلوك المنحرف المضاد للمجتمع، وانتشرت جرائم صغار السن وازدادت بشاعة وعنفًا.

وإذا كانت تلك المعدلات في مرحلة يمكن القول معها إنه بالإمكان محاصرتها والحد منها، بحشد جهود وأنشطة الجهات والهيئات المعنية الرسمية وغير الرسمية كافة، إلا أن تلك الجهود وحدها تبقى مقصرة عن تحقيق الهدف.

وإذا كان الاستيعاب العلمي السليم للقضايا الكبرى للمجتمعات الإنسانية - كقضية التنمية مثلاً - لابد أن يأخذ بمبدأ مسؤولية المواطن ومشاركته الفعالة في عملية التنمية باعتبار أنها تهدف إلى تحقيق غايات اجتماعية واقتصادية وثقافية، من شأنها خدمة المواطن والارتقاء بإمكاناته وقدراته نوعًا وكمًا. وإذا كان تطور الشعوب وتقدمها لا يتم إلا بالعمل الدؤوب الذي يرافقه الأمن والاستقرار، فإن قضية الأمن ومكافحة الجريمة والانحراف والوقاية منهما لا تتم لمصلحة المواطن فقط، بل لابد أن تتم من خلاله أيضًا.

إن التوجه الجديد في ميدان منع الجريمة والوقاية منها قد كشف أهمية الدور الذي يمكن أن يؤديه المجتمع المحلي في هذا المجال، وبالتالي أهمية الدور الذي يناط بالمواطن كفرد أيا كان مقامه أو مهنته أو موضعه أو جنسه. وإذا كان العالم اليوم يرى في هذا الأمر توجهًا جديدًا وفعالاً في مجال الوقاية من الجريمة - وإن كنا نحن بوصفنا عربًا نبحث معه أيضًا في دعم أسس هذا التوجه وسبله - فإنه لابد من القول إن تراثنا الثقافي والاجتماعي قد عاش ذلك ووعاه منذ قرون عديدة. وما علينا اليوم إلا أن نعمل في سبيل استعادة الدور الذي كان يؤديه - بنجاح وفعالية وإنسانية أيضًا - المواطنُ العربي في منع الجريمة والوقاية منها في ضوء معطيات حياتنا المعاصرة ومتطلباتها الراهنة.

ونحن على أعتاب عام جديد، نؤكد على حقيقة ثابتة أن وعي المواطن العربي وقيامه بدوره في هذا المجال، يرتبط مباشرة بإحساسه بالمسؤولية والأهمية في المجتمع الذي ينتمي إليه، وبقدر ما يكون التصاق المواطن وارتباطه العضوي بحياة مجتمعه محكمًا، يكون معنيًا بأمن مجتمعه وعاملاً على سلامته واستقراره وتطوره.

د. تماضر حسون

الحُمّى بين الطبّ والأدب

د. خليل محمد تبان مشوّح

إن الحمّى - نفسها - ليست مرضاً، ولكنها تظاهرة مرضية بارزة تدل على حدوث خللٍ ما في الجسم البشري، وتعد إشارة حساسة وملموسة على حدوث الإصابة المرضية. والحمى أو ارتفاع حرارة الجسم لا تتأثر بالظروف والمنبهات الخارجية مثلما يتأثر النبض والتوتر الشرياني، لذا فإن قياسها وحساب معدلاتها يساعدان على تقدير خطورة المرض ومعرفة تطوره، ومن ثمّ التنبؤ بمدته وطرق معالجته.

الحمى في التراث الطبي الإسلامي

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لما قدم(١) النبي عليه الصلاة والسلام المدينة وعكَ أبو بكر وبلال، فدخلتُ عليهما فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ وكان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئٍ مُصبّح في أهله
والموتُ أدنى من شراك نعله

وكان بلال - رضي الله عنه - إذا أقلعتَ عنه الحمى يرفع عقيرته (صوته) ثم يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً
بواد، وحولي إذخر وجليل (٢)؟
وهل أرِدَنْ يوماً مياه مَجنّة (٣)
وهل يَبْدُوَن لي شامة وطَفيل (٤)

قالت: فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: «اللهمّ حبّب إلينا المدينة كحبّنا مكة، أو أشدّ، اللهم وَصَحّحها وبارك لنا في مُدّها وصاعها، وانقل حمّاها واجعلها بالجحفة»(٥)(٦).

وقد ورد عن رسول الله أنه دخل على أمّ السائب (أو أمّ المسيب) فقال: «مالك يا أمّ السائب (أو يا أمّ المسيب) تُزَفزفين؟ (تُرعدين) قالت: الحمى. لا بارك الله فيها، فقال: لا تسبي الحمى، فإنها تُذهب خطايا بني آدم كما يُذهب الكير خبث الحديد»(٧). وقد شبهها الرسول صلى الله عليه وسلم هنا بنار الكير التي تصفّي جوهر الحديد، أي إنها تكفر الذنوب والآثام.

وذكر ابن قيّم الجوزية وهو محموم هذين البيتين، وهما لأحد الشعراء:

زارت مكفّرة الذنوب وودّعت
تبّاً لها من زائرٍ ومودّع
قالت وقد عزمت على ترحالها
ماذا تريد فقلت ألا ترجعي

فقال: تبًا له؛ إذ سبّ ما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبّه ولو قال:

زارت مكفرّة الذنوب لصَبّها
أهلاً بها من زائر ومودّع
قالت وقد عزمت على ترحالها
ماذا تريد فقلت ألا تُقلعي

لكان أفضل.

وقد وصف العماد الكاتب الحرارة التي كانت تنتابه نهاراً فقال:

وزائرةٍ وليس بها حياء
فليس تزور إلا في النّهار
أتت والقلب في وهج اشتياق
ليظهر ما أواري من أُواري
ولو عَرفتْ لظى سطوات عزمي
لكانت من سَطاي على حذار
تقيم فحين تبصر من أناتي
ثبات الطّود تسرع في الفرار
أيا شمس الملوك بقيت شمساً
تنير على المَمالك والدّيار
أحُمَّاك استعارت لفح نارٍ
لعزمك لم تزل ذات استعار

وترافق الحمى أَعراض مزعجة كالصداع والآلام المفصلية. والنوافض تمنع المريض لذيذ العيش، قال الشاعر يصف الحمى:

وزائرة تزور بلا رقيب
وتنزل بالفتى من غير حُبّهْ
وما أحد يحبّ القرب منها
ولا تحلو زيارتها لقلبه
تبيت بباطن الأحشاء منه
فيطلب بُعدها من عظم كَربه

وتمنعـه لـذيذ العـيش حـتى
تنغّـصه بمأكله وشـربه
أتت لـزيارتي مـن غـير وعـد
وكم مـن زائرٍ لا مـرحـبًا بـه

ومن الحمى ما ينتاب المريض ليلاً فتوقظه من نومه، وتحرمه دفء الفراش، ولـذيذ النوم، ولكنها تزول نهاراً، وهذا ما حدث للمتنبي إذ كانت تصيبه ليلاً، وعندما يطلع النهار، وتريد مفارقته تبكي مدامعها سجاماً دلالة على ما تحدثه من التعرُّق الشديد عندما تفارقه، وهو ما يسمى بالبُحران، وأغلب الظن أنه كان مصاباً بالبُرداء، قال المتنبي:

وزائرتي كـأنّ بهـا حـيـاءً
فليـس تزور إلاّ في الظلام
بَذلتُ لهـا المطارف والحشـايا
فعافتهـا وباتت في عظامي
يضيق الجلد عن نفسي وعنها
فتوسعه بأنواع السّقام
كـأنّ الصبح يطردها فتجري
مدامعها بأربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوقٍ
مراقبة المشوق المستهام
ويصدق وعدها والصدق شرٌّ
إذا ألقاكَ في الكرب العظام

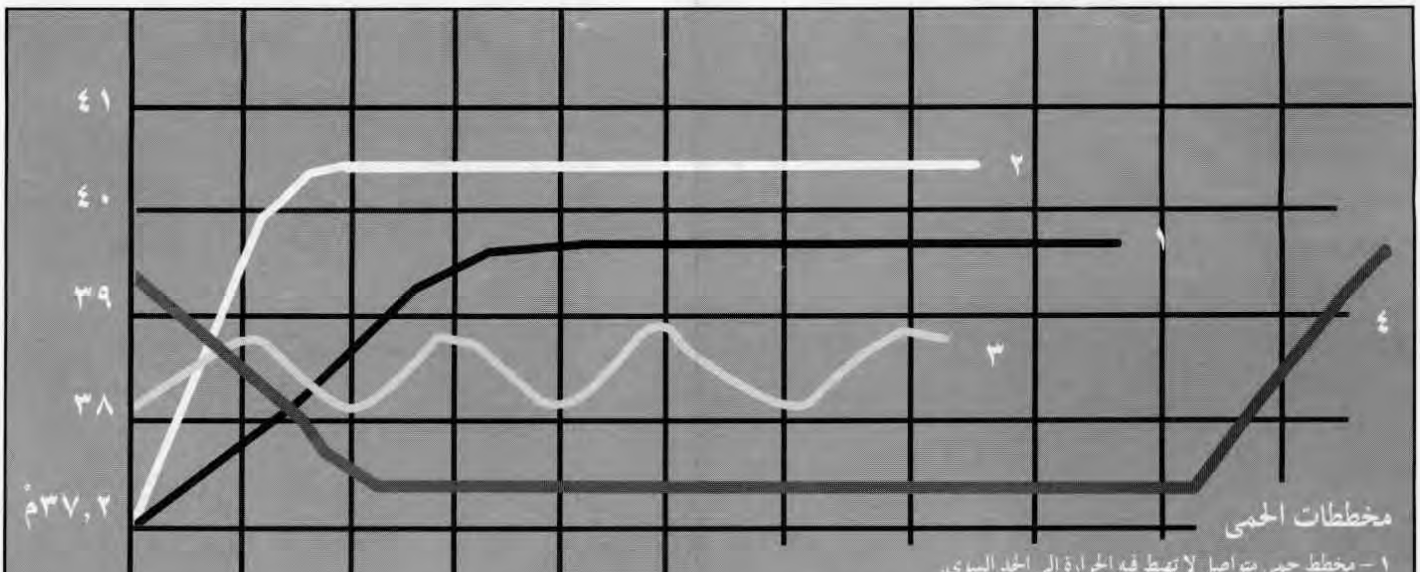
تعدّ الحمى من أبرز مظاهر المرض، وهي تمثل تفاعل الجسم ضد أذيّة ما، كغزوه بالجراثيم أو الحُمَّات الراشحة أو الطفيليات، وربما تنشأ من تفاعلات وعوامل حشوية داخلية، وتُشابه الحمى ما يحدث للجسم عند غزوه بالجراثيم من ارتفاع عدد كريات الدم البيضاء، أو ارتفاع سرعة تنقل كريات الدم الحمراء، فهي إذن تساعد على كبح جماح المرض وتعين الجسم على مقاومته ودفع أذاه.

الحرارة السوية للجسم

تبقى حرارة الجسم في حالة الصحة ثابتةً ضمن حدود ضيقة، رغم تغير حرارة البيئة، والنشاط الفيزيائي، وتبلغ الحرارة السّوية للإنسان (٣٧,٢) درجة مئوية، ومن الأسلم اعتبار كلّ حرارة فمويِّة تفوق هذه القيمة دليلاً على المرض في الشّخص المستريح، المستلقي على السرير دون أن يمارس أي نشاط فيزيائي.

لا تتأثر وظائف الجسم كثيراً إذا ارتفعت درجة حرارة الجسم ثلاث درجات ونصف الدرجة عن معدلها السويّ، أي إذا بلغت (٤٠,٧) درجة مئوية، ولكن الاختلاطات تظهر عادةً إذا زادت درجة الحرارة على (٤١,١) درجة مئوية، وتحدث أذيّة دماغية غير قابلة للتراجع إذا وصلت الحمى إلى (٤٢,٢) درجة مئوية، وهي ناجمة كما يظهر عن تغير طبيعة البروتينات في جسم الإنسان، ولكن لحسن الحظ تنشط آليات ضياع الحرارة فجأة عندما تصل الحرارة إلى مستويات خطرة، لذا فمن النادر أن تتجاوز الحمى (٤١،١) درجة مئوية.

ويُفضل مراقبة ارتفاع الحرارة عند المرضى، وتسجيلها عدة مرات في اليوم الواحد، مما يسمح برسم مخططات بيانية تسمى



مخططات الحمى
١ – مخطط حمى متواصل لا تهبط فيه الحرارة إلى الحد السوي.
٢ – مخطط حمى شديدة مطبقة: ترتفع الحرارة بشكل شديد ومفاجئ إلى درجات عالية وتترافق مع النوافض والتعرق.
٣ – مخطط حمى مترددة: ترتفع مساءً وتهبط صباحاً دون أن تصل إلى الحد السوي.
٤ – مخطط حمى متقطعة: تهبط الحرارة لفترة ما لم تعود للارتفاع ثانية.

«مخططات الحمى»، يدل كل منها على بعض الحالات المرضية، ولها أهمية كبرى في مراقبة سير المرض وتطوره، فمثلاً يدل مخطط الحمى المتواصل على وجود الخرّاجات المنحبسة أو الحمى التيفيَّة (المخطط التوضيحي المرافق)، وغالباً ما يشير مخطط الحمى المترددة إلى الإصابة بالتدرن الرئوي، بينما تُحدث الإصابة بالبرداء «الملاريا» مخططًا حمّيًا متقطعًا.

ضياع الحرارة من الجسم

ينجم الشعور بالحر أو البرد عن انتقال الحرارة من الوسط الداخلي للجسم إلى الوسط الخارجي المحيط به، وعلى ذلك يعد الجلد وسيطًا في نقل الحرارة بينهما، وأول الأقسام تأثرًا باختلاف درجة الحرارة الجسيمات الحسّية الموجودة تحت الجلد، حيث ينتقل الاختلاف الحراري منها إلى الأعصاب الحسّية الموجودة في الجلد لتنتقل فيما بعد إلى المركز الناظم للحرارة الموجود في الوطاء «Hypothalamus» أو ما يسمى سابقاً منطقة ما تحت السرير البصري، وتتضمن الارتكاسات الجلدية المحيطية التي تعمل على ضياع الحرارة من الجسم ازدياد الدوران الدموي في الجلد والأنسجة تحته، وهو بدوره يحمل الحرارة إلى السطح حيث يمكنها من الإفلات إلى الوسط الخارجي، هذا بالإضافة إلى أن التعرق يزيد في ضياع الحرارة بتأمينه ماءً للتبخر، ويتعلق ضياع الحرارة بالتعرق أيضًا برطوبة الهواء المحيط، إذ كلما زادت الرطوبة نقص ضياع الحرارة بالتعرق.

آلية حدوث الحمى

يسيطر مركز تنظيم الحرارة الموجود في الوطاء على حرارة الجلد بطريقة تبديل حجم الدوران الجلدي، وبالتعرق وبالتأثير على الفعالية العضلية، وعلى الرغم من معرفتنا الواسعة بالآليات الجسدية (الفيزيولوجية) المنظمة لحرارة الجسم، إلا أن معرفتنا بالطرق التي تُحدث بها الأمراض الحمى ما زالت قليلة، وهناك عدة نظريات تفسر حدوثها، فمنها ما يعزوها لتغير في ماء الجسم الذي يتدخل في توليد الحرارة وفي ضياعها عن طريق التبخر، وهذا ما يحدث فعلاً إذ توجد الحمى عند الولدان المصابين بالتجفاف وتزول حالما تُعوّض السوائل عندهم، وهناك آليات أخرى تجدد الاهتمام بالغدد الصمّاوية، ولقد وُجدَ مؤخراً أن بعض الجراثيم تُولّد مواد سُمّية تسمى الذيفان الداخلي، تدخل مجرى الدم وتحرض كريات الدم البيضاء على إطلاق مادة مَحَمَّة داخلية المنشأ «Pyrogen» يُطلق عليها اسم «مولد الحرارة الباطني» تؤثر في مركز تنظيم الحرارة الموجود في الدماغ فترتفع بذلك حرارة الجسم، وتُحدث المنتجات الحاصلة بتأذي النسج - المرافق للأمراض سواء كانت جرثومية أو رضخيّة مثل رُضوخ الرأس - التأثير السابق نفسه.

معالجتها

يجب أولاً معالجة السبب المُحدث لها، ثم بعد ذلك تلطيفها لتخفيف حدّتها وإزالة الأعراض المرافقة لها من نوافض وصداع وآلام مفصلية وفتور ووهن شديدين. وتلطّف الحمى بإحدى طريقتين: إما بإعطاء خافضات الحرارة الدوائية مثل «الأسبرين» و«الأسيتامينوفين» وإما بتبريدها بالماء.

ولا يُنصح بإعطاء المريض خافضات الحرارة الدوائية إلا إذا ظهرت عنده أعراض فرط الحرارة، مثل حدوث قصور القلب أو تثبيط التنفس، أو وجود أي احتمال لتأذي الجملة العصبية المركزية، أو عند انزعاج المريض الشديد.

لم تنتشر خافضات الحرارة الدوائية المستعملة اليوم قبل القرن التاسع عشر الميلادي، لذا كان استعمال الماء لتبريدها هو الوسيلة الأولى المستعملة آنذاك، وكان المريض يتناول معها الأدوية المعرّقة كالنعناع وغيره، لأن التعرق وتبخره يساعد في خفض حرارة الجسم الزائدة.

ولقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذه الوسيلة الفيزيائية لتلطيف الحمى حيث قال: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء»(٨)، وقد اعترف «جالينوس» بأن الماء البارد ينفع في الحمى، حيث قال في المقالة العاشرة من كتاب «حيلة البرء»: «لو أن رجلا شابًا حسن اللحم، خصب البدن، ليس في أحشائه ورم استحم بماء بارد أو سبح فيه في وقت القيظ، وفي وقت منتهى الحمى لانتفع بذلك. قال: ونحن نأمر بذلك بلا توقف». أما طرق التبريد بالماء المستعملة في الطب الحديث فهي: اللف بالكمادات الباردة، ويُستعمل اللف على كامل الجسم أو على أجزاء منه، ومنها الحَمَّام البارد ومغطس الماء البارد، حيث تكون درجة الحرارة للماء في كليهما تقرب من (٣٢) درجة مئوية.

الهوامش:

(١) كانت المدينة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم معروفةً بإصابة أهلها بالحمى وسميت «حمى يثرب» والغالب أن سببها الأنتانات المعدية - المعوية أو البرداء «الملاريا».
(٢) الإذخِر حشيش طيب الرائحة، والجليل: الثَمام، وهو من نبت البادية.
(٣) مَجَنّة (وقد تكسر ميمها): موضع معروف بينه وبين مكة ستة أميال، وكان للعرب فيه سوق.
(٤) شامة وطفيل: جبلان بأرض مكة، وماوالاها، وقال بعض العلماء: هما عينان لا جبلان.
(٥) الجحفة: بالضم ثم السكون والفاء، كانت قرية كبيرة، ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، معجم البلدان ٦٢/٣.
(٦) جامع الأصول ٣٢٣/٩، وانظر البخاري: فضائل المدينة، وصحيح مسلم: كتاب الحج باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها.
(٧) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله.
(٨) أخرجه البخاري ومسلم.

عَقْلِي يُحَدِّثُنِي

شعر: محمود أبو الخير

شَقِيَتْ قُلوبُ الخَاطئينَ ونالَها ... هَمٌّ بِلَيْلٍ لا يَمَلُّ قِتَالَها
ما بالُ لَيْلِي لا يَزُولُ كأنَّما ... تَرَكَت لهُ شَمْسُ النَّهارِ مَجَالَها
عَقْلِي يُحَدِّثُني إذا ما جَنَّني ... لَيْلٌ وأذْكُرُ هَمْسَةً هوَ قَالَهَا
يا لاهِيًا يَرْجُو سَعَادَةَ نَفْسِه ... احْذَرْ مَنايا قَدْ صَفَفْنَ حِيالَها
أخَرَجْتَ عن أمْرِ الإلَه ونَهْيِه ... واخْتَرْتَ من كُلِّ الأُمُورِ ضَلالَها
وَلَهَوْت في غَيِّ الهَوَى عن كاتبٍ ... مَلَك يَعُدُّ عَلَى الشِّفاه مَقَالَها
وتَظَلُّ تَرْتَعُ في الذنُوبِ كأنَّما ... أنْسَيْتَ حُفْرَتَكَ التي تَسْعَى لَها
يا عَقْلُ نَفْسي بالهَوَى أمَّارَة ... ألْقَت إلى دَاعِي الهَوَى أحْبالَها
وأُرِيْدُ أكْسُوها لِباسًا مِنْ تُقى ... فَتَظَلُّ تَلْبَسُ في الهَوَى أسْمالَها
إنْ سُقْتُها نَحْوَ الكَمال تَثَاقَلَتْ ... وإلى الغَوايَة أظْهَرَتْ إرْقَالَها
إنِّي لأعْقِلُها لتَبْرُكَ عنْ هَوى ... فَتَظَلَّ تَكْرَهُ كالبَعِيْرِ عقالَها
حَمَلَتْ قَناطِيرَ الذُّنوبِ سَفَاهَةً ... وتُرِيدُ تَحْمِلُ فَوقَها أمْثالَها
ما حِيْلَتي يا عَقْلُ فيها دُلَّنِي ... يا عَقْلُ إنِّي قَدْ كَرِهْتُ خِصَالَها
قال الجَنانُ عَجِبْتُ مِنْكَ مُجَادِلاً ... أنْتَ الذي حَمَّلْتَها أحْمالَها
أرْخَيْتَ في طُرُقِ الضَّلالِ خطامَها ... وتَلومُها إذْ أدْمَنَتْ أوحالَها
عَجَبًا لراكبِ ناقَةٍ ويَلومُها ... لَمَّا أضَلَّتْ قال تَعْسًا مالَها
أنْتَ الذي يَسْعَى إلى شَهَوَاتِه ... كَمْ حِيْلَة تَحْتالُها لِتَنالَها
هَلاَّ نَهَيْتَ النَّفْسَ عن داعِي الهَوى ... وَحَكَمْتَ بالشَّرْعِ الزَّكيِّ فِعالَها
وأزَلْتَ أطْنانَ الذُّنوبِ بتَوْبَة ... عن نَفْسكَ الحَيْرَى فتُصْلِح بالَها
للذَّنْبِ إذْ تَفْعَلْهُ بَعْضُ حَلاوَة ... فإذا فَرَغْتَ صَحا الضَّمِيرُ أزالَها
في هذه الدُّنْيا ذُنوبكَ عَلْقَمٌ ... وتَرى بِيَوْمِ الحَشْرِ ثَمَّ وَبالَها
وتَرى جَهَنَّمَ بُرِّزَتْ وتَمَيَّزَتْ ... غَيْظًا فَتَنْسَى كَلُّ نَفْسٍ آلَها
شَرَرٌ لَها كالقَصْرِ يُقْذَفُ عالِيًا ... تَسْعى الزَّبانيةُ الغِلاظُ خِلالَها
يومٌ يَفِرُّ المرْءُ فيه عن امِّه ... والأمُّ أنْسَتْها لَظى أطْفالَها
ماذا عَلَيْكَ إذا سَعَيْتَ لجَنَّة ... اللَّهُ يَسَّرَ بالهُدى أعْمالَها
فيها قُصورٌ باللآلِئ شُيِّدَتْ ... مِنْ تَحْتِها نُهُرٌ عَرَفْتَ مِثالَها
كَمْ خَيْمَة بَيْنَ الزُّهورِ تُزِيْنُها ... حَوْراءُ تَعْرِضُ في الحَرِيرِ جَمالَها
لكأنَّ طَلْعَتَها شُموسٌ أشْرَقَتْ ... بَيْضاءُ تُحْسِنُ للحَبِيبِ دَلالَها
يا صاحِ بادِرْ جَنَّةً قَدْ أُزْلِفَتْ ... مَنْ تابَ أسْعَدَهُ الإلهُ فَنالَها

كلمة "غساق" القرآنية
بين العربية والتعريب

د. محمد السيد علي بلاسي

في اللسان: غَسَقَت عينه تغسق غسْقا وغسقانا: دَمَعَتْ، وقيل: انصبّت، وقيل: أظلمت. وغَسَق الليل: ظلمته، وقيل أول ظلمته، وقيل: غَسَقُه إذا غلب الشَّفَق. وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿إلى غَسَق الليل﴾ (سورة الإسراء: ٧٨)، وهو أول ظلمته. وقال الأخفش: غسق الليل ظُلمته.

وقوله تعالى: ﴿ومن شر غَاسِقٍ إذا وقب﴾ (سورة الفلق:٣)، قيل: الغاسق هذا: الليل إذا دخل في كل شيء، وقيل: القمر إذا دخل في ساهوره، وقيل: إذا خَسَفَ. قال ابن قتيبة: الغاسق: القمر، سُمي به؛ لأنه يُكسَف فيغسق، أي يذهب ضوءهُ ويسودُّ ويُظلم. غسق يغسِق غُسُوقا إذا أظلم. والغسّاق(١) كالغاسق. والغسّاق: ما يغسِق ويسيل من جلود أهل النار وصديدهم من قيح ونحوه. وفي التنزيل: ﴿هذا فليذوقوه حميم وغسّاق﴾ (سورة ص: ٥٧)، وقد قرأ أبو عمرو بالتخفيف، وقرأه الكسائي بالتشديد، واختار أبو حاتم: غَسَاق، بتخفيف السين، وقرأ حفص وحمزة والكسائي: وغسّاق، مشددة، ومثله في ﴿عمّ يتساءلون﴾ (سورة النبأ:١)، وقرأ الباقون «وغسَاقا»، خفيفا في السورتين، وروي عن ابن عباس وابن مسعود أنهما قرآ: غسّاق، بالتشديد، وفسراه بالزمهرير. وفي الحديث عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لو أن دلوا من غسّاق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا». الغساق بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من دموعهم، وقيل: الغسَاق والغسّاق: المنتن البارد الشديد البرد الذي يحرق من برده كإحراق الحميم، وقيل: البارد فقط. قال الفراء: رُفعَت الحميم والغساق بهذا مقدما ومؤخرا، والمعنى: هذا حميم وغساق فليذوقوه(٢).

يقول زيد بن علي: والغسّاق: ما يسيل من صديدهم، ويتقطع من جلودهم(٣).

ويقول ابن قتيبة: الغسّاق: ما يسيل من جلود أهل النار وهو الصديد. يقال: غسقت عينه، إذا سالت. ويقال: هو البارد المنتن(٤).

وفي أساس البلاغة: الغسّاق: وهو ما يسيل من جلودهم أسود(٥).

يقول الخفاجي: غسّاق: بارد منتن، قيل: هو عربي، وقيل معرب(٦).

وفي المعرّب للجواليقي: قال ابن قتيبة: لم يكن أبو عبيدة يذهب إلى أن في القرآن شيئا من غير لغة العرب. وكان يقول: هو اتفاق يقع بين اللغتين. وكان غيره يزعم أن «الغسّاق» البارد المنتن بلسان الترك(٧).

وقيل: «فعّال» من «غسق يغسِق» فعلى هذا يكون عربيا. وقيل في معناه: إنه الشديد البرد، يحرق من بَرْده. وقيل: هو ما يسيل من جلود أهل النار من الصديد(٨).

يقول السيوطي: ذكر الجواليقي وغيره في قوله تعالى: «غسّاقا» قال: هو البارد المنتن بلسان الترك(٩).

ويقول الشيخ حمزة فتح الله: غسّاق:

تركية، معناها: بارد منتن(١٠).

ويرى رفائيل اليسوعي أن غساق تعني بارد. ولم يجزم بأنها تركية، وقال: لعلها من: Soghouk التركية(١١).

أقول: وأجزم أن كلمة «غسّاق» عربية أصيلة(١٢) وليست تركية - كما ذكر العلماء -؛ وذلك لما يلي:

أ - لقد رجعت إلى أكبر المعاجم التركية وأشهرها(١٣)، فلم أعثر على مادة هذه الكلمة فيها، كما رجعت إلى أساتذة اللغة التركية في الجامعات المصرية(١٤)، فأكّدوا لي هذه الحقيقة.

ب - لا علاقة بين «Soghouk» وبين «غساق» - كما زعم اليسوعي - سواء من حيث اللفظ أو المعنى. فمن حيث اللفظ: لا يوجد مشابهة إلا في بعض الحروف مع عدم الترتيب. ومن حيث المعنى: فكلمة: «غسّاق» يرجح الطبري أن أقرب الأقوال في معناها للسياق القرآني هو: ما يسيل من صديدهم(١٥). غير أن «صوغوق» التي أصلها في اللسان التركي «ساؤق» لا تعني في هذا اللسان سوى: الثلج، والبرودة. وفي المجاز يقال: رجل بارد القلب، وكلمة باردة، والحرب الباردة...(١٦).

ج - لم تكن ثمّة علاقة وصلة بين العربية والتركية أثناء وقبل نزول القرآن، فكيف يتأتّى التأثير والتأثر بين اللغتين إذن؟!!

ويقرر أ.د. مجيب المصري هذه الحقيقة بقوله: «فنحن لا نعرف من شعراء العثمانيين من حذا حذو شعراء العرب في عصر من عصور الأدب العثماني، ومرد ذلك إلى أنهم كانوا بالفرس أعلم منهم بالعرب، فقد جاوروهم وخالطوهم منذ الزمان الطويل، ولم تكن بين الترك عامة والعرب صلة تذكر إلا بعد دخول الإسلام عليهم في القرن الثالث الهجري(١٧).

د- ورود مادة «غسق» بجميع تصريفاتها في اللسان العربي. كل هذا يؤكد عربية كلمة «غساق».

الهوامش

(١) وردت هذه المفردة في قول الله تعالى: ﴿إلا حميمًا وغسّاقا﴾ (سورة النبأ: آية ٢٥).

(٢) لسان العرب: مادة (غسق) بتصرف.

(٣) ظاهرة الغريب في اللغة العربية مع تحقيق غريب القرآن لزيد بن علي: د. حسن محمد تقي سعيد، ٣١٧/٢.

(٤) تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة، ص ٥١، ٣٨١.

(٥) أساس البلاغة: للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) بتحقيق الأستاذ عبدالرحيم محمود، ص ٣٢٤، مادة (غ س ق)، الطبعة الأولى الجديدة ١٣٧٢هـ (سلسلة إحياء المعاجم العربية).

(٦) شفاء الغليل: للخفاجي، ص ١٩١، تعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، ط. أولى - المطبعة المنيرية ١٣٧١هـ.

(٧) اللغة التركية: هي لغة من لغات الفصيلة الطورانية، وتنتمي إلى مجموعة لغات تتفق في البناء. وقد أطلق عليها مجموعة (أورال آلتاى) أو الالتصاقية، نظرا لأن أصل الكلمة فيها لا يتغير مع التصريف وإنما يضاف إلى الكلمة مقاطع معينة لتؤدي المعنى المطلوب.

وتعود أقدم نقوش مكتوبة باللغة التركية إلى دولة الكَوك تورك، وقد اكتشفت في مجرى قديم لنهر أورخون، ولذلك أطلق عليها مكتشفها العالم الدانمركي طومسون (١٨٤٢-١٩٢٧م) اسم كتابات أورخون. وفي عهد دولة الأويغور هجر الأتراك الأبجدية الكوك التركية ليستعملوا الأوريغورية أو الصفدية التي كانت أكثر ملاءمة للكتابة على الجلود والأوراق. وكانت اللغة التركية تكتب بحروف الأوريغورية جنبا إلى جنب مع الحروف العربية حتى القرن السادس الهجري عندما تحول الأتراك تماما إلى الكتابة بالحروف العربية، وظلوا كذلك إلى أن تحولت الحروف العربية إلى اللاتينية في عهد مصطفى كمال (أتاتورك) عام ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م).

انظر: الأدب التركي الإسلامي: د. محمد عبداللطيف هريدي، ص ١٥، ١٦ - بتصرف -، ط. إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٤٠٧هـ. وراجع: دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح، ص ٤٤-٤٦.

(٨) المعرَّب، للجواليقي، ص ٢٨٣.

(٩) المتوكلي: للسيوطي، ورقة ٥. وراجع: المهذب: ص ٧٣، والإتقان في علوم القرآن: ص ١٨٢.

(١٠) الأصل والبيان: ص ١٧.

(١١) غرائب اللغة العربية: ص ٢٧٣.

(١٢) قارن بـ : قاموس الفارسية: ص ٤٧١.

(١٣) راجع: اختري كبير: تأليف مصطفى بن شمس الدين أحمد القره حصاري الشهير بالأختري، ط. دار الطباعة العامرة بالقسطنطينية سنة ١٢٤٢هـ. وتبيان نافع در: ترجمة برهان قاطع ومؤلفه بالفارسية هو حسين بن خليفة التبريزي: أحمد عاصم أفندي، ط. استانبول سنة ١٢٦٨هـ.

(١٤) وهم الأساتذة الدكاترة: عمرو عبدالباقي، وفتحي النكلاوي وإدريس نصر محجوب. بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر. وأ.د. محمد هريدي بكليّة الآداب، جامعة عين شمس.

(١٥) تفسير الطبري: ١١٤/٢٣، المجلد التاسع، ط. دار الفكر ببيروت سنة ١٣٩٨هـ.

(١٦) راجع: القاموس التركي: ش. سامي: ايكني جلد - أقدام مطبعة سي ص ٨٤٤. وانظر قاموس اللّغة التركية المصور: ٥١٤، نشر المجمع اللغوي التركي، أنقرة ١٩٧٧م.

(١٧) تاريخ الأدب التركي: د. حسين مجيب المصري، ص ٢٨، ٢٩، مطبعة الفكرة سنة ١٩٥١م. وراجع: في الأدب العربي والتركي (دراسة في الأدب الإسلامي المقارن) د. حسين مجيب المصري، ص ٨-١٠، ط. مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٢م.

وليم جولدنج

روائي من العالم الأسطوري

فؤاد نصر الدين حسين

يعد وليم جولدنج (١٩١١- ١٩٩٣م) من الروائيين الإنجليز الذين يصيبون النقاد بكثير من الحيرة في تقويم أعمالهم وأثرها في جمهور القراء. ذلك لأن روايات جولدنج ليست مما يمكن للقارئ أن يستوعبه من أول قراءة سريعة. يدل على ذلك أن النقاد والقراء أدركوا أن الحكم الأولي الذي يعتمد على الانطباع المتسرع غالباً ما يغمط الأعمال الجيدة حقها في التقويم الناضج. لذا أعيدت قراءة أعماله مرة أخرى وتقويمها من جديد. ولعل الغموض الصعب الذي يكتنف روايات جولدنج يرجع إلى طبيعة الفن العظيم الذي يأبى أن يرضخ لأول وهلة للانطباع المتسرع.

مولده ودراسته

ولد «وليم جولدنج» عام ١٩١١م، في قرية صغيرة تدعى «سانت كولومب مينور» بمقاطعة «كورنول» الساحلية، لأبوين ينتميان إلى الشريحة السفلى من الطبقة المتوسطة، الفقيرة ولكنها متعلمة. وتلقى دراسته في (مولبرة جرامر سكول)، وبعد انتهائه من المرحلة الثانوية، فاز بمنحه دراسية للالتحاق بكلية (بريزنور) بجامعة (أكسفورد)، حيث اتجه لدراسة علم النبات تحت المجهر، ثم حول مساره من دراسة العلوم إلى التخصص في الأدب الإنجليزي.

تجربة ثرة

تخرج جولدنج في أكسفورد عام ١٩٣٣م، واشتغل كاتباً وممثلاً ومخرجاً لفرق مسرحية صغيرة، ثم اشتغل مدرساً. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية التحق بالبحرية الملكية البريطانية، ورُقي إلى رتبة ملازم يقود زورقاً لإطلاق الصواريخ، قضى أغلب سنوات الحرب في البحر، وقد عرف خلال تجربته هذه الكثير عن حياة البحر وآلام الحروب وفظائعها التي تعد شاهداً على نظرة الإنسان تجاه أخيه الإنسان. وصبّ جولدنج وجهة نظره في روايته الأولى (سيد الذباب) التي استمدها من تجاربه في البحرية الملكية، ومن مهنته التي عمل بها بعد أن انتهت الحرب، حيث عمل مدرساً في إحدى المدارس بسالزبوري وبقي فيها حتى عام ١٩٦٢م ثم تفرغ للأدب.

حياته الأدبية

بدأ جولدنج حياته الأدبية بنشر ديوان من الشعر عنوانه (قصائد) في عام ١٩٣٥م. ولكن روايته الأولى (سيد الذباب) لم تظهر إلا في عام ١٩٥٤م، وأحرزت نجاحاً فوريًا على كلا جانبي الأطلنطي. وكان قد قدم روايته الأولى هذه للناشرين في لندن، فرفضها واحد وعشرون ناشراً ثم وجدت ناشراً مغامراً طبعها عام ١٩٥٤م لُيطبع منها بعد ذلك عشرون مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها، وهي ظاهرة غير معتادة بالنسبة للتوزيع في إنجلترا، وحُولت إلى فيلم من إخراج (بيتر بروك) في عام ١٩٦٣م، وهي الوحيدة ضمن رواياته التي قُدمت للسينما، وأصبحت من الكتب المقررة على الطلبة في المدارس الثانوية والجامعات.

روايته الثانية (الوارثون) ١٩٥٥م، التي تتحدث عن إبادة الإنسان الوحشية لأسلافه الأكثر رحمة، وقسوة الإنسان الباطنة، تقع في الصميم من كثير من روايات جولدنج .

نشر بعد ذلك رواية (بنشر مارتن) ١٩٥٦م، ومسرحية (الفراشة النحاسية الصفراء) ١٩٥٨م، وروايات (سقوط حر) ١٩٥٩م و(البرج) ١٩٦٤م، تبعتها بعد ذلك مجموعة مقالات بعنوان (البوابات الساخنة)، و(مقالات أخرى عارضة) ١٩٦٥م، ثم رواياته الأخرى (الهرم) ١٩٦٧م، (الرب العقرب) ١٩٧١م، (كلونك كلونك)، (مبعوث غير عادي)، وله (ظلمة مرئية)

١٩٧٩م، و(طقـــوس المرور) ١٩٨٠م، التي حصلت على جائزة بوكر، وأخيراً له رواية (درع السفينة الناري).

جائزة نوبل

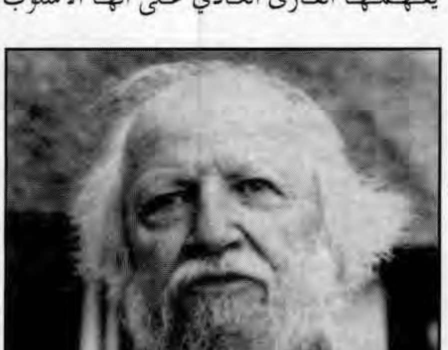
حصل وليم جولدنج على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٣م، وقد توطدت مكانته الأدبية في الأدب الإنجليزي لما يتميز به عمله من بصيرة شعرية وصلابة خلقية، فهو من أهم الكتاب الذين صوروا نوازع القسوة والأنانية والتوق إلى السلطة، وبينوا أن الحضارة مجرد قشرة سطحية يمكن أن تتصدع وتتفتت تحت أهون ضغط. كانت كتاباته رمزية فلسفية عن طبيعة الشر، وكون الحضارة مهددة دائماً من داخلها وخارجها على السواء. في عمله توتر دائم بين الطبيعة والثقافة. بين الطبيعة والعماءة.

وقد جاء في حيثيات الجائزة أنه «يتعارض مع الذين يؤمنون أن السياسة أو النظم الأخرى هي التي خلقت الشرَّ في العالم، لكنّ الشرّ ينبع من أعماق الإنسان نفسه، وأنه موجود في قلب البشر منذ بدء الخليقة، حيث تكونت نظم الشر لتغيير كل شيء كي يكون للخير دوره في تغيير العديد من الأشياء».

تجربة جولدنج الفنية

يقول وليم جولدنج متحدثاً عن تجربته الفنية في رواية (بنشر مارتن): «أنا من الروائيين الذين يبذلون أقصى ما في وسعهم لكي يجعلوا مهمة القارئ سهلة وممتعة. فعندما أدرك أن المضمون الذي بين يديّ قد بدأ يأخذ شكل الرواية، عندئذ أضع في اعتباري جمهور القراء العاديين الذين يملكون حساً فطريًا في التذوق الفني يشمل معظم المعايير الجمالية التي يلهث وراءها النقاد، ولذلك فإني أحرص في رواياتي على أن أكتبها بمنتهى الدقة والحيوية، طبقاً لشكل فنيٍّ لا يحتمل التأويل والشطط، وبذلك أحدث في القارئ الأثر الذي أقصده تماماً، لأنه سيصل إلى المعنى المحدد دون لبس أو غموض».

يعلق د. نبيل راغب على مقولة جولدنج تلك قائلاً: «مفهوم البساطة والوضوح مفهوم نسبي يختلف من شخص لآخر، وما قد يكون بسيطاً وواضحاً لجولدنج قد لا يكون كذلك بالنسبة للقارئ العاديّ الذي يهتم به جولدنج اهتماماً غير عادي، فمثلاً يعترف جولدنج أنه يترك للمضمون مهمة تكوين الشكل، وبذلك لا يكون تحكُّمه في الشكل بالقدر نفسه من الدقة والتحديد الهندسي الذي يصر عليه، بل إنه لا يرضى أن يريح القارئ إلا بعد الانتهاء من قراءة الرواية واستيعابها تماماً حتى يستطيع أن يتخلص من علامات الاستفهام العديدة التي تتراقص أمام مخيلته. فمثلاً في رواية (بنشر مارتن) لا يقرر جولدنج للقارئ أن (مارتن) قد غرق في أحداث الصفحة الثانية من الرواية، ولا يدرك القارئ هذه الواقعة إلا في آخر جملة من الرواية. ولكن يبدو أن إصرار جولدنج على التخطيط الهندسي لرواياته أو ما يسميه بالبرنامج العام الذي يجب ألا يحيد عنه، هذا الإصرار لا يعني أنه ينكر على القارئ حقه في التأويل والتفسير والتحليل، حتى ولو وصل إلى معان لم يكن يقصدها جولدنج أصلاً، والسهولة التي يتحدث عنها ليست تلك التي يفهمها القارئ العادي على أنها الأسلوب التقريري المباشر الذي يضع نصب عينيه دائماً أن يضع النّقاط فوق الحروف، ففي الفن الناضج تأتي عملية وضع النقاط فوق الحروف في آخر مرحلة، لكي تضع اللمسات النهائية للعمل الفني!



وليم جولدنج

ولكن جولدنج يقصد بالسهولة تلك الخاصية التي تحرص على الاقتصاد في استعمال اللغة وعرض الأفكار. فالخط الفكري الرئيس عنده يسلك أيسر السبل الفنية وصولاً إلى التجسيد الفني. ولكن التجسيد الفني ليس التفسير أو الشرح؛ فالسهولة تعني هنا أن الروائي لا يقحم على عمله أية صعوبة هو في غنى عنها، لكن إذا كان الغموض ضرورة فنية، فإنه يتحتم على الروائي أن يستغله، وإلا أصيب عمله بالتسطيح والسذاجة. ومن هنا كانت مهمة النقاد تتركز في مساعدة القراء في أن يكونوا في أفضل وضع فكري يستطيعون منه أن يصلوا إلى أنضج تذوق للرواية؛ فليست مهمة النقد التحليل والتبسيط، لأن هذا يعني اعترافاً ضمنيًا بعدم مقدرة القارئ على الفهم. لكن على النقاد أن يمكنوا القراء من استيعاب الأبعاد الفنية وتذوقها حتى يكون دورهم أكثر إيجابية ومتعة. وهذا ضروري في حالة (جولدنج) خصوصا؛ لأنه لا يكتب الرواية من أجل الفكرة، بل يحب الفكرة ويلهث وراءها إذا وجد أنها تقدم له إمكانات روائية جديدة».

حدودُ العالم الأسطوري

من أسباب الثراء الفني المُميَّز للعَالَم الروائي عند جولدنج استغلاله الأساطير الإغريقية الزاخرة بالرموز والإيحاءات الكونية. وهذه الأساطير ساعدته في تجسيد روح البراءة البدائية التي يحاول الوصول إليها من خلال شخصياته ومواقفه. ويعتقد جولدنج أن العمل الفني هو الوسيلة الوحيدة التي يستطيع الإنسان أن يفسر بها الكون كله، وقد ذهب النقاد إلى أنه قد ترك الرواية إلى الحكاية الخرافية، ويأتي تعليق جولدنج على هذا التقويم النقدي فيقول:

وليم جولدنج
روائي من العالم الأسطوري

«إنني أعتز بهذا التقويم النقدي الذي أعده أعظم تقدير يمكن أن أحصل عليه، ولكنني كنت أتمنى استبدال اصطلاح الأسطورة بالحكاية الخرافية، لأنني أعتقد أن الحكاية الخرافية عبارة عن حكاية (حدوتة) سطحية تفتقد الكثير من الأبعاد، بينما الأسطورة كيان يضرب بجذوره في أعماق الكون وأغوار الماضي السحيق، وبذلك تصبح مفتاحاً لكل الوجود، وتفسيراً للمعنى العام للحياة والتجربة الإنسانية ككل»، وقد اصطلح جولدنج على تسمية رواياته (بأساطير التفسير الكوني الكلي).

ومن الصعب تتبع أصول هذا الاتجاه الروائي الذي ابتكره جولدنج، فهو لا يشبه - إلى حد كبير - الأساطير التي يضمنها جويس أو ت . س. إليوت أو دافيد جونز أعمالهم، ولكنه مع ذلك يرتبط بالإيحاءات والمنابع الرمزية نفسها التي تمنح كُتَّابًا كثيرين الصور الفنية البدائية، التي تبلور بدورها الأشكال الأولية للطبيعة البشرية منذ الأزل. وربما كان الفرق الرئيس بين جولدنج وهؤلاء الأدباء أنه قد انعزل نسبياً عن التقاليد الراسخة للفكر الأدبي إلى الكون والأحياء، وعليه أن يستفيد من القوانين المكتشفة حديثاً في بناء الرواية.

سيد الذباب وبنشر مارتن

إن روايات جولدنج تُشكك في تفوقنا على الوحوش والهمج، وتوضح زيف طلاء المدنية، وعجز حُسن النية وأشكال الديمقراطية عن الوقوف في وجه وحشية الإنسان الفطرية، وهذا أوضح ما يكون في روايته (سيد الذباب). وسيد الذباب في الرواية رأس خنزير تعفن وتكاثر عليه الذباب.

تبدأ الرواية في أعقاب تحطم طائرة بعد حرب نووية . مات قائدها وكل الراكبين مع طاقمها، بينما نجا الأطفال وأكبرهم لا يتجاوز الثانية عشرة ووجدوا أنفسهم على ظهر جزيرة مدارية فحاولوا - في البداية - أن يقيموا مجتمعاً مثاليًا، أو لائقاً بالإنسان على الأقل، متأثرين بالتعاليم الدينية والخلقية التي غرست فيهم منذ مولدهم، ولكن هذه النزعات سرعان ما تتراجع إلى الوراء مُخليّة السبيل للجزء المظلم من طبيعتهم، فيرتكسون في حمأة الخرافية والقسوة والوحشية.

إن الأطفال في رواية جولدنج خائفون من ذلك الوحش الذي جثم فوق الجزيرة. هم يتصورونه وحشًا كاسرًا سيفتك بهم على الرغم من أنه ليس سوى أحد جنود المظلات الذين سقطوا بمظلاتهم التي تعبث بها الرياح. ولأن عليهم أن يقدموا قربانًا للوحش، فإنهم يذبحون خنزيرًا، ويضعون رأسه على رأس حربة يطن الذباب من حولها. يسمونه (سيد الذباب)، ويرقصون لإرضائه، ويصبغون له أجسادهم.

هذه الحوادث تكشف الشر القابع في قلوب الصغار؛ فالبراءة التي نعهدها في الأطفال تتحول هنا إلى غريزة وحشية كاسرة تكشر وتنفث سمومها، فتسيل الدماء حارة، ويموت اثنان من الأطفال، ثم تجيء إحدى السفن لتقتلع الصغار من جذورهم الشريرة.

تلت رواية (سيد الذباب) رواية (الوارثون) وهي عمله الثاني الذي وصفه الروائي المجري أرثر كستلر بأنه: (زلزال في غابة الرواية الإنجليزية المتحجرة)، والوارثون هم أسلافنا الأقربون.

تلت (الوارثون) رواية (بنشر مارتن) التي نُشرت في الولايات المتحدة تحت عنوان (متيتا كرستوفر مارتن) ١٩٥٧م، ولاسم البطل هنا دلالة، فكلمة (بنشر) تعني (اللص)، بينما كلمة (كرستوفر) توحي باسم (المسيح). والبطل بحّار غرقت سفينته بعد أن أصابها طوربيد في معركة بحرية، فيخيل إليه أنه يتشبث بصخرة جرداء ملساء للنجاة. وتدور أحداث حياته كلها في ذهنه في أثناء هذه الثواني القليلة كما يُظن أنه يحدث للغرقى.

وفي نهاية الرواية عندما تَلْتَقط سفينة مارة جثة (مارتن) تَبَيَّنَ أنه غرق منذ أول لحظة وقبل الوصول إلى الصخرة التي يحدثنا عنها الروائي بكل هذا التفصيل.

يقول الناقد جلبرت فلبس: «إن خبرته بأكملها لا بد قد كانت وهماً، ومحنته ربما تكون قد جرت لا في الزمن وإنما في الأبدية، والصخرة تشكل ضرباً من مطهر دانتي. إنه يدرك أنه استخدم قواه البدنية في الماضي في الكذب والغش واستغلال رفاقه. لقد مات (مارتن) باسفكسيا الغرق منذ الصفحة الثانية من الكتاب قبل أن يتمكن من التحرر من حذائه الذي كان يعوق حركته في الماء. هكذا تغيم الفروق بين الحلم أو الهلوسة من ناحية والوقائع الموضوعية من ناحية أخرى».

نهاية رؤية جولدنج الروائية

في أعماله الروائية يرى جولدنج أن رحمة الله أشمل من أن تفرق بين الأمي والمثقف، بين الجاهل والمتعلم، بين المتخلف والمتحضر، بين البدائي والمتحذلق. وهو يؤمن بوجود الذنوب البشرية وإصرار الإنسان على البحث عن الفردوس المفقود، ولكن مهما طال الطريق فإن الرحمة الإلهية في انتظار كل من بحثوا عنها...

المراجع

١ - أدباء القرن العشرين، د. نبيل راغب، المكتبة الثقافية، ١٩٧٨م.
٢ - جائزة نوبل، محمود قاسم، دار المعارف، ١٩٩٣م.
٣ - رواية (سيد الذباب)، روايات الهلال ١٩٨٤م.
٤ - مجلة إبداع ، ماهر شفيق فريد، العدد التاسع، سبتمبر: ١٩٩٣م.
٥ - صحيفة الأهرام، عدد ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٩٣م.

كتاب

«ثلاثون طريقة لتحسين قدراتك»



هذا الكتاب يرشدك إلى أفضل الطرق لتكتب، وتتكلم وتخاطب بطريقة تؤثر في الناس.. وكيف تعبر عن نفسك بوضوح وجلاء وإيجاز؟ وكيف تنظم وقتك وترتب الأولويات، وكيف تستأصل العادات السيئة؟ ثلاثون طريقة تقع في ثلاثين فصلاً هي فصول هذا الكتاب، نضعها بين يديك لتساعدك في تنمية قدراتك، والعادات المفيدة طوال حياتك العملية.

تأليف: هاري شو
ترجمة وعرض: وفيق مازن

والفصول الثلاثون عناوينها كالتالي: أفصِحْ عن مواقفك - اعملْ على تغيير بعض عاداتك في العمل - اعتن بجسمك وعقلك - وفّر أفضل مكان وأفضل زمان للدراسة - اعمل في نطاق موازنة للوقت - حاول أن تفكر منطقيًا وبوضوح - افهم ما تقرأ - تخلص من العادات السيئة في القراءة - درّب ذاكرتك على أن تحفظ عن ظهر قلب - تعلم أن تنصت بينما أنت تنصت لتتعلم - ضع في كلماتك الخاصة ما قرأته وسمعته - دوّن ملاحظات على شكل ملخص للنقاط الرئيسة - محّص ثم نقّح - تعلم أن تتحدث مع الناس - تعلم أن تتحدث إلى الناس - قلها بطريقة صحيحة - كوّن صداقة مع قاموسك - اعمل على زيادة مفرداتك اللغوية - قل بالضبط ما تعنيه - لا تكن مرددًا لأقوال غيرك - تخلص من كل ما لا خير فيه - اتخذ ثلاث خطوات نحو الحصول على جمل أفضل - فلتكن طريقة الهجاء صحيحة - استخدم الترقيم الصحيح - قسّم وتغلّب - اكتشف مكتبتك - اتخذ ثلاث خطوات نحو تحقيق بحوث وتقارير أفضل - اكتب بطريقة واضحة ومقروءة - راجع وصحح التجارب الطباعية لكل شيء تكتبه - حسّن طرقك في تناول الامتحانات.

إن ما يفعله هذا الكتاب لهو أمر يتعدى معالجة الموضوعات العامة مثل اكتساب الشعور بالمتعة في العمل والاعتزاز به، حيث يضع أمامنا ويوضح بجلاء الأدوات المحددة والمهارات والأساليب الفنية التي تمكننا من القراءة الجيّدة والتفكير الواضح وفهم المواد واختزانها..كما يعلمنا كيف نكتب ونتكلم بطريقة مؤثرة.

سوف تعاونك الخطوات اليسيرة والملموسة والمحققة التي يعرضها هذا الكتاب في الحصول على أعلى الدرجات في الفصل والواجب المدرسي والاختبارات والامتحانات، حيث يقدم لنا المؤلف هاري شو ثلاثين طريقة يؤدّي التمكن منها أو من بعضها إلى تحسين أدائك عن طريق تنمية العادات المفيدة لك، ليس فقط عندما تدخل في مناقشة للحصول على أعلى الدرجات،

ولكن طوال حياتك العملية أيضا.

والمؤلف هاري شو حاصل على درجة الدكتوراه، وقد عُرف على نطاق واسع كمدرس وكاتب ومحرر.. قام بالتدريس في عدة جامعات، وإدارة العديد من الحلقات الدراسية الحرة والمؤتمرات التي ينظمها الكُتّاب في أرجاء الولايات المتحدة، وقد ألفّ وشارك في تأليف الكثير من الكتب في مجالات الأدب والكتابة.

إن الهدف من هذا الكتاب هو مساعدتك في تحسين قدراتك في أية موضوعات تقوم بدراستها.. إن المقترحات التي يقدمها على أكبر قدر من العملية والتحدي على قدر استطاعتي - كما يقول المؤلف - في أن أصوغها.. إن بعض الخطوات من الخطوات الثلاثين نحو الحصول على درجات أفضل تعد أكثر أهمية من البعض الآخر.. لكن لم تُضم أية خطوة ليس لها علاقة مباشرة بالأداء الدراسي والحوافز أو العقوبات المترتبة، على الرغم من أن الكتاب يحاول أن يكون واقعيًا في نصائحه ذات المغزى.. إلا أنه مؤسس على معتقدات أخلاقية ومعنوية راسخة.. لا تجد فيه أية مقترحات تحثك على الحصول على درجات عالية بالوسائل التالية:

- الغش.
- الحصول فقط على المناهج «السهلة».
- تجنب المناهج الدراسية التي تتطلب عقد امتحانات نهائية.
- اختيار المدرسين الذين يخضعون لضغط الطالب من أجل الحصول على درجات عالية.
- اختيار المناهج ذات المستويات التي تسمح بالنجاح فقط.
- تجنب المواد التي تطرح مواد مكروهة.
- محاولة تخويف المدرسين.
- تملق المدرسين كسبًا لرضاهم.
- محاولة إحلال الشخصية محل الأداء.

حقيقة.. إنّ كل أسلوب من تلك الأساليب يعد منتشرًا.. وكل منها أثبت نجاحه في مواقف كثيرة، إلا أن كلاً منها خاطئ من الناحية الأخلاقية ويؤدي في النهاية إلى الإحباط الذاتي.

ينبني هذا الكتاب على الاقتناع بأن التعليم الجيد يتطلب عملاً شاقًا وقدرًا ضخمًا من التنظيم الذاتي الشاق والمستمر.. في أثناء سعيك للحصول على التعليم يمكنك أن تقضي وقتًا طويلاً في تعلم قدر قليل جدًا، ما لم تعترف بهذين المطلبين وتواجههما على نطاق واسع. ينتهي طريق التعلم السهل السار والمرح - دون إخفاق - إلى الانعطاف في طريق مسدود من الجهل..

يقوم التعليم الجيد بالتحديد على أسس من التفكير والقراءة الذكية والكتابة الواضحة والحديث المنطلق.. من المحتمل أن تحصل على درجات عالية دون أي من تلك المكاسب، ولكن ليس على تعليم ثابت.

إن التعلم الحقيقيّ مشروع صعب وملح، ليس نشاطًا لا توجد له قواعد، يفوز فيه كل شخص، فإن لديك الالتزام الأخلاقي لكي تدرس حتى تصل إلى الدور المقرر واقعيًا لمقدرتك.. إذا فعلت ذلك فسوف تكتسب الفهم والقدرات التي سوف تثري حياتك، وتجعل منك المواطن المفكر المطلع والمسؤول الذي تريده وتحتاج إلى أن تكونه.

إن خطواتك الأولى نحو الحصول على درجات أفضل هي أن تكتشف بكل ما أوتيت من أمانة وإمكانات حقيقة شعورك نحو عملية التعلم وأن تحاول الإجابة عن تلك الأسئلة:

هل المدرسة مملة؟ هل الدراسة مضيعة للوقت؟ هل تحب بعض المواد الدراسية وتكره بعضها الآخر؟ هل تمقت الساعات التي تقضيها في تحصيل العلم وتشعر أنه كان بالإمكان قضاؤها بطريقة أفضل؟ هل تفشل في أن تتبين المساعدات التي توفرها لك المدرسة لزيادة فرص نجاحك في عملك المستقبلي أو تحقيق ما تصبو إليه؟ هل يعد الأمر سارًا بالنسبة لك؟ هل تجد متعة في تعلم الأشياء الجديدة؟ هل يعد نوعًا من الإثارة أن تدرك أنك تحرز بالفعل تقدمًا بالنسبة لقدراتك الذهنية وقدرتك على الفهم..؟

سوف تساعدك الإجابات الصادقة عن تلك الأسئلة على أن تفهم لماذا يكون أداؤك في بعض الأحيان ضعيفًا أو متوسطًا أو ممتازًا.؟ ولا شك أنك تعلم أنه من غير المحتمل حصولك على دور في مسرحية ما لم تكن مشغوفًا بفن التمثيل المسرحي وتتوق إلى أن يقع عليك الاختيار للقيام بأحد الأدوار فيها.. وتعلم أيضا أن الولع والتفاني والاستعداد للتدريب قد يفوق الاعتبارات الأخرى بما فيها المقدرة الطبيعية على التمثيل، كما تدرك أن فرص تكوينك لفريق رياضي تعتمد على الاستعداد والرغبة في التمرين والتعلم جنبا إلى جنب مع المقدرة

العضلية.. وتعلم أن كل مهارة تعلمتها قد تأثرت ـ بطريقة شعورية أو لا شعورية ـ بمدى الرغبة لديك في فعلها: الرقص ـ الرسم ـ الطهي ـ الحياكة ـ أشغال الإبرة ـ السباحة ـ الغناء ـ العزف على آلة موسيقية ـ التزحلق على الجليد أو أي شيء آخر.

تتأثر المهارات التي يمكنك تحقيقها في أيّ نشاط، ومنها الأنشطة التي ذكرناها آنفًا، برغباتك واهتمامك واستعدادك لأن تحاول.. فإذا رغبت في أن تتقن أيّ نشاط يجب أن تكون مستعدًا لأن تدفع الثمن اللازم من وقتك وجهدك في مقابل ذلك.

أما إذا لم يكن لديك الاستعداد لتفعل ذلك فسوف يصبح نجاحك محدودًا، وسوف تبدأ في ممارسة أحد الأنشطة فيتسرب الملل أو الإحباط إليك ثم تقول: «إنني في الحقيقة لم أكن راغبًا في تعلم الرقص، أو التزلج أو لعب كرة السلة أو القفز بالحبل».

إن الدراسة، مثل أيّ نشاط آخر جدير بالممارسة، تحتاج إلى عمل. إنها تحتاج عملاً شاقًا.. لقد كتب يوكلين المعلم اليوناني الكبير منذ نحو ٢٥٠٠ عام يقول: «لا يوجد طريق سهل للإمساك بناصية هذا العلم الرياضي.. علم الهندسة.. أو أي فرع آخر من فروع العلم.. يعتقد الملايين أن الدراسة أمر ممتع ومثير أيضًا، لكن لم يكتشف أحد أنه سهل.. ومن ثم لا تتوقع أنت أن تكون أول من يحقق هذا الاكتشاف».

لكنك تقول: «إنني أرغب حقيقة في التعلم» حسن.. لكن تذكر أن الرغبة تختلف اختلافًا كبيرًا عن الإرادة.. يرغب كل فرد تقريبًا في تعلم أحد الأشياء أو غيره، لكن الرغبة هي فقط شكل من أشكال الأماني أو التعلق بالأشياء.. والطريقة الوحيدة لك أو لي أو لأيّ شخص آخر لتحقيق أية رغبة هي أن ننقّب، أن نطوّع أنفسنا للمهمة التي بين أيدينا.. إذا أردت أن تحقق نجاحًا كبيرًا في التعلم عليك أن تستكشف الأمور المتعلقة بدراستك، ثم تقرر أن تفعل شيئًا بشأنها.. لقد كتب الكاتب الأمريكي «ألبرت هابارد» منذ ما يقرب من قرن مضى يقول: «ليس هو الكتاب الذي يحتاج إليه الشباب من الدارسين، ولا التوجيهات المدرسية، ولكن ما يحتاجون إليه هو في الواقع تقوية عضلاتهم ونمو أجسامهم الأمر الذي يؤدي بهم إلى أن يتصرفوا بتلقائية ويركزوا مجهوداتهم لإنجاز واجباتهم المدرسية». أن تكون مشغوفًا هو أمر ضروري لإحراز نجاح حقيقي في أي شيء ترغب في عمله، وأنت، كطالب، تقع عليك مسؤولية أن تصبح مشغوفًا بالدراسة..حيث لا يمكن لأي شخص غيرك أن يصبح مشغوفًا بدلاً منك..لا يمكن أن ترث الشغف أو تحققه عن طريق وصفة سحرية، ولا يستطيع المدرسون أن يثيروا اهتمامك ما لم تكن ترغب في ذلك، على حين ينشأ الاهتمام التدريجي من رغبتك في الانهماك واستعدادك لبذل المجهود اللازم لتحقيقه.



ثلاثون طريقة لتحسين قدراتك

فإذا كانت تنقصك الحماسة في كل موضوع يُفترض أنك تقوم بدراسته فإن مشكلتك جدّ خطيرة.. وبدلاً من أن تهجر الموضوع كلية عليك أن تحاول معرفة أسباب نقص الحماسة لديك.

إن النجاح الحقيقي في الدراسة مستحيل من دون درجة ملموسة من الواقع والحافز.. لأن موقفك تجاه الدراسة يعتمد ـ على نطاق واسع ـ على الولع والحافز .. لهذا السبب يحدد موقفك تجاه شيء معين رد فعلك تجاهه.. سوف تتأثر حياتك كلها بما تشعر به تجاه أمور مثل: العمل ـ المال ـ الحب ـ الغذاء ـ الزواج ـ الصحة وأهداف المعيشة.

لقد قال شكسبير على لسان هاملت: «لا يوجد شيء طيب وآخر خبيث.. بل التفكير هو الذي يجعل الأمر كذلك».. دون الالتفات إلى عوامل البيئة والعوامل الوراثية.. فإن المواقف التي لها تأثير مباشر في دراستك في المدرسة أو الكلية في مرحلة الشباب تشمل النظام والمدرسين والزملاء من الطلبة والكتب التي تقرؤها. دعنا نلقِ نظرة على كل عامل من تلك العوامل بالترتيب:

النظام

إذا لم تستطع العيش في ظل النظام الذي يفرضه معهدك فينبغي أن تغيّر المدرسة أو تتركها كلية.. ولا تعني تلك العبارة أن تصبح عبدًا وتذعن لكل المطالب التي

يفرضها النظام.. فإذا لم تكن بعض القواعد والمتطلبات منطقية فإن لك الحق في محاولة تغييرها.

المدرسون

أحـد الأسـبـاب للرسوب هـو الميل إلى الاعتقـاد بأن بعض المدرسين أو كلهم أعداء لنا وليسـوا أصدقـاء.. ويعد بعض الطلبة ـ ومنهم الشباب والكبار ـ المدرسين كـثيري المطالب، غـيـر متـعـاطفين، وآثمين. ومما يساعدك في التغلب على هذا الشعور هو أن تتـذكر أن كل مـدرس هو أولاً إنسان وثانيًا مـدرس. وكـونه إنسانًا، فـإن له نقـاط قـوته وضعفه تمامًا كالطلبة.

زملاؤك الطلبة

ما لم تكـن من رجال السياسة فلا يوجد مبرر لأن تحاول معرفة كل زملاء الدراسة أو تملقهم.. حتى ولو كـان الأمر كذلك.. فإذا تجاهلت هؤلاء الزملاء، فـقـد تهمل وسيلة مهمة لتطوير تعليمك.

إنك تحصـل على كثير من التعليم خارج نطاق الفصل ويتعـاون معك زملاؤك بشكل كبيـر في عملية التعلم هـذه.. وقد يكون ما تتـعلمـه منـهم مـفـيـدًا أو ضـارًا، وفي كلتـا الحـالتـين فـهـو مـهـم حيث تجني فـائدتين عظيمـتين من عملية التعلم بالمدرسة، وهما أن تتعلم كيف تتـعامل مع الآخرين وتشارك في تجاربهم المشتركة.

تُستـخـدم كـثيـر من الأدوات لتـزويدنا بالتـعليم: المحاضـرات ـ الحلقات الدراسـية ـ مراكـز التعليم ـ المعـامل والأشياء الـشبيـهة. تعد تلك الأشياء جـميعًـا ذات أهميـة ولها مـوضـعـهـا، لكن أداة التـعليم الأكـثـر أهميـة وتركـيـزًا هي الكتـب.. ويعكس شـعـورك نحو الـكتب موقفـك تجاه كل نظم التـعليم الرسـمـيـة.. إذا كنت تحب الكتب ـ بوجه عام ـ فـقـد تـوافـرت لـك مـيـزة كـبـرى.. فـإذا لـم تكن تحب الكتب ولا تثق فـيـها وتخـاف منها، عليك أن تواجـه الحقيقـة التي تقول إن كل نظم التـعليم ـ تقريبـا (بما فيهـا تلك التي توفـرها المدارس التـجـارية ـ المعـاهد الفنيـة ـ مـدارس السـكرتارية ـ المراكـز الزراعـيـة) ـ تعتمد إلى حد ما على الكتب.



ثلاثون طريقة لتحسين قدراتك

وينتـهي هذا الجزء من الكتـاب ليبـدأ جزء آخر، يقـول فيه المؤلف تحت عنوان «افـهم ما تقرؤه»: علينا أن نواجه الحقيقة الراسخة التي تقـول: إنه لا توجد أيـة مهـارة مكتـسبـة في أثناء سنوات الدراسة بالمدرسة أكثـر مساعدة وقيـمة ـ الآن وفيمـا بعد طوال الحياة ـ أكـثر من القدرات الخاصة بـ :

١ ـ فهم ما تقرؤه.

٢ ـ القراءة بسرعة معقولة..

إن التنميـة الواثقة والثـابتة لهـاتين القدرتين لهي خطـوة أكـيـدة نحـو الحـصـول على درجـات أفـضل، وتحـقيق الـرضـا الداخلي والوصول إلى مـواقف متغيرة باتجاه العـملية الكلية للحياة والتعلم.

لقــد أوضح تومــاس كــارليل الـكاتب والمؤرخ الأسكتلندي هذا الأمـر بجـلاء حين قال: «إذا فكرنا في الأمـر وجدنا أن الجامعة لا تفـعل لنا شيئًا أكـثر مما فـعلته لنا المدرسـة الأولى ألا وهو تـعليـمنا القراءة».

ويـوضح الـكتــاب الوصايا العشـر للقراءة مع الفهـم:

١ ـ قَـرِّر وتوقـع أن تتذكر ما تقرؤه.

٢ ـ تذكـر أن القـراءة هي التفكير مع المؤلف.

٣ ـ ركِّـز: اقرأ في أثناء الـقراءة ولا تفـعل أيّ شيء آخر.

٤ ـ اقرأ بسـرعـات مـتـعـددة.. أبطئ أو أسـرع حـسب صـعـوبة المادة المقـروءة أو سهولتها.

٥ ـ اكـشـف عن الكلمـات الـتي لا تعرف معناها.

٦ ـ ابحث عن التلمـيـحـات والمعـاني الغامضة.

٧ ـ ادرس الـهـوامـش والـرسـوم والمصوَّرات والرسوم البيانية المصاحبة.

٨ ـ ابحـث عـن الأفكار الرئيسـة وركـز على عنـاوين الفـصـول والجـمل الخاصـة بالموضوع.

(فإن القراءة ليست فـي المقام الأول مسألة كلمـات وجـمـل بل هي تهـتم بـالأفكار فابحث عنها).

٩ ـ في أثناء قـراءتك، اصنع مـذكـرات عقلية أو مدونة في مفكرتك.

١٠ ـ مـارس التـلخـيص أو الشـرح باسـتـمرار بالنسبـة لكل فـقـرة أو موضـوع رئيس بعد الانتهاء من قراءته.. وافعل الشيء نفسه بالنسبة لمقرر دراسي كامل.

كرامات الأولياء بين الوهم والحقيقة

الشيخ
محمد فتحي راشد الحريري

تروج على ألسنة كثير من الناس في هذه الأيام عبارات الولاية والكرامة، وإضفاء هالة من التمجيد على أناس معينين، بعضهم رحل إلى ربه، وبعضهم أحياء بين ظهرانينا، قسم منهم يمارس طقوسًا من الألاعيب السحرية مثل ضرب (الشيش) والمشي على الجمر وقراءة الكفّ ومعرفة الطالع، مستندين إلى أنَّ الله تعالى يضع سِرّه في أضعف خلقه، وهو يمنح الولاية لمن يشاء من عباده، فأولياء الله ذوو كرامات باهرة، وأعاجيب خارقة، لا يجوز أن تُناقش أو تُعارض، فمن سوَّلت له نفسه اختراق سُجفهم، أو التشكيك فيهم فقد كفر، إنهم أولياء الله «لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» ويجب علينا أن نسلّم لهم بكل شيء، مقدّسين حضراتهم، ونتخذهم رموزًا في تديّننا فمن لا شيخ له فإن شيخه الشيطان كما يقولون..

وجلاءً للحقيقة، وتبيانًا لهذه الأمور نرى أن الكرامات باب عريض اندسَّ من خلاله بعض المارقين، وجازت به على كثير من الناس الحِيَل والترهّات والأوهام والخزعبلات، ومنها:

١- ترويج أباطيل ومنكرات بعض الضالين لتزيينها في عقول العامة، ويوهمونهم أنهم أفاضل ومن هذا الباب ما نسب من كرامات باطلة لمحيي الدين ابن عربي والحلاج وغيرهما من أصحاب وحدة الوجود..

٢- اختلاق كرامات مزعومة، ونسبتها لبعض المشايخ والعلماء، ظنا من بعض الدهماء أن هذا يضفي مرتبة عالية على بعض العلماء والأعلام المعروفين، لاكتسابهم إلى صفوف الصوفية المنحرفة، ومن ثم إيهام العوام بأن فلسفتهم هي الدين الحق، مثل ما نُسب زورًا وبهتانًا للإمام النووي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، والجباوي، والأوزاعي، وهم من ذلك براء.

٣ - التفنن في تصنيف بعض الصحابة وبخاصة آل البيت، وأهل الصُّفَّة ضمن قائمة تصوفهم المنحرف واصطناع ما يسمى بالسلسلة، أو تلفيق أنساب توصل بعض الأوشاب لنسب المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم، وبعضهم يفعله عن حسن نيّة، ظانًا أنه يحسن صنعا، ومن هذا الباب ما يقال عن أحمد الرفاعي، والبدوي، وأتباع أبي الهدى الصيادي (الروّاس)، وغيرهم ممن روّجوا عبادة القبور والتبرك بالمزارات والاستغاثة بالأولياء، فترى عباراتهم (يا جداه.. يا غوث.. يا..يا... إلخ).

ما الولاية

يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المشهور عن ربّه عز وجل: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب...» الحديث، والولاية باتفاق الأمة ضد العداوة، وأصلها المحبة والتقرب لغة. يقول ابن حجر في (فتح الباري): المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته، المخلص في عبادته، وهذا التفسيرللولي هو المناسب لمعنى الولي مضافًا إلى الرب عز وجل، وهو القائل: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون. لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾ (يونس:٦٢ - ٦٤). فأين هذه الولاية من ولاية أناس ضالين ادّعوا أن الله تعالى كشف لهم حجب الغيب، وأنهم يمشون في قبورهم وينبئون الناس بما يعملون، بل يتكهنون بأقدار الناس، وبعضهم وصل به الغلو إلى حدّ رفع التكليف عنه عملاً بقوله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ (الحجر:٩٩)، فقالوا إنهم قد وصلوا رتبة اليقين، ورفع الله عنهم أعباء العبادات، فلا يُصلّون ولا

كرامات الأولياء بين الوهم والحقيقة

يصومون ولا يحجون. وأعرف واحدًا منهم - له حاشية تروج لكراماته ومقاماته التي يزعمون - يفطر في رمضان في رابعة النهار، وعلى قارعة الطريق، ولما سألته قال لي: أنت جاهل، لأنك تصوم صوم العامة، أما أنا فأصوم صوم الخاصة، وراح يهذي بكلام ممجوج، وتأويلات مسفّة، وألاعيب مهووسة من خبل الشيطان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

القاعدة الشرعية

تقول القاعدة الشرعية إن ما كان معجزة لنبيّ جاز أن يكون كرامة لوليّ، ومن هذا الباب فهم السلف الصالح كرامة أصحاب الكهف، ومريم العذراء، وحبيب النجار، وآصف بن برخيا، وخبيب الصحابي صاحب قطف العنب، وكرامات أبي بكر وعمر، وغيرهم من العباد الذين أخلصوا لله تعالى فأكرمهم، ولا ننسى أنهم غير معصومين، بل لم يدّعوا العصمة، ولم يمارسوا الشعوذة ولم يلتهموا الجمر. أقول: لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو من هو دنيا وآخرة، لو ضرب نفسه (شيشًا) واحدًا ومشى على الجمر لآمن أعتى الناس من كفار مكة، لكن الله تعالى شاء بإرادته الحكيمة في الأزل أن يبني هذا الأمر على معجزة عقلية فكرية حضارية ثابتة، لا على بنيان مؤقت، فكانت معجزة القرآن الكريم الخالدة.

وذلك الجيل القرآني الذي صدَّق وجاهد كان ذا رتبة رفيعة من العلم والإيمان، وقلَّ أن يقع منه ما يخالف الصواب، وحتى لو وقع منه شيء من هذا فلا يخرجه من دائرة الولاية، كما يجوز أن يخطئ المجتهد وهو مأجور على اجتهاده، فأين هؤلاء من ذلك الجيل الذي ما عرف شيئًا من طقوسهم ومجونهم، بل ولم يُذكر عنه شيء من الحكايات المقيتة التي يستحي الإنسان من ذكرها؟ وأحيل القارئ الكريم إلى كتاب الطبقات الكبرى للشعراني - وهو من كتبهم المقدسة - ليرى بنفسه تلك الكرامات الموهومة، والأكاذيب المزعومة، ويكفي أن أكثر أبطالها عرفوا بألقاب قميئة مثل (المجذوب - والمجنون - والمعتوه ورفيق الكلاب...) وبعضهم كان يخطب الجمعة عريانًا، أو يفعل المنكرات، وغير ذلك مما لا مجال لذكره، ويُسمّون ذلك كرامات خاصة، والعياذ بالله.

نقطة أخرى نضيفها في القاعدة الشرعية المشار إليها آنفًا، وهي وجوب التفريق بين المعجزة التي هي من صنع الخالق، والكرامة، إذ إن المعجزة مصحوبة بالتحدي من جهة، وبدعوى النبوة من جهة أخرى، ومن ثم فهي شهادة صدق على نبوة النبي، وأنه مرسل من عند الله تعالى.

ويقول ابن تيمية رحمه الله مناقشًا آراء المتكلمين في المعجزة:

«لا يشترط فيها أن تكون خارقة للعادة، هو حقيقة قول القاضي (المعتزلي)، وأمثاله من المتكلمين والأشاعرة ومن وافقهم كأبي يعلى وأمثاله، فإن المعجزات عندهم لا تختص بجنس من الأجناس المقدورات، بل خاصتها أن النبي يحتج بها، ويتحدى بمثلها فلا يمكن معارضته، فاشترطوا لها وصفين:

١ - أن تكون مقترنة بدعوى النبوة.

٢ - أن لا تعارض

وبالأول فرقوا بينها وبين الكرامات. وبالوصفين فرقوا بينها وبين السحر والكهانة».

أما أصحابنا فيخلطون وينسبون لمشايخهم ما يرفعهم إلى مرتبة النبوة، وما هم في الحقيقة سوى مهرجين دجالين يتلاعب بهم الشيطان، ويلبّس عليهم.

أحكام في الولاية والكرامة

أ - لا يجوز للولي أن يعتقد أن كل ما يقع له من الواقعات والمكاشفات هو كرامة من اللّه، فقد يكون من تلبيس إبليس وخداعه، بل عليه أن يعرض أقواله وأفعاله على الكتاب والسنة، فإن كانت موافقة لهما فهي حق وصدق وكرامة خاصة به، وليشكر الله، وإن كانت مخالفة، فليعلم أنه مخدوع، قد لبّس عليه الشيطان، وليتب إلى الله. فلا ينكر مقام الولاية مما يقع من رؤيا صالحة وفراسة وجلب نعمة ودفع نقمة عن بعض الصالحين، فهذا باب ثبت في الصحيح. قال صلى الله عليه وسلم: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر منهم»، وحديثه صلى الله عليه وسلم عن الرؤيا الصالحة للصالح يراها أو تُرى له. ولكن علينا أن نلاحظ أن هذه الشهادة لسيدنا عمر - مثلا - لم ترفعه فوق الصحابة، فتجعله يدعي العصمة ورفع التكليف، بدليل أنه كان يشاور أصحابه ويراجعهم ويراجعونه كما في قصة المرأة التي خَطّأته وهو على المنبر، فيقبل منهم. وحقّ على الولي الصادق أن يكون مقتديًا متبعًا لا مبتدعًا فيعرض أعماله على ميزان الكتاب والسنة.

ب - هناك مُدّعون لهم تابع من الجن وقد يظهر على يديهم ما يظن - حين لا يستحضر هذا الأمر - أنه من الكرامات، وهو في الحقيقة مخاريق شيطانية و(جدبات طرزانية)... وقد ظهر شيء مما يظن أنه كرامة من أهل النارنجات والطلاسم وأصحاب الممارسات الرياضية كالصيام واليوجا والنوم المغناطيسي، ولو كانت هذه الأمور كرامات لجاز لنا أن نصنّف البراهمة والبوذيين وكثيراً من الفرق الباطنية، ورياضيي السيرك والموسيقى أقطابًا في سُلّم الكرامات، لكنها كرامات مزورة، ما أنزل الله بها من سلطان.

ج - الكرامة جائزةٌ شرعًا فهي إذن واقعةٌ عملاً، لكن التوسع في هذا الباب يفتح بابًا لكثير من المفاسد، أهمها انتحال الفاسقين صفة الأولياء. إن صاحب الكرامة لا يعربد بها تاركًا فرائض الله، وإنما هي سر خاص بينه وبين ربه يثبته على الحق، ويزيده إيمانًا وإخلاصًا ونقاء سريرة، أما ممارسات بعض الأدعياء فهي غثاء وقتام وألاعيب لا تصمد أمام أدنى برهان، ولا حجة لأصحابها إلا أن يدندنوا بأنّ الله على كل شيء قدير، وأن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وفاتهم أن الله تعالى قادر أيضا على فضح ألاعيبهم..

أوهام أصحاب الكرامات المزورة

لعلّ عمدة إثبات الكرامات لأولياء الله الصالحين هي الحديث الشريف الذي ألمحنا إليه (فتح الباري شرح صحيح البخاري ج٨: ١٣١، طبعة الشعب). وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الحديث إنه أصحُ حديث رُوي في الأولياء، وخرَّجه السيوطي من عدة طرق فقال: «إن رجال أسانيد هذا الحديث بطرقه المتعددة قد حازوا القبول»، ولذلك لا يعتد

بقول من ادّعى أنّ هذا الحديث من غرائب البخاري كما فعل محمد رشيد رضا (صاحب المنار).

وقد جعل الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ هذا الحديث مدارًا لكتابه القيّم «قطر الولي على حديث الولي» أو ولاية الله والطريق إليها، وتنبع أهمية هذا الكتاب من أهمية مؤلفه وهو من حارب التقليد والجمود، ودعا للاجتهاد دون تعصب، ويشهد على ذلك كتبه ورسائله (١١٧٣ ـ ١٢٥٠هـ).

يورد ـ رحمه الله ـ في كتابه دلائل وحججًا للفرق بين الكرامة والجدبة المزعومة، بين ولي الرحمن، وولي الشيطان، مثبتًا وقوع الكرامة عملاً بالقاعدة الشرعية التي ذكرناها آنفًا. ويذكر صورًا حقيقية لهذه الكرامات من حياة الصحابة خير القرون، والله تعالى يمنّ ويتفضل على من يشاء من عباده، ومن ذلك:

١ ـ أُسيد بن حُضير: الصحابي الأنصاري الذي شهد أُحدا وما بعدها ـ ت ٢٠هـ ـ كان يقرأ سورة الكهف فنزلت عليه السكينة من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهم الملائكة.

٢ ـ عمران بن الحصين: كانت الملائكة تسلم عليه.

٣ ـ سلمان الفارسي وأبو الدرداء رضي الله عنهما: كانا يأكلان في صحفة فسبّحت أو سبّح ما فيها بصوت مسموع.

٤ ـ خُبيب بن عدي: لما أسره المشركون (بنو الحارث) كان الله يأتيه كل يوم بقطف عنب، وما في مكة كلها يومئذ ثمر.

أما أصحابنا فيقول لهم صاحب الرسالة القشيرية: «لا يتم قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق»، وبهذا يزين للأولياءالعزلة. ونحن نعلم أن العزلة محمودة وجائزة فيمن لا نفع فيه للعباد، أما من كان ينفعهم بعلمه أو جهاده أو بمواعظه أو بإنكار المنكر والقيام فيهم بما أوجب الله على مثله القيام به فهذا يكون قربه للخلق أقرب إلى الحق، ومخالطته للناس أفضل حتى من اعتكافه، فذلك مقام الأنبياء ومقام العلماء الذين أخذ الله عليهم البيان للناس.

نلاحظ أن غالب خوارق اليوم عمدتها العزلة والخلوة، بل إنهم يمجدون ذلك موهمين البعض أنهم مقتدون بتحنّث رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء قبل البعثة. (وهل أفعاله قبل البعثة تدخل في السنّة؟!) ومن أوهام بعض متكلميهم (أن كرامات الأولياء على عمومها وإطلاقها صحيحة تمامًا، إلا أنها مهزوزة لعامة الناس، بالنسبة لطاقاتهم الروحية، أما بالنسبة للعبّاد والزهاد والعارفين بالله وهم قلة، فإن كرامات الأولياء ـ كالسيد البدوي وغيره ـ لهم حقيقة مؤكدة لما لديهم من المعرفة).

بهذا الكلام المعسول المخادع يحاول صاحبه أن يوهمنا أنهم ـ أصحاب الحقيقة ـ قادرون على إدراك ما لا يدركه الناس، ومعرفة ما لا يعرفه غيرهم، وحتى نفهم سرّ كراماتهم يجب أن ننخرط في مسلكهم لنرى ونعرف مثلهم.. يذكرني هذا الكلام الدعائي بقصة الأمير المغرور حين خدعه بعض المحتالين أنهم سوف ينسجون له ثوبًا لا يرى خيوطه الحمقى، ولا يدرك قيمته سوى أهل الحكمة، ولما كان الرجل من أهل الحكمة ـ كما توهمه نفسه ـ وافق ونقدهم أجورهم، وكانت النتيجة أنه خرج عريانًا يتندر به الأطفال في الطرقات وهي من قصص الأطفال المشهورة.

وهكذا يريد صاحبنا أن ندعي أن مستوانا الروحي عالٍ فنمرر له ألاعيب أساتذته ومكرهم.

النتيجة

إن كرامات الأولياء أمر لا غبار عليه، ولكن بصورته الشرعية، وليس بهذه الصورة المقززة التي يقدمها لنا جهال ومنبوذون ومراهقون، وأنصاف علماء، أو بسطاء أو خبثاء، لا نصيب لهم من العلم إلا فتات التكايا وموائد الأثرياء، وليس لديهم شروى نقير من المعرفة والأصول والمنطق، حجتهم أوهام كما ذكرنا، وغير ذلك من أحلام اليقظة التي تشبه أحلام وخيالات المدمنين حين يفرّون من واقعهم، ويحققون بعض الأماني بجرعة مخدّر، وهؤلاء خدعهم إبليسهم أنهم أهل الباطن وما عداهم أهل الظاهر، وأن شيخهم سيجوز بهم الصراط يوم القيامة، وأن الغوث الأكبر يقدّر لهم الأرزاق، وأن قطبهم لو يشاء لصير لهم الرمال طحينًا وذهبًا.. إلى ما هنالك من كلام يجر الويلات على المسلمين في عصر التقدم العلمي، مثلما جرّ ثبورًا في بواكير نشوئه في عصر الانحدار، وضياع الخلافة الإسلامية، وبروز الدويلات، ومذاهب الباطنية والكلامية، وحسبنا دليلا على وجوب إغلاق الأبواب في وجه أصحاب الكرامات المزعومة أنّ ساسة الغرب اليوم ـ وفي فرنسا بالذات ـ يحاولون بعث فلسفة ابن عربي صاحب وحدة الوجود ومذهب الحلول والتثليث، وهرطقات الحلاج اللذيْن أجمع السلف على مفارقتهما لمذهب أهل السنة والجماعة، ليوهمونا بأنهم مفكرون، ولهم آفاق سامقة في الحكم والنظريات التربوية، وسرعان ما يُخدع بهم أولئك السطحيون ـ أتباع كل ناعق وناهق ـ فيهرعون إلى مخدراتهم الخاصة من كرامات الشيخ (مكلم الكلب) و(الشيخ أبي القطط) ورموز سرابية كهنوتية أخرى وأفعال وخوارق يمكن الاستفادة منها في غزو الفضاء، وإعادة المبعدين من (مرج الزهور) أو إقناع أصحاب المكتب البيضاوي بعدالة قضايانا.. ولست مبالغا هنا أبدًا، إذ مازلت أذكر أنّ أحد طلابي قال لي مرة: إن شيخه قد أخبره بأنه وطئ سطح القمر قبل نيل أرمسترونغ!

ولا نبالغ إذا تندرنا بهذا الأسلوب من كراماتهم ومجونهم التي يجترها أصحاب الأنس والتأنيس، فلا تعدو كونها نوعا من الإسقاط، فيحققون بالحلم ما عجزوا عن إدراكه في الواقع.

يطاولون بكراماتهم الأولياء الصالحين الذين امتدحهم الله تعالى، ولعلهم يفرّجون بعض الكبت المخزون في نفوسهم، أو لعلهم يظنون أنهم متدينون محافظون، والدين الإسلامي واضح جلّي لا مكان فيه للباطنية والرمزية والكهنوتية والطوطمية ولا المنبوذية ولا للهرطقات الخرافية الجاهلة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»..

المصادر:

ـ القرآن الكريم.
ـ صحيح البخاري، وشرحه (فتح الباري).
ـ قطر الولي على حديث الولي، للشوكاني.
ـ النبي محمد إنسان الإنسانية ونبي الأنبياء: عبد الكريم الخطيب.
ـ كتاب النبوات: تقي الدين أحمد بن تيمية.
ـ تلبيس إبليس: لابن الجوزي.
ـ الطبقات الكبرى: عبد الوهاب الشعراني.
ـ الرسالة القشيرية: للقشيري.
ـ البداية والنهاية: للحافظ ابن كثير.
ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للأصبهاني.
ـ المعجزة وكرامات الأولياء: لابن تيمية.
ـ ملحق جريدة الخليج، مجلة الصائم، في يومي ٢٠ رمضان و٢٨ رمضان، ١٤١٣هـ ـ الشارقة. العددان ٥٠٥٥ و٥٠٦٣.



الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي

أدباء تونسيون معاصرون (٢)

(ع)

عبد العزيز قاسم

من مواليد سوسة في عام ١٩٣٣م. عمل مديراً عامًا للإذاعة والتلفزة التونسية، كما عمل مديراً لعدد من دور النشر والمؤسسات الثقافية والإعلامية.

نشر نتاجه الشعري وبعض الدراسات الأدبية في عدد من الصحف والمجلات التونسية.

وهو حاصل على جائزة ابن زيدون في الشعر من المعهد العربي الإسباني في مدريد.

من مؤلفاته: ديوان «حصاد الشمس» (١٩٧٠م)، و«نوبة حب في عصر الكراهية» (١٩٩٠م).

عبد الواحد إبراهيم

أديب، من مواليد مدينة بنزرت في عام ١٩٣٣م. درس في جامع الزيتونة، وعمل مدرساً في التعليم الابتدائي، كما شغل عدة مناصب في وزارة الثقافة. بدأ حياته الثقافية شاعراً، ثم تحول إلى عالم القصة، وكتب عن الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي في تونس والجزائر، كما كتب في النقد الاجتماعي. انصرف مؤخراً إلى أساليب الكتابة الحديثة.

من أعماله القصصية: مجموعة «ظلال تحت الأرض» الحاصلة على الجائزة التشجيعية من وزارة الثقافة التونسية، ومجموعة «مربعات بلاستيكية».

عثمان الكعّاك

أديب وباحث، من مواليد ضاحية قمرت شمالي العاصمة تونس في ١٩٠٣م. تخرج في مدرسة اللغات الشرقية بجامعة السربون. عمل في حقل التعليم أستاذاً بالمدرسة العليا للآداب واللغة العربية. أشرف على أمانة القسم الشرقي بدار الكتب التونسية، وعمل مستشاراً لوزير الثقافة التونسي. زار العديد من الجامعات العربية، وقدم محاضرات في مجالات تخصصه. نال عضوية المجمع اللغوي بدمشق.

اهتم في كتاباته بالتاريخ والأدب واللغة والتراث الشعبي (الفولكلور). ومن مؤلفاته: «البربر»، «الفلكلور العراقي»، «مراكز الثقافة بالمغرب»، «الحضارة العربية في الجزر الوسطى للبحر المتوسط»، و«الفلكلور التونسي».

عروسية النالوتي

قاصة وروائية، من مواليد جربة جنوبي تونس في ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٠م. عملت في حقل التربية والتعليم مُدرِّسة للغة العربية، كما التحقت بالإذاعة التونسية. بدأت نشاطها الأدبي في مطلع السبعينيات، ونشرت نتاجها في عدد من الصحف والمجلات.

من أعمالها: مجموعة قصصية بعنوان «البعد الخامس» (١٩٧٥م)، ورواية بعنوان «مراتيج» (١٩٨٥م).

علالة القنوني

شاعر من مواليد مدينة بوسالم في شمال غربي تونس. يعمل في حقل التعليم. نشر نتاجه في عدد من الصحف والمجلات.

من مؤلفاته: ديوان «رفض البحر أن يكون جدولاً»، و«بردة العصر»، ومسرحية شعرية بعنوان «المشط».

(ف)

فاطمة الدريدي

شاعرة، من مواليد تونس العاصمة في ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٣م. تعمل موظفة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «أليسكو».

نشرت أول قصيدة شعرية من نتاجها في عام ١٩٦٦م، وقد تأثرت في تناولها الشعري بمدرسة شعراء المهجر. لها مجموعة شعرية بعنوان «ضحكات عيون باكية» (١٩٧٨م).

فاطمة سليم

من مواليد تونس العاصمة في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٣م. تلقت دراساتها في مدرسة ترشيح المعلمات، وفي كلية الشريعة وأصول الدين، ومارست مهنة التدريس في المرحلة الابتدائية خلال الفترة من ١٩٦١م

إلى ١٩٧٣م. وهي عضو في الهيئة المركزية للاتحاد الوطني النسائي التونسي، وتشارك في تحرير مجلة «المرأة» الصادرة عن الاتحاد.

نشرت بعض أعمالها في عدد من الصحف والمجلات، وصدرت لها مجموعتان قصصيتان بعنوان «نداء المستقبل»، و«تجديف في النيل».

فضيلة الشابي

من مواليد مدينة توزر جنوب غربي تونس في ٢٤ كانون الثاني (ديسمبر) ١٩٤٦م. تعمل في حقل التدريس مُدرّسة للغة العربية.

من أعمالها المنشورة: مجموعة شعرية بعنوان «روائح الأرض والغضب» (١٩٧٣م)، وديوان «الحدائق الهندسية» (١٩٩٠م)، ورواية بعنوان «الاسم والحضيض» (١٩٩٣م).

(م)

محمد أحمد القابسي

شاعر وصحافي، من مواليد مدينة قليبية. تخرج في الجامعة التونسية، وحصل على الإجازة في اللغة والأدب العربي. عمل في مجال الصحافة مشرفاً على الملحق الثقافي بجريدة «بلادي»، والتحق بالعمل في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليسكو).

اشتهر القابسي باتجاهه لكتابة قصيدة النثر، ونشر نتاجه الشعري في عدد من الصحف والمجلات التونسية والعربية (١٩٧٤-١٩٧٧م)، كما شارك في إعداد برامج ثقافية وفكرية قدمها عبر الإذاعة والتلفاز.

من مؤلفاته: ديوان «البحر في كأس» (١٩٧٧م)، و«كتاب العناصر» (١٩٨٥م).

محمد الخالدي

من مواليد منطقة المتلوي في ١٩٤٨م. تخرج في دار المعلمين، وحصل على البكالوريوس، والماجستير في اللغة العربية من جامعة بغداد ١٩٧٧م.

من مؤلفاته: ديوان «قراءة الأسفار المحترقة» (١٩٧٤م)، و«كل الذين يجيئون يحملون اسمي» (١٩٧٨م)، ومن أعماله غير المنشورة: «الصحراء تحتفي بالأعشى»، و«كتاب السيرة»، و«كتاب السماع»، و«مباهج»، و«التباريح».

محمد الشاذلي خزندار

شاعر، من مواليد تونس العاصمة في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨١م. تلقى علوم العربية عن والده مصطفى خزندار (الوزير الأول سابقاً)، ودرس في جامع الزيتونة. التحق بالسلك العسكري وتقلد عدة مناصب. لُقب في أوساط الأدباء التونسيين بـ «أمير الشعراء».

من مؤلفاته: «ديوان خزندار» الجزء الأول ١٩٣٤م، والجزء الثاني ١٩٣٦م، وقد أُعيدت طباعة الديوان كاملاً ١٩٧٣م، ولديه مسرحية شعرية، وإصدار بعنوان «حياة الشعر وأطواره».

توفي في ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٤م.

محمد الشعبوني

شاعر ومؤرخ، من مواليد صفاقس في ٢٧ آذار (مارس) ١٩٣٨م. درس في جامع الزيتونة، وحصل على شهادة العالمية في الآداب، كما حصل على الإجازة من كلية الشريعة وأصول الدين. عمل لعدة سنوات في حقل التدريس، وأعدّ بعض البرامج الثقافية لإذاعة صفاقس. شارك في تأسيس عدة جمعيات أدبية وثقافية، ولديه مشاركات في التوثيق والتأريخ لأعلام الفكر والحضارة والمعالم والمواقع الشهيرة.

ينتمي إلى المدرسة التقليدية في الشعر. نال جائزة محمد محفوظ للإبداع الفكري عام ١٩٩١م.

من أعماله: ديوان «وحي الضمير» (١٩٧٣م)، و«أغاني الوقاد»، و«في ظلال الوجدان».

محمد الصالح الجابري

كاتب روائي وناقد، من مواليد توزر في ١٩٤٠م، حاصل على الدكتوراه. يعمل بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «أليسكو».

من أعماله المنشورة: روايات «يوم من أيام زمرا»، و«إنه الخريف يا حبيبتي»، و«البحر ينشر ألواحه»، و«ليلة السنوات العشر» التي عولجت من خلال فيلم سينمائي. وفي مجال الدراسات النقدية صدر له «الشعر التونسي المعاصر»، و«القصة التونسية: نشأتها وروادها».

محمد العائش القوتي

من مواليد المتلوي في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٣م. يعمل حاليًا في إدارة الإعلام بشركة فوسفات قفصة.

يتنوع نتاجه الأدبي بين الشعر والنثر، نشر بعض كتاباته في عدد من الصحف والمجلات التونسية.

من أعماله: ديوان «من يوميات عقبة بن نافع في بلاد القيروان» (١٩٨٣م)، ومجموعة شعرية مشتركة بعنوان «الرياح اللواقح» (١٩٨٠م).

محمد العروسي المطوي

أديب وسياسي وباحث، من مواليد بلدة المطوية بولاية قابس ١٩٣٠م. عمل في مجال التدريس، وفي السلك الدبلوماسي. وخاض غمار السياسة من خلال عضوية البرلمان لفترة طويلة. ترأس هيئة اتحاد الكتاب التونسيين، واتحاد الأدباء العرب. من مؤسسي نادي القصة، ومجلة «قصص» بنادي «أبو القاسم

الشابي الثقافي» بالوردية في العاصمة تونس.

أسهم في إعداد العديد من البرامج الإذاعية الثقافية، وكتب الشعر والقصة القصيرة والرواية، وحقق المخطوطات، وله أبحاث في التاريخ والحضارة ومقالات متنوعة في الفكر والثقافة.

يعدّ من رواد شعر التفعيلة في تونس، غير أن شهرته قاصًا وروائيا وباحثا طغت على الجانب الشعري.

من مؤلفاته: ديوان «فرحة شعب»، و«شعر من لهيب الكفاح الوطني» (١٩٦٣م)، و«من الدهليز» (١٩٨٨م)، والجزء الثاني من «فرحة شعب» (١٩٧٤م)، ومن أعماله الروائية: «التوت المر»، «حليمة»، «من الضحايا»، ولديه مجموعة قصصية بعنوان «طريق المعصرة».

محمد علي الهاني

من مواليد توزر في ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩م. يعمل حاليًا في حقل التعليم.

نشر نتاجه الشعري في عدد من الصحف والمجلات التونسية والعربية. حصل على جائزة الدولة التشجيعية ١٩٨٣م.

من مؤلفاته: ديوان «الجرح المسافر» (١٩٨٠م)، ومجموعة شعرية للأطفال بعنوان «أهازيج» (١٩٨٣م)، وكتاب «قسمة لغوية» (١٩٩٣م).

محمد عمار شعابنية

أديب وكاتب مسرحي، من مواليد مدينة المتلوي بولاية قفصة في ٢٨ تموز (يوليو) ١٩٥٠م. تلقى تعليماً خاصًا في تونس وفرنسا وألمانيا. يعمل مديراً لدار الثقافة في المتلوي.

يتنوع نتاجه الأدبي بين الشعر والدراسة والمقالة والتأليف المسرحي. نشر بعض أعماله في عدد من الصحف والمجلات التونسية والعربية، وأسهم في إعداد برامج ثقافية متنوعة لإذاعة قفصة الإقليمية. وفاز بالعديد من الجوائز التشجيعية والتقديرية.

من أعماله المنشورة: ديوان «ألغام في مدينة بريئة» (١٩٧٦م)، و«طعم العرق» (١٩٨٥م)، ولديه مسرحية شعرية للأطفال بعنوان «نحن اكتشفنا الوطن» (١٩٨٥م).

محمد الفاضل بن عاشور

من أعلام الفكر الإسلامي، ولد في تونس العاصمة عام ١٩٠١م. تتلمذ على أيدي أشهر علماء الإسلام في عصره. كان إلى جانب نشاطه الواسع في مجال التعليم والتربية الإسلامية، مجاهداً ضد الاستعمار. ولذلك سجن عام ١٩٤٦م. أنشأ أول معهد للبحوث الإسلامية في تونس.

تقلد عدة مناصب مهمة. وإضافة إلى عضويته في مجامع اللغة العربية الثلاثة (القاهرة ، ودمشق، وبغداد)، كان عميداً بكلية الشريعة وأصول الدين، وبعد استقلال تونس عين مفتشاً عامًا للبلاد.

من آثاره كتاب في التفسير عنوانه «التحرير والتنوير» (١٣جزءاً)، وله عدة مؤلفات في مجال الفكر الإسلامي، منها: «التفسير ورجاله»، «أعلام الفكر الإسلامي وتاريخ المغرب العربي»، «تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة»، «الحركة الأدبية والفكرية في تونس»، «تراجم الأعلام». توفي سنة ١٩٧٠م.

محمد المرزوقي

أديب ومؤرخ، من مواليد قرية العوينة، ولاية قبلي جنوبي تونس في ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م. نال دبلوم العلوم من المدرسة الخلدونية ١٩٣٣م، ومن المدرسة الأهلية ١٩٣٥م. وحصل على شهادة التحصيل ١٩٤٤م. عمل في مجال الصحافة بجريدة «النهضة» التونسية (١٩٤٤-١٩٥٣م)، ثم التحق بالعمل في المعهد القومي للآثار، وأشرف على قسم المخطوطات والمنشورات العربية. عمل بوزارة الثقافة مشرفاً على مصلحة الأدب الشعبي. أحيل إلى التقاعد عام ١٩٧٦م.

أسهم في العديد من الجمعيات الثقافية والنوادي الأدبية والفنية والاجتماعية، وأعد للإذاعة التونسية مجموعة برامج فكرية.

يتنوع نتاجه الأدبي بين الشعر والقصة القصيرة والرواية والدراسات. تميز بدوره الواضح في التأريخ للأعلام والشخصيات والتوثيق للكفاح الوطني التونسي ضد الاستعمار، والتعريف بأبطال المقاومة وحرب التحرير. وأسهم كذلك بقدر وافر من نتاجه الفكري في جمع التراث والأدب الشعبي التونسي وتدوينه وتوثيقه، فعرّف بالقبائل والعادات والتقاليد في الريف التونسي والصحراء.

أنتج ما يقارب الخمسين إصداراً، عبّر فيها عن بيئته؛ ولذلك تم تكريمه في عام ١٩٧٩م، ومُنح جائزة الدولة التقديرية مع وسام الاستحقاق الثقافي.

من مؤلفاته: رواية «ضدان» التي فازت بجائزة بلدية تونس العاصمة (١٩٥٠م)، وديوان «بقايا شباب» (١٩٦٦م)، و«دموع وعواطف». وفي النثر صدر له كتاب «مع البدو في حلّهم وترحالهم»، و«من أحاديث السمر»، و«الجازية الهلالية».

توفي في ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨١م.

محيي الدين خريّف

شاعر، من مواليد نفطة بولاية توزر في ١٩٣١م. نشأ في عائلة اشتهرت بالعلم وفنون الأدب. عمل في حقل التدريس عشرين عاماً، والتحق بوزارة الثقافة مشرفاً على مصلحة الأدب الشعبي.

يتنوع نتاجه بين الشعر والمقالة والدراسة.

نشر بعض أعماله في عدد من الصحف والمجلات. فاز بجائزة مؤسسة عبدالعزيز البابطين للإبداع الشعري.

من مؤلفاته: ديوان «كلمات للغرباء» (١٩٦٩م)، و«حامل المصباح» (١٩٧٣م)، و«السجن داخل الكلمات» (١٩٧٥م)، و«مدن معبد» (١٩٨٠م)، و«رباعيات»، وكتب للأطفال: «أغاني الطفولة» (١٩٧٨م)، و«الطفل والفراشة الذهبية» (١٩٧٥م).

مصطفى الفارسي

أديب وكاتب مسرحي، من مواليد صفاقس في ١٩٣١م. حصل على الإجازة في الأدب العربي من جامعة السربون. عمل في الإذاعة والتلفزة التونسية، ورأس إدارة الشركة التونسية للإنتاج السينمائي، واتحاد الكتاب التونسيين.

يميل إلى كتابة الشعر باللغة الفرنسية، وقد عالج في كتاباته الظواهر الاجتماعية في فترة ما بعد الاستقلال.

من أعماله: رواية «المتعرج»، وثلاث مجموعات قصصية: «القنطرة هي الحياة»، و«سرقت القمر»، و«حركات»، وله إسهامات في كتابة المسرحيات منها: «الأخبار»، و«الطوفان»، و«البيارق».

المنصف الوهايبي

شاعر، من مواليد قرية يعين مجنونة بولاية القيروان في ٢٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٩م. تخرج في الجامعة التونسية، وحصل على الإجازة في الأدب العربي. يعمل مدرسًا في المعاهد الثانوية.

نشر نتاجه الشعري في عدد من الصحف والمجلات التونسية. يتسم شعره بالنزعة الصوفية، من أعماله: ديوان «ألواح» (١٩٨٣م).

منور صمادح

شاعر وإذاعي، من مواليد نفطة جنوبي تونس في ١٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٢م. عمل في مجال الصحافة، ونشر قصائده ومقالاته في عدد من الصحف والمجلات التونسية، وشارك في إعداد برامج ثقافية إذاعية.

من مؤلفاته: ديوان «فجر الحياة»، و«حرب على الجوع»، و«الفردوس المغتصب» (١٩٥٤م)، و«الشهداء: قصة النضال التونسي من أجل الحرية»، و«نسر ونصر»، و«صراع»، و«أدب وطرب».

(ن)

نعيمة الصيد

شاعرة وقاصة وكاتبة مسرحية، من مواليد مدينة القيروان في ١٠ تموز (يوليو) ١٩٤٥م. تخرجت في مركز الفن المسرحي بتونس العاصمة. عملت في حقل الصحافة عدة سنوات، في مجلة «الفكر» الأدبية. بدأت نشاطها الأدبي بقرض الشعر، ثم انتقلت إلى القصة القصيرة والخاطرة. نشرت نتاجها في عدد من الصحف والمجلات.

من أعمالها: مجموعة قصصية صدرت في الكويت عنوانها «الزحف» (١٩٨٣م)، وكتاب «رعشة حلم» (١٩٨٣م).

نور الدين صمود

شاعر وصحفي، من مواليد مدينة قليبية في ٦تموز (يوليو) ١٩٣٢م. درس في الكلية الزيتونية، وتلقى تعليمه الجامعي في مصر ولبنان وحصل على الدكتوراه. عمل في حقل التعليم مدرساً بالمعاهد الثانوية. أسهم في إعداد برامج ثقافية وفكرية للإذاعة التونسية. شارك في العديد من المؤتمرات الأدبية والمهرجانات الثقافية العربية والعالمية، وألقى محاضرات أدبية في عدد من الدول العربية.

عمل في مجال الصحافة، وتولى رئاسة تحرير مجلة «الشعر» التي تصدر عن وزارة الثقافة، كما تولى الإشراف على اللجنة الثقافية في قليبية. نشر نتاجه في عدد من الصحف والمجلات.

من أعماله: ديوان «رحلة في العبير» (١٩٦٩م)، «تبسيط العروض» (١٩٦٩م)، و«زخارف عربية» (١٩٧٦م)، و«هزل وجد»، و«العروض المختصر»، و«زهور وطيور»، ومجموعة شعرية للأطفال (١٩٧٩م)، وكتاب آخر بعنوان «المسعدي وكتاب المسدي».

(هـ)

الهادي نعمان

من مواليد مدينة المنستير في ١٣ تموز (يوليو) ١٩٣٧م. حاصل على شهادة العالمية في الأدب، والإجازة في الحقوق. وتخرج في دار المعلمين العليا بتونس. نشر بعض نتاجه الشعري في عدد من الصحف والمجلات.

من أعماله: ديوان «النغم الحائر» (١٩٦١م)، و«حساب السنين» (١٩٨٨م)، و«المجد الشاعر» (١٩٩٣م). توفي في ٣١ تموز (يوليو) عام ١٩٩٣م.

هند عزوز

قاصة وإذاعية، من مواليد تونس العاصمة في ١٨آب (أغسطس) ١٩٢٦م، تعمل بالإذاعة والتلفزة التونسية، وتتولى إعداد البرامج الثقافية والاجتماعية، أشرفت على الصفحات الأدبية في عدد من الصحف والمجلات التونسية.

من أعمالها: مجموعة قصصية بعنوان «في الدرب الطويل» (١٩٦٩م).

الأخ يوسف إبراهيم - اللاذقية - سورية:

أسئلتك أُحيلت إلى قسم المخطوطات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، وسننشر الإجابات بعد تلقيها من القسم.

الأخ محمود محمد السيد - سوهاج - مصر:

نعتذر من عدم نشر الصورة التي أرسلتها لعدم وجود مجال لذلك، والعددان المطلوبان سيرسلان إليك قريبا.

الأخ توفيق سعيد أحمد - عدن - اليمن:

الاستطلاع الذي نشرته المجلة عن مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض كان في العدد ١٥٠ لشهر ذي الحجة ١٤٠٩ هـ، وعنوان المدينة هو:

ص. ب ٦٠٨٦ الرياض ١١٤٤٢ المملكة العربية السعودية.

الأخ أحمد فايع العاصمي - محايل عسير - أبها:

قصص الكاتبة أجاثا كريستي موجودة في المكتبات التجارية والحصول عليها ليس صعبا، وكذلك ديوان «قلبي على وطني» للشاعر العراقي يحيى السماوي. أما البطاقة البريدية فمعناها البطاقة المصورة التي تُرسل بريديا وتستخدم أحيانا بدلا من الخطابات العادية ولها أغراض عديدة كالتهنئة وأغراض المراسلة الأخرى. ويمكنك مراسلة الأستاذ سليمان العيسى على عنوان تلفزيون المملكة العربية السعودية في الرياض. العدد المطلوب ومعلومات عن المجلدات ستصلك بواسطة البريد.

الأخ صاحب العنوان: المنزل ٣ الشارع ١٩ الحي السكني مغنية ١٣٣٠٠ - تلمسان - الجزائر:

كيف تطلب منا ألانهمل رسالتك في الوقت الذي «أهملت» فيه ذكر اسمك؟! لعل ذلك حدث منك سهوا، ورغم ذلك فلن نهمل رسالتك، والمعلومات الخاصة بالاشتراك في طريقها إليك.

الأخ منهل طارق الخالد - سراقب - سورية:

يمكن للشخص الذي ذكرته في رسالتك أن يرسل ما لديه من مشروعات للنشر، لتطلع عليها الجهة المختصة في دار الفيصل الثقافية ثم نوافيه بالرد، وعنوانها هو عنوان المجلة نفسه.

الأخ خالد بودارة - قسنطينة - الجزائر:

ليتك تحدد أسماء المجلات التي تسأل عن عناوينها.

الأخ تركي مسعود مستور - سراة عبيدة - أبها:

الطريقة الوحيدة للحصول على العدد الأول هو شراء كامل المجلدات، وذلك بسبب نفاد العدد الأول منذ سنوات بعيدة.

الأخ خالد عواد الزلياني - بدر - طريق المدينة المنورة:

سنحرص على أن تصل نسخ المجلة إلى المشتركين في أوقات مبكرة إن شاء الله.

الأخ عباس بابكر الأمين عبد الرحمن - بورتسودان - السودان:

ملاحظاتك محل اهتمام قسم الاشتراكات.

الأخ طاهر بن علي - قصر البخاري - الجزائر:

خدمات المعلومات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ستزودك بالمعلومات المطلوبة.

الأخ علي الزير - بانياس - سورية:

«الفيصل» صدرت شهرية وستظل كذلك - إن شاء الله -، وصدر العدد الأول منها في رجب ١٣٩٧هـ - يونيو ١٩٧٧م. أما الشاعران جميل بثينة ومجنون ليلى فقد كتبنا عنهما من قبل، ولا يمنع أن يُكتب عنهما مستقبلا متى ما أتيحت الفرصة المناسبة لذلك.

الإخوة: عيسى صالح ناصر - دمشق - سورية، شريف موسى عبد الكريم - تلمسان، محمد سحمادي - المدية - الجزائر:

المجلة لا تقدم اشتراكات مجانية، وتعتذر من عدم تلبية مثل هذه الطلبات.

الإخوة والأخوات: يحيى عبد الجليل دبوان - صنعاء - اليمن، حسن محمد أبو عيشة - المنوفية، عفاف مصطفى كمال - القاهرة - مصر، أبو حسام العنبساوي - السودان، نصيرة عمران - الجلفة - الجزائر:

نعتذر لكم لعدم إمكان تلبية رغباتكم لعدم علاقتها باختصاص المجلة، مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق.

الإخوة: أحمد عبد اللطيف سيد - مدينة نصر - مصر، عمر الفاروق محمد غصن - دمشق، سيف الدين نجم الدين حسين - الحسكة، عدنان محمود الجهماني وعدنان إبراهيم البلخي - درعا - سورية، محمد سعيد الشويخي - مدنين - تونس، علي رابح مسعود - تبسة، محاوشي محفوظ - التلاغمة، محمد بن حيزية - سطيف، السيد بن زليفة عباس - غرداية، عامر العياشي - القبة، عزوز بشلم - قسنطينة - الجزائر، عبد الحق الغليوي - طنجة، بابا سيدي وديدي الطالب - العيون - المغرب:

الأعداد التي طلبتموها في طريقها إليكم، وعدم وصول أي عدد من الأعداد المطلوبة يعني نفادها.

الإخوة: حميد محمد الحميد - القصيم، أحمد عبد ربه الفيضي - البيضاء - اليمن، مصطفى قاسم عبد العال - طنطا - مصر، صالح عجاج الجميلي - دير الزور - سورية، خليفة محمد - القباضة الأصلية - تونس العاصمة، فوزي الفقيري - جندوبة - تونس، مراد سحنون ومكي بوطاهير - بسكرة، محمد بن أشلالي - بوسعادة، عليان محمد - البويرة، سيدهم سيدي محمد ومليح محمد وبشير يماني - تلمسان، كمال بوشامة وبلعايب عبد الواحد - سطيف، مالكي عبد الرزاق - سكيكدة، دوشة علي ومحمود بن حليمة - عين الدفلى، محمد بن علي - عين صالح، محمد غريب الطاهر - مسعد، بوشلية عادل - ميلية، لقميري جبرائيل والشاذلي خالد - ورقلة - الجزائر، الزرقاني محمد - كرونة تمسمان، الناظور - المغرب، محمد أمبنغ - كولدا - السنغال:

طلباتكم واستفساراتكم حول الاشتراكات أحيلت إلى القسم المختص الذي سيتولى الرد عليكم كتابيا.

الإخوة: عامر أحمد الشهري وعلي مرعي الشهري - المجاردة - أبها، عبد الرزاق محمد الجنابي - رفحاء، وفيق نعيم إبراهيم - عمان - الأردن، فؤاد عبد الرحمن الفضالي - جاوة - أندونيسيا، عبد الكريم الحسن إبراهيم - كوجي - نيجيريا، عبد الناصر محمد أمين - نيروبي - كينيا:

سنعمل على تلبية طلباتكم حسب الإمكانات المتاحة.

الإخوة والأخوات: عوشار رضا وغرنوف كريم وسمام مراد - الجزائر العاصمة، حسين ميلود - أدرار، محامدي عبد الغني وسميرة سني والواعر مصطفى - باتنة، عبد الغني يعيش - بجاية، مخوخ كريم - برج بوعريريج، سليم عزوز وعمر عطية التومي وياسين سلمي - بسكرة، سعيدي فيصل الهادي وقاسم أمحمد - تيبازة، أخذاري البكّاي وعبد القادر قراح ومحمد بحري وحلباوي محمد وعسّال محمد - الجلفة، وعبد الفتاح بن عمارة - جيجل، سلايم بوزيد - سطيف، نبيل حاجي - سوق أهراس، عبد الله يوسفن - الشلف، حيبي محمد الصالح - عين صالح، بو عامر إبراهيم ولهواجي مسعود - غرداية، خاضر الجيلالي - غليزان، محمد بن صدّيق الكرز، وأحمد مويدن - محمدية، بكري البشير وعبد العزيز نجتي - المسيلة، عيسى لشبور - النعامة، درويش فاروق ومصطفى مرضيه - ورفلة - الجزائر:

سنتجاوب مع رغباتكم في حدود إمكانات المجلة.

●●●

مناقشات وتعليقات



هل كل علماني معاد للإسلام وهل كل إسلامي غير متطرف ؟ !

قرأت العدد ٢٠٥ من مجلتنا الغراء «الفيصل» باستمتاع معرفي كبير، وبخاصة المقالة الافتتاحية بقلم الأستاذ الدكتور زيد بن عبد المحسن الحسين رئيس التحرير بعنوان: «أجرأ من الليل» التي دارت حول الموقف الإيجابي المتميّز للأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا من الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي، حيث يقول فيها «وفي المقابل، على المسلمين أن يفيدوا من تطبيق مناهج البحث وطرقه في العلوم المادية وأن يتفقهوا في تلك العلوم التي نهضت على أساسها حضارة الغرب دون الانبهار بالقشور، ويعد استحضار شخصيتنا الوسطية ومقوماتنا الفكرية من ضرورات الوقاية من هذا الانبهار».

وكان موضوع التراث الإسلامي من ناحية والعلاقة الحضارية مع الغرب من ناحية أخرى محور مقالات عديدة لأكثر من كاتب في المجلة، ونذكر في هذا السياق الدكتور حامد صالح الربيعي في باب «على موعد» وكانت نظرته موضوعية في دراسة التراث وتمثله بدلاً من الشعور بالارتياح الكسول عند سماع أو قراءة أية أفكار ترجع في أساسها إلى مادة التراث الإسلامي باعتباره ينبوعا أصيلا تفرعت منه العديد من الدراسات والأبحاث والمخطوطات في شتى بقاع المعمورة، وتناولت الدكتورة تماضر حسون هذا الموضوع - أيضاً - وركزت على غنى التراث الإسلامي وثرائه بالعلوم والثقافات والمعارف، وعدم تفريقه أو تجنيسه لأي علم من العلوم ونشره للجميع سواء أكانوا أفرادا أم شعوباً أم حضارات.

لقد قرأت كلّ هذه المقالات متقبلاً أفكارها القيمة مؤيداً مضامينها. ولكنني توقفت كثيراً عند مقالة الدكتور محمد مورو: «حول قضايا الحضارة والمدنية». في العدد نفسه، لأنني وجدت فيها أفكاراً نافلة ومعروفة، وكذلك وجدت فيها موقفاً قطعياً يحتاج لنوع من الموضوعية وديمقراطية الطرح، وإنني في الوقت الذي أشكر فيه الكاتب على طرح مثل هذه الموضوعات الحاسمة المتعلقة بالحضارة والمدنية وتفاعل الحضارات، فإنني في الوقت نفسه أبدي بعض الملاحظات النقدية التي تتضمن بعض التساؤلات المشروعة - في نظري - حول بعض النقاط والأفكار التي تضمنتها المقالة :

١ - ينتقد الكاتب موقف العلمانيين في الاندماج بالحضارة الغربية والقطيعة مع الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي، وهو لا يستثني أي تيار من تيارات العلمانية. وأعتقد أنه وقع في التعميم والإطلاق في الحكم على العلمانيين (أو الذين يندرجون تحت هذه التسمية) حتى وإن كانوا ديمقراطيين أو ليبراليين ! لأنه هناك تيارات علمانية تطرح - وبقوة - مسألة البحث في التراث الإسلامي والاستفادة منه في تحديات الحاضر ومخاطر المستقبل، حتى إنّ بعض الشخصيات العلمانية أصبح شغلها الشاغل البحث في التراث الإسلامي ليخدم مسيرة الراهن الثقافي في ظل التحولات العالمية الكبرى.

٢ - بإيراد الكاتب مقولة الدكتور فؤاد زكريا، أراد أن يبين تناقض العلمانيين، ولكن انقلب السحر على الساحر كما يقولون، إذ إنه بذلك وقع في تناقض واضح مع نفسه من خلال تبيانه أنّ هناك علمانيين لا ينطبق عليهم كلامه في تأييدهم للحضارة الغربية وتنكرهم لثقافتهم وحضارتهم الإسلامية.

٣ - هل كل علماني هو معادٍ للإسلام ومؤيد للغرب؟ وهل كل إسلامي - سواء كان فرداً أو تياراً - هو موضوعي وغير متطرف؟ أو بالأحرى هل يمكن ألاّ نستثني من التيارات الإسلامية حتى

تياراً وحيداً استوعب الإسلام بشكل خاطئ وتقليدي لا يجهد كثيراً في دراسة تراثه بشكل سليم وموضوعي ولا يتلاءم بشكل عقلاني (لا يتعارض مع تعاليم الدين الحنيف) مع العصر والحداثة والتقنية والصناعة المتطورة؟

عموماً، لا يمكن أن نحكم على العلمانية بشكل مطلق من جهة عدائها للإسلام، كما لا يمكن أن نحكم على التيارات الإسلامية بشكل مطلق من جهة تفهمها للإسلام وموضوعيتها وتفاعلها مع اختراعات العصر وتقنياته وتطوراته.

٤ - إذا كان الكاتب يسمي الحضارة الغربية بـ (الحضارة)، أفلا يعني ذلك اعترافاً باعتبارها حضارة، وكيف تكون هذه الحضارة قائمة على الوثنية والقهر والنهب والعنصرية والمنفعة اللاأخلاقية ؟ هناك تناقض واضح !

٥ - إذا كانت «الحضارة الغربية ترفض التفاعل الحر بين الحضارات، وتاريخها مع العالم هو تاريخ الهيمنة والنهب والقهر والتعامل مع العالم بعنصرية»، وإذا كان «لا سبيل لنا إلا انتزاع العلم والمدنية والثقافة الحديثة انتزاعاً»، فلماذا لا نكون كاليابان مثلاً ؟ وماذا عملنا في هذا المجال ؟ وماذا نحن فاعلون الآن؟!

٦ - «إذا كان لا بد من وجود حضارة عالمية فلن تكون إلاّ الحضارة الإسلامية التي تنظر للناس من جميع الألوان والأجناس والأديان نظرة واحدة». نحن مع الدكتور مورو في كلامه هذا، ولكنّ الفرق بين الحضارتين الإسلامية المنشودة، والغربية القائمة على أرض الواقع، هو أن الأولى لا تزال في مرحلة التنظير والتمهيد والبحث والتخطيط والدعوة، ولم تتحول إلى وقائع ملموسة - للأسف - ، والثانية قائمة على أرض الواقع ولها مؤسساتها ودعاتها ومروّجوها ولها تأثيراتها وتجلياتها وانعكاساتها الكبرى.

٧ - إذا كان التفاعل مقطوعاً، فكيف يمكن أخذ الحداثة والمعاصرة، والعلم والتقنية من الغرب الذي يمتلكها ؟ وما هي آلية التوازن الدقيقة التي يمكن بها التوفيق بين أخذ التقانة الغربية والحفاظ على الهوية الإسلامية ؟

لقد أردت بهذه المقالة مناقشة الكاتب حول قضايا مهمة كالحضارة والمدنية، وأعتقد أن هذه الأسئلة (موضوع مقالتي) هي هاجس كل إنسان مسلم يتطلع إلى النهوض الحضاري في العالم الإسلامي، وسلوك طريق التقدم والنهضة مادياً ومعنويًا لاستعادة مجد الحضارة الإسلامية وعزها وقوتها ومكانتها، لتصبح هي السائدة لأنها هي السامية من بين جميع حضارات العالم.

حواس محمود
قامشلي - سورية

الأيوبيون أكراد بالعشرة، لا بالأصل



كتب الأستاذ حميد الأزمي في عدد «الفيصل» الغراء رقم ٢٠٦ شعبان ١٤١٤هـ، موضوعاً عن تاريخ الأيوبيين بعنوان «البطل صلاح الدين : القيادة والقدوة». وليس لي اعتراض على الموضوع إلا في أمر واحد، وهذا الأمر بالغ الأهمية، إذ يتعلق بنسب الأيوبيين باعتبارها أسرة كان لأفرادها دور عسكري وسياسي كبير في المنطقة العربية الإسلامية في أخطر المراحل التي كانت تمر بها، وهي مرحلة توسع الأوربيين المسيحيين في الأراضي العربية بعد منتصف القرن الخامس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي.)

والأمر الذي أعنيه أن الكاتب الفاضل عندما كتب عن نسب الأيوبيين بعنوان «صلاح الدين : أصله وعصره»، لم يراجع مصادره بالدقة التي تتطلبها العلمية والأصالة، فوقع في خطأ تاريخي كبير، في حق أسرة جليلة، أدت دوراً في مرحلة مهمة من مراحل التاريخ العربي الإسلامي. قال الكاتب : «اسمه الكامل صلاح الدين بن يوسف بن نجم الدين الأيوبي. ولد في تكريت شمالي العراق حوالي العام ١١٣٨م من أصل كردي سني. عاش عشر سنوات في دمشق في بلاط نور الدين سلطان السلاجقة، حيث عني بدراسة المذهب السني، ثم رافق عمه الأمير شيركوه في حملات أرسلها نور الدين ضد الفاطميين في مصر ...» إلخ.

والواقع التاريخي يؤكد أن الأيوبيين ليسوا من الأكراد بالأصل، وإنما بالعشرة، وكانوا ينتمون إلى الإسلام ككل الأقوام التي اعتنقت الإسلام، سواء كانوا من العرب أو غير العرب. وليس قولنا إن الأيوبيين ليسوا أكراداً غايته الإساءة إلى الأكراد المسلمين، بل غايتنا الحقيقة التاريخية بالدرجة الأولى. فإذا كان ابن الأثير في تاريخه

يقول : «إن الأيوبيين من الأكراد الداوية»، فلا يعني هذا أنهم أكراد بالأصل، بل يعني أنهم أكراد بالعشرة الطويلة. أي يمكن لنا في هذه الحالة أن نقول إنهم «متأكردين» وليسوا أكراداً، مثلما نقول عن أي جماعة قومية إسلامية هاجرت إلى الوطن العربي وسكنت فيه، وأتقنت اللغة العربية مع القومية الخاصة إنها جماعة «متعربة». وهذا حال قبائل عربية كثيرة كانت تعيش - ولاتزال - شرقي الأناضول والجزيرة فيما يسمى بديار بكر وربيعة. هذه القبائل عاشت بين الأكراد قروناً، وأتقنت اللغة الكردية، بل إن بعض هذه القبائل هجرت لغتها الأصلية مع الزمن فاستكردت، ولكنها ظلت تنتسب إلى قبائلها العربية المشهورة: ربيعة، طيء، بكر، تغلب، ... إلخ.

ولو أن الكاتب الفاضل تكرم وراجع تاريخ ابن خلدون، المتوفى عام ٨٠٨هـ المعروف بـ «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» (ج ٥، ص ٢٧٨، طبعة دار العلم للملايين، بيروت) لوجد ما يلي :

الخبر عن دولة بني أيوب القائمين بالدولة العباسية وما كان لهم من الملك بمصر والشام واليمن والمغرب وأولية ذلك ومصايره:

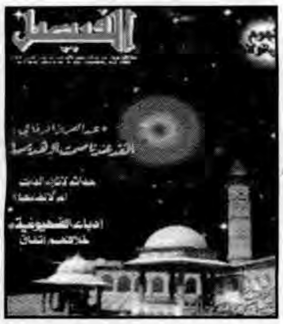
«هذه الدولة من فروع بني زنكي كما تراه. وجدهم هو أيوب بن شادي بن مروان بن علي بن عشرة بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي بن عبد العزيز بن هدبة بن الحصين بن الحرث بن سنان بن عمر بن مرة بن عوف الحميري الدوسي. هكذا نسبه بعض المؤرخين لدولتهم، قال ابن الأثير إنهم من الأكراد الداوية، وقال ابن خلكان: شادي أبوهم من أعيان درين» ... إلخ.

ومما لا شك فيه أن الاعتماد على ابن خلدون في توثيق هذا الأمر، وهو المؤرخ، المفكر الفيلسوف، وعالم الاجتماع المدقق، يجعلنا على ثقة أكثر مما يقوله من سبقه من المؤرخين، فهو لتأخره صوّب الكثير من نظريات المؤرخين الذين سبقوه، وهو على موسوعيته يعد مرجعًا أساسياً لكل من يرغب من مؤرخي عصرنا، في أن يكتب في التاريخ وعلم الاجتماع في المراحل التي سبقت ظهور تاريخ ابن خلدون ومقدمته الشهيرة.

أرجو أن أكون قد قدمت في هذا الرد القصير ما فيه خير أمتنا العربية الإسلامية، وآل الأيوبي الذين يعدون الآن بالآلاف.

إبراهيم ونوس
حمص - سورية

حول الحداثة الشعرية:
يجب ألا نرضى بشيء ونرفض آخر!



يدفعني لكتابة هذه الأسطر ما قرأته في العددين ٢٠٤و٢٠٥ من المجلة بعنوان «الحداثة الشعرية إلى أين؟» لمحمد منذر لطفي. فليسمح لي الكاتب ولتسمحوا لي بمناقشة بعض أجزاء المقال. والموضوع كما تعلمون ليس بجديد، فهذا النقاش منذ أن فُتح بابُه في أواسط القرن لم يظهر الناقد الذي استطاع أن يُغلقه بقول فصل يُلزم كلّ فريق حدَّه المنصف، بل صار كثيرٌ ممن تنقصهم موهبة كتابة الشعر أو نقده يدخل علينا من هذا الباب، ويخوض ويلعب بالألفاظ والمصطلحات، حتى أصبحت مناقشة هؤلاء والردّ عليهم ضرباً من إضاعة الوقت في غير طائل، وهذا يجب ألا ننزلق إليه.

فأصحاب الرأي القائل بالحداثة الشعرية المزعومة والمدافعون عنها جميعا يمكننا تصنيفهم صنفين: الأول يصدر رأيه عن نيّة غير سليمة، إما لعجزه عن إقامة الأوزان، أو لرَغبته في تذويب الشخصية العربية في شخصيات أمم أخرى (غالبا الأوربية)، وهذا الصنف مناقشته لا تُجدي ولا تنفع. أما الصنف الثاني فرأيه يصدر عن نيّة سليمة، ويرى في الحداثة الشعرية المزعومة تطويراً للشعر العربي. وهؤلاء الأخيرون - وهم دائماً واقعون تحت تأثير الصنف الأول - هم الذين تجب مناقشتهم لتتضح لهم الرؤية ويتبيّنوا مقاصد «الحداثة الشعرية».

فبداية، مصطلح الحداثة عند جميع من يدافعون

عنها هو لفظ هلامي، غير محدد الأبعاد ، ونجد له عند كل فرد منهم معنىً وفهماً قد يتفق أو يختلف مع فهم بقية الجماعة، والحد الأدنى الذي يتفقون عليه هو عدم التقيُّد أو الالتزام بالوزن، أي اكتمال البحر ووحدته ووحدة القافية ، ولهم في ذلك أقوال وآراء جمَعوها كلها في مصطلح الحداثة، فما الحداثة؟ (السؤال الذي طرحه الكاتب).

لتنطلق مناقشتنا لها من الحدّ الأدنى الذي يتفقون عليه، أي عدم التقيد بالوزن وما يلزمه، حتى نعرف إن كان في ما نقرؤه أو نسمعه الآن حداثة، سواء حقيقية أو مزيفة. ولنبدأ بالمصطلح، فلفظة حداثة في اللغة، مطلقاً، معناها الجدَّة، وقد جاءت بهذا المعنى في قول الشاعر:

فما الحداثة من حلْم بمانعة

قد يُوجدُ الحلمُ في الشبّان والشِّيب

وبهذا المعنى استعملها بعضُ الشعراء في وصف أشعارهم، الموزونة المقفية، ولكن اللفظ تغير مدلوله وصار مصطلحاً لنوعية معينة من الكتابة (وصفها كاتب المقال بأنها «عكسُ القدامة»). وفي استعمال اللفظ لوصف هذه النوعية من الكتابة تجنٍّ وتضليل، فإذا بحثنا في المدلولات التي يمكن أن يؤديها المصطلح لوجدنا مدلولين اثنين فقط لا ثالث لهما. الأول ما سبق وذكرناه، والثاني هو حداثة الشعر نفسه، أي جدَّة ظهور الشعر، أي المرحلة التي كانت قُبيل الشعر الجاهلي والتي تخلّص فيها الشعر من كلّ أوشابه، تماماً كما يتخلص أي شاعر في حداثته الشعرية من أوشاب الشعر وعلله من إقواء وتضمين وإبطاء وإسناد ... إلخ.فما نقرؤه ونسمعه الآن، إذن، ليس حداثة شعرية بالمعنى الذي نعرفه، كما أن استعمال المصطلح في معنى المعاصرة أو التجديد، أيضاً غير صحيح، فالحداثة ـ وهي مرحلة ـ معناها الجدَّة وليس التجديد، والشعر العربي على أي حال لم يَعُدْ جديداً حتى نصفه بالحداثة.

ولكن لننظر ما إذا كان في الحداثة الشعرية المزعومة تجديداً أو تطويراً للشعر العربي، فإذا أخذنا الشكل نجد أن التخلي عن البحر أو اعتماد «الشاعرية العربية» والتفعيلة إلى جانبه لا يُعدُّ تجديداً، ولكن يُعدُّ تقهقراً بالشعر لمرحلة قد تجاوزها سابقاً، أي مرحلة نشوء الشعر أي مرحلة الحداثة الشعرية بحسب المدلول الثاني للمصطلح، وهي التي سبقت عصر المهلهل بن ربيعة. وهذا التقهقر لا يُجيزه العقل السليم، وإن استتر بثوب «الشاعرية العربية» المزعومة الآن، والحقيقة هي أن الشاعرية العربية هي التي قادت سابقاً إلى ظهور الأوزان واكتمال موسيقى الشعر، والتي جاء «الخليل» من بعد وضبطها، فالتخلي عنها الآن يجعلُ حالنا كحال من نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثا.

أما عن مضمون الحداثة الشعرية المزعومة أو التجديد، وهو الجانب الذي رآه الكاتب أكثر أهمية، فحاله لا يختلف عن حال سابقيه، المصطلح والشكل، إذ إن الأخيلة والصور والأسلوب الناصع والمعاني الرمزية ... إلخ، كلها وغيرها كانت موجودة سلفاً في الشعر، ومنذ عصره الجاهلي. وكل ما حدث أن الناسَ كانوا في كلِّ عصر يُفتنون بواحد من هذه الألوان، فيكثرون استعماله ويديرونه في أشعارهم أكثر من غيره، فأبو تمام مثلاً ـ ومن سار سيره ـ حينما استعمل الجناس وغيره من المحسنات اللفظية لم يأت بجديد، رغم أنه يُعد من المجددين، إلا أنه أكثر من استعمال لون من البديع كان موجوداً ومعروفاً. وقل مثل ذلك في المتنبي، ومن سار سيره، فهم رغم أنهم يُعَدُّون من المجددين، إلاّ أنهم ما زادوا على أن أكثروا من إيراد الحكمة في أشعارهم وهي كانت موجودة، على قلتها، ومعروفة في الشعر من قبل ظهورهم. وهذا ينطبق على كل ألوان التجديد المعروفة، فالدعوة القائمة إذن للإكثار من استخدام الأخيلة والصور والغموض والرمزية ... إلخ، لن تلبث ـ وقد حدث بالفعل ـ أن تؤول إلى ما آلت إليه سابقاتها حين تصير الرمزية والغموض ... إلخ مطلوبات لذواتها. تماماً، كما حدث مع الألوان البديعية من قبل. من هنا نجد أن مضمون الحداثة الشعرية المزعومة ليس أكثر حظاً من شكلها أو المصطلح الذي استُعْمِلَ لها.

ونخلُصُ من كلّ ما سبق إلى أن الحداثة الشعرية المزعومة ليست شيئاً، وأن المعركة التي افتعلها دعاتها إنما افتعلوها، كما قلنا سابقاً، إما لضعفهم أو لغرض في أنفسهم (ووالله، والله، غافلٌ كلّ من يمشي في ركب هؤلاء).

وعليه، يمكن لكل ذي عقل سليم أن يجيب، بكل سهولة، على سؤالَيْ «أين نحن منها ؟» «وما طريق المستقبل ؟» وإجابةً عن السؤال الأخير لأهميته أقول: إننا بعد أن بيَّنا زيف الدعوة برمتها، وعرفنا دوافعها المغرضة، فيجب علينا ألا نهادن دعاتها أو أن نجاملهم فنرضى منهم بشيء ونرفض آخر كما فعل كاتب المقال.

هذا فقط ما أردتُ مناقشته، في هذا الموضوع الكبير الذي لا تكفيه مقالةٌ واحدة. أما التعليق على طريقة الكاتب وتردُّده في عَرض الأفكار، وربما تناقضه في بعضها، ومحاولته التوسُّط بين الطرفين والخروج بشيء من السلامة من هذا النقاش؛ فهذا أتركه لمن يريدُ الوقوف عليه.

مجتبى محمد المختار
أم درمان ـ السودان

ـ المحرر: نعتذر لكاتب هذا التعليق من عدم نشر الحاشية التي رافقت تعليقه لطولها، ولأن بعض ما ورد فيها كان تكراراً لأقوال كاتب الموضوع الأساس، الذي يمكن للقارئ الكريم الرجوع إليه في العددين المذكورين.

استراحة العدد

ويأتيك بالأمثال: لا تُبطِرْ صَاحبكَ ذَرْعَهُ

أي لا تُحمِّلْه ما لا يُطيق، وأصل الذَّرْع بسط اليد، فإذا قيل «ضقتُ بـه ذَرْعًا» فمعناه ضاق ذرعي به، أي مَـدَدْتُ يدي إليـه فلم تَنَلْه. ولا تبطر، أي لا تُدْهـش. ونصب «ذرعـه» على تقدير البدل من الصاحب، كأنه قال: لا تبطر ذرع صاحبك، أي لا تدهش قلبه بأن تسومه ما ليس في طوقه.

إياك

قال على بن أبى طالب موصيًا ابنه الحسن رضى الله عنهما: يا بنى، إياك ومصادقة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك. وإياك ومصادقة البخيل، فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه. وإياك ومصادقة الفاجر، فإنه يبيعك بالتافه. وإياك ومصادقة الكذاب، فإنه كالسراب، يقرب عليك البعيد، ويبعد عنك القريب.

اسم الذئب

قال أبو دحية القاص يومًا: كان اسم الذئب الذي أكـل النبي يوسـف عليـــه الســـلام «هملاج». فـقالوا له: إن يوسف عليه السلام لم يأكله الذئب. قال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف.

راحة

قيل لحكيم: مـا أفضل مـا يرزقه المرء؟ قال: علم. قيل: فإن لم يكن؟ قال: عقل وصدق لسان. قيل: فـإن حَرِمَـهُ؟ قال: سكوت طويل. قيل: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل يريح منه العباد والبلاد!

أضيع الأشياء

ثمانية من أضيع الأشياء: عالم بين جُهَّال فلا يُسأل عن علمه، وعلم عند مَنْ لا يَعـمل به، ورأي صـواب عنـد مَنْ لا يُقـبل مـنه، وآلة جـهـاد عند جـبـان، ومـسـجـد عند قـوم لا يصلون فيـه، ومصحف عند مَنْ لا يقرأ فـيه، وطول عـمر عند مَـنْ لا يتزود فـيـه للمعـاد، ومـال عـند مَنْ لا ينفـق منه في الحــقـوق والمواساة.

ثمرة

كتب كسرى إلى بُزرجمهر وهو في الحبس: كانت ثمرة علمك أن صرت بها أهلاً للحبس والقتل. فكتب إليه بُزر جمهر: أما ما كان معي من الجد فقد كنت انتفع بثمرة العلم، فالآن إذ لا جد، فقد صرت أنتفع بثمرة الصبر، مع أني إن كنت فقدت كثير الخير، فقد استرحت من كثير الشر.

مشاهير

أشـهـر سـاعـة: بيج بن، أشـهـر لوحـة: الموناليـزا وتسـمى أيضـا الجيـوكـاندا، أشـهـر شـاطئ: ميـامي بيـتش، أشـهـر جسر: واترلو، أشهـر حوت: حوت النبي يونس عليـه السـلام، أشـهـر حصـان: حصـان طروادة الخشـبي، أشـهـر عنزة: عنزة الـزعـيم الهندي المهـاتما غـاندي، أشـهر حمار: حمار الحكيم!

العدل... لا الحب!

جلس يومًا فـي مجلس الخليفـة الأموي عـبد الملك ابن مروان، رجل من خصوم بني أمية، فقال الرجل للخليفة: والله إن قلبي لا يحبك أبدًا.

قال الخليفة: إنما يبكي على الحب النساء، فليكن ما بيني وبينك العدل والإنصاف.

البخيل... شقي بماله

قال حكيم: لم أرَ أشقى من البخيل بماله؛ لأنه في الدنيا يشـقى بجمعه، وفي الآخـرة يُحاسب على منعـه، غيـر آمن في الدنيـا من همـه، ولا ناج في الآخرة من إثمه.

عمَّةُ الشيخ

اعـتاد الشـيخ الإمـام محـمـد عبـده إبان توليـه القضـاء رفع عـمامـتـه إلى مقدم رأسه إذا أراد الحكم على متهم بالبراءة، أمـا إذا أراد الحكم بالسـجن أو عـقـوبة خـلافه عـوجهـا بحيث تغطي العـمامـة نصف جبهته.

وحدث أن جلس يومًا للحكم في قضية، ومدَّ يديه إلى عـمامـتـه ـ كـعادته ـ فـأسرع المتـهم واسـتـحلـفـه قـائلا: أملي ألا تعـوجهـا إلى الأمام.

موت.. وموت

قال سقـراط: عندما يموت الرجل فإنّ آخـر عضو في جسـده يكفُّ عن الحركـة هو قلبـه، أما المرأة فإنَّ لسانها هو آخر الأعضاء.

يسترزق من بيوت الجيران

خاصـمت امرأة زوجـها في تضـيـيـقه عليهـا وعلى نفسه فقالت: والله مـا يُقيم الفأر في بيتك إلا لحب الوطن، وإلا فهو يسترزق من بيوت الجيران.

يعلمه السباحة

أعطي أبو الطيب الطبري خفه إلى إسكافي ليصلحه ، فكان كلما مر عليه يسأله عنه ، وكان الإسكافي كلما رأي أبا الطيب يأخذ الخف ويغمسه في الماء ، ويقول : بعد ساعة .

فلما تكرر الأمر عدة مرات قال أبو الطيب للإسكافي : إنما دفعته إليك لتصلحه ، ولم أدفعه إليك لتعلمه السباحة !

أحق الناس

سُئلَ أعرابي: مَنْ أحقُّ الناس بالمقت؟ قال: الفقير المختال، والضعيف الصوّال، والعيي القوّال.

قيل: ومَنْ أجدرُ الناس بالصنيعة؟ قال: من إذا أُعطي شكر، وإذا مُنع عذر، وإذا مُوطل صبر.

قيل: ومَنْ أكرم الناس عشرة؟ قال: مَن إن قُرب منح، وإن بُعد مدح، وإن ظُلم صفح.

بين العلم والعقل

عِلْمُ العليم وعقل العاقل اختلفا

من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا

فالعلم قال: أنا أحرزت غايته

والعقل قال: أنا الرحمن بي عُرفا

فأفصح العلم إفصاحًا وقال له:

بأينا الله في فرقانه اتصفا

فبان للعقل أن العلم سيّدُهُ

فقبَّل العقل رأس العلم وانصرفا

قيل

قال الأحنف بن قيس: الملول ليس له وفاء، والكذّاب ليس له حيلة، والحسود ليس له راحة، والبخيل ليس له مروءة، ولا يسود سيىء الخلق.

الجاهل والعالم

قال عبد الله بن المعتز: الجاهل صغير وإن كان شيخًا، والعالم كبير وإن كان حدثًا.

وصية أب

دخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم، فأشار معاوية إلى وسادة ليجلس عليها، فلم يفعل. فقال معاوية: ما منعك يا أحنف أن تجلس على الوسادة؟ قال: يا أمير المؤمنين إن مما أوصى به قيس بن عاصم ولده أن قال له: لا تَسْعَ للسلطان حتى يملك، ولا تقطعه حتى ينساك، ولا تجلس له على فراش، ولا وسادة، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين.

البابلي وأهل السماح

كان الشيخ محمد البابلي من أظرف أدباء عصره، ومما روي عنه أنه سمع المطرب القديم صالح عبد الحي يشدو بأغنيته الشهيرة: (أهل السماح الملاح فين أراضيهم)؟ فرد بسرعة معلقًا: مرهونة في البنك العقاري.

من مئة عام فقط

ذهب رجل إلى صيدلي وطلب منه دواءً يطيل العمر، فأعطاه الصيدلي دواءً وقال له: إنه يطيل العمر ثلاثمئة سنة. فدهش الرجل ولم يصدق ما سمع، واتجه إلى عامل الصيدلية وسأله: أصحيح أن هذا الدواء يطيل العمر ثلاثمئة سنة؟ قال العامل: لا أدري بالضبط لأني أعمل هنا منذ مئة عام فقط.

صدق أو لا تصدق



..فقد غرق سياد في المحيط الهندي، فأنقذه صياد صومالي وحمله إلى ساحل مقديشو ووضعه على الساحل، ثم قبَّله قبلة الموت أي أجرى له تنفسًا صناعيًا، فعادت إليه الأنفاس شيئًا فشيئًا، حتى إذا استفاق تمامًا صافح الصياد بحرارة وقال له: تعالَ غدًا إلى القصر الجمهوري وسأعطيك مكافأة كبيرة، فأنا سياد بري!

فناشده الصياد، وقال للرئيس: أرجوك يا سيدي ألاّ تخبر أحدًا أنني أنقذتك، فإن الناس إذا علموا بذلك فسيقتلونني!

ولما ذهب سياد بري هاربًا من مقديشو، وحدث ما حدث من قتل، سمعتُ أحد الإخوة الصوماليين يقول: إن حَمَلَةَ السلاح لا يخرجون من منازلهم في الصومال إلا بعد قراءة الأسماء والفاتحة!

فقلت لعلها أسماء الله الحسنى، ولكني علمت أنها أسماء شهداء بدر. وكان القتال في الصومال هو ما عرّفه أجدادنا بالهرج والمرج، فيما عدا القوات السعودية التي كانت لا تقتل أحدًا، بل تطعم الجائعين، وتعالج الجرحى والمرضى، فكانت يدًا رحيمة يذكرها أبناء الصومال بالعرفان والإكبار والتقدير والتوقير والاحترام. بل إن هذه القوات قد خسرت على الأقل واحدًا هو الطبيب الكردي رحمه الله.

إن الإسهام الإيجابي الذي قدمته الكتائب السعودية قد أدّى إلى توثيق الأخوّة بين أبناء الجزيرة العربية وأبناء القرن الأفريقي وإلى تقويتها، ولا بد من تكملة هذا العمل المجيد باستمرار أعمال الإغاثة، وأعمال رعاية الأيتام الذين قُتل آباؤهم، لا بد من فتح المدارس، وإرسال مدرسين عرب يفقّهون الجيل القادم في دينه، ويبنون جسور المحبة بين الشعب العربي وشعوب سواحل أفريقيا.

لقد كان ذهاب سياد بري خيرًا كبيرًا؛ لأنه هو الذي فرض المناهج الاشتراكية وألغى الحروف العربية، ويجب ألا نسمح ببقاء سياساته بعد رحيله.

ومرحبًا بعودة إخواننا الذين بيّضوا وجوه المسلمين.

محمد علي الجفري

رحلات إلي الشرق والغرب

مشاهدات وخواطر وانطباعات عبد الله حمد الحقيل عن عدد من البلاد التي زارها في فترات مختلفة. وقد أكد المؤلف على أهمية تدوين مثل هذه الزيارات لكونها رافداً من روافد المعرفة والثقافة والأدب والتاريخ، حيث يحلق الرحالة في أجواء متباينة وخواطر متفرقة، لاتقف عند الإنسجام والمتعة فحسب، إنما تهدف أيضًا إلى الأسوة والقدوة والاتعاظ. الكتاب من هذه الزاوية يصنف في قائمة أدب الرحلات، إذ يأخذ القارئ في سياحة ثقافية إلى أكثر من ثلاثين بلداً في الشرق والغرب.

وقد عرّف المؤلف في مطلع كتابه بدور ومساهمات أدب الرحلات في تاريخ الأدب العربي، كما قدم فصلين عن أعلام الرحالة العرب والمسلمين ومكانة الجزيرة العربية في اهتمامات الرّحالين.

الكتاب يقع في ٢٠١ صفحة من القطع الكبير، وصدر عن دار أضواء المعرفة للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٤ هـ.

تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز

دراسة تاريخية عن تطور تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، طُبعت على نفقة سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، وهي من إعداد العميد الدكتور إبراهيم بن عويض القيسي قائد الدوريات والنجدة بالرياض. تتناول الدراسة التطورات الادارية في فترة زخرت بالاحداث (١٣٤٣ - ١٣٧٣ هـ، ١٩٢٤ - ١٩٧٣م)، وهي الفترة التي شهدت قيام الدولة السعودية الثالثة سياسيًا، وَوَضْعَ قواعد التنظيم الإداري فيها. كما تبين الدراسة مدى تأثير التنظيمات الإدارية في بعض الأقاليم، قبل توحيد المملكة، على التنظيم الإداري الذي تم في عهد الملك عبد العزيز، وذلك دون التركيز على النظريات الإدارية أو إجراء المقارنات بين النظريات والتطبيقات. فاهتمام الدارس ينصب في التأريخ لتلك التنظيمات من حيث نموها ومراحل تطورها وعناصر استقرارها. وقد عالج الدارس موضوع الكتاب في خمسة فصول و٥٧٣ صفحة من القطع الكبير، كما زوّد الدراسة بملحق وثائق، وخرائط تنظيمية وجداول، وملخص باللغة الإنجليزية.

صدرت الطبعة الأولى من الكتاب هذا العام ١٤١٤ هـ في طباعة فاخرة.

كيف تحفز موظفيك

يقدم إرشادات لتوفير الظروف التي تجعل الموظفين يبذلون مزيداً من الجهد لصالح العمل الموكَل إليهم. وتقوم فكرة الكتاب على تهيئة بيئة العمل، وتوجيه الاهتمام بمشاعر العاملين كأساس تبني عليه الإدارة توقعاتها عن زيادة الانتاج والجودة. ويضم الكتاب مجموعة نماذج تحلل مسببات انخفاض وتدني الروح المعنوية بين العاملين، كما يحوي نماذج لدراسات ذاتية تستهدف جعل القارئ جزءاً من موضوع الكتاب، بدعوته إلى حل التمارين، وإبداء الرأي في النشاطات والتقويمات المختلفة.

يقع الكتاب في ١٠٥ صفحات من القطع المتوسط، وقد صدر مترجمًا في الرياض ١٩٩٣، وهو من تأليف تويلادل، وقامت بترجمته من الإنجليزية ريم السالم، وراجعه يوسف القبلان.

الأعلام في القرآن

إصدار من جزءين، يضم الأعلام التي وردت في القرآن الكريم، من الملائكة، والرسل، والأنبياء، والصالحين، وغيرهم من البشر، وكذلك الحيوان والأماكن. يتناول المؤلف في الجزء الأول الأعلام التي ورد ذكرها في القرآن الكريم لفظًا، واتبع في ذلك الترتيب الهجائي للأعلام. ويشتمل الجزء الثاني من الإصدار على الأعلام التي أُشير إليها إشارة في القرآن الكريم ولم يُذكر اسمها صراحة، واتبع في ذلك تسلسل سور القرآن الكريم وآياته. وقد استعان المؤلف في شرحه بالأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال المفسرين والعلماء.

الكتاب من تأليف الفريق يحيى بن عبد الله المعلمي، وصدر في الرياض، عن دار المعلمي، للنشر ١٩٩٤م، ويقع الجزء الأول في ٢٩٦ صفحة من القطع الكبير، ويقع الجزء الثاني في ٣٣٨ صفحة.

المسجد البابري قضية لا تنسى

كتاب صادر عن رابطة العالم الإسلامي، ضمن السلسلة الشهرية «دعوة الحق»، يستعرض جريمة هدم المسجد البابري في الهند، وانعكاساتها على العالم، وتأثيرها في مشاعر ووجدان المسلمين. دعم المؤلف إصداره بخلفية عن الإسلام والمسلمين في الهند، والهندوسية

ومنظماتها. وتابع تاريخ بناء المسجد البابري (١٥٢٨م)، ومحاولات الهندوس المتكررة للاستيلاء على أرض المسجد، التي انتهت في ديسمبر ١٩٩٢ م بإزالة المسجد نهائيًا تمهيداً لإقامة معبد، لإلههم المزعوم، مكانه. ويشتمل الكتاب على مواقف الحكومات الهندية عبر التاريخ من قضية المسجد البابري.

الكتاب من تأليف عبد الباسط عز الدين، ويقع في ١٦٠ صفحة من القطع الكبير، صدرت الطبعة الأولى منه بمكة المكرمة ١٤١٣هـ.

اليهود فى القرآن والسنة

يتناول الدكتور محمد أديب الصالح بعض خلائق اليهود من خلال دراسته للنصوص، والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، والكتاب هو القسم الثالث من سلسلة يتابع فيها المؤلف اتجاهًا تحليليًا في تناوله فكر اليهود، ومواقفهم من الإسلام والمسلمين، وما ورد فيهم من آيات كريمة، وما رُوي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أحاديث شريفة، تنبه على حقيقة اليهود، وتكشف ما يوارونه من سوء نية ومكائد، وما جبلوا عليه من خيانة، ومكر، وفجور.

صدر الكتاب عن دار الهلال للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٤ هـ، ويقع في ١٦٧ صفحة من القطع المتوسط.

ندوة الرفاعى

يشتمل على جوانب من موضوعات الندوة الأدبية التي درج على عقدها الأديب الراحل عبد العزيز بن أحمد الرفاعي، واستمرت أكثر من ثلاثين عامًا. والإصدارالذي قام بإعداده، الدكتور عائض الردادي، يغلب عليه الطابع التوثيقي، بما يتضمنه من قصائد شعرية، وتعليقات نثرية، وخطابات أثبتها مُعدُّ الكتاب بخط أصحابها، ودعم الإصدار بملحق صور (فوتوغرافية) للندوة وروادها من العلماء، والأدباء، والشعراء، والمفكرين. ويبدأ الكتاب بتعريف موجز عن الرفاعي، صاحب الندوة، ولمحات من حياته الثقافية.

صدر الكتاب في الرياض ١٤١٤ هـ، ويقع في ١٣٢ صفحة من القطع المتوسط.

فراغات النفس والروح

ديوان شعر، وهو الإصدار الثامن للشاعر الفلسطيني يوسف بركات، ويشتمل على قصيدتين طويلتين، ينهج فيهما الشاعر منهجًا ملحميًا تاريخيًا، يستعرض من خلاله تطورات القضية الفلسطينية، والتحولات التي شهدها كفاح الشعب الفلسطيني. كما ينحو - خاصة في القصيدة الأولى - للتعبير عن طريق الاسقاطات، والإشارات الرمزية للأحداث، إلى الفصل بين المراحل المختلفة، وإصدار الحكم على ما انتهت إليه كل مرحلة تاريخية، إذ يقول: «قبل عشرين عامًا ونيف، كانت البوصلة جسدي، كانت المرحلة كلها في يدي، ولم أكن أحار في لحظة الاختيار». وفي نهاية القصيدة الطويلة يختزل الشاعر رأيه وموقفه حيث إنه «بعد عشرين عامًا ونيف» يسترجع التداعيات.

صدر الديوان عن دار العودة، بيروت، ويقع في ١٣٣ صفحة من القطع الصغير.

لذة النص

كتاب الفرنسي رولان بارت، يقدم فيه أفكارا نقدية حول النص الأدبي محاولاً تحديد مبعث ما يفترض أن يكون لذة يستشعرها القارى، والكتاب يحوي جملة تساؤلات مثل: لماذا نجد في نص من النصوص كل هذه الأبهة الكلامية؟، أيشكل ترف اللغة جزءًا من الثروات الزائدة؟. ويذهب المؤلف إلى التأكيد على أن لذة اللغة لا تتخذ بالضرورة من النمط المنتصر، ولا من النمط البطولي، ولا من النمط العضلي، نموذجًا. وفي رأيه أن اللذة تكمن في النص الذي ينحدر من الثقافة فلا يحدث قطعًا فيها، ولذلك «يجب رصد عوالم التبجيل جيداً، ورصد الكلمة بوصفها وحدة فريدة، ورصد الكلام بوصفه أداة للفكر وتعبيرًا عنه.

يقع الكتاب في ١١٣ صفحة من القطع الصغير، وقام بترجمته إلى العربية د. منذر عياشي. وصدرت الطبعة الأولى منه عن مركز الإنماء الحضاري، حلب ١٩٩٢ م.

ملحمة الأقصى

إصدار يشتمل على قسمين، نثر وشعر، في القسم الأول يقدم المؤلف تعريفًا لمفهوم الملحمة في الأدب الإسلامي، مركزًا على المعاني التي اكتسبها هذا المفهوم عبر التاريخ الإسلامي، بعيداً من ظلال الفكر اليوناني.

وأما القسم الثاني فقد خُصص لمطولات شعرية عن الجهاد الإسلامي بصفة عامة، والقضية الفلسطينية بصفة خاصة. وقد أفرد له المؤلف بابًا بعنوان «الطريق إلى فلسطين بين الماضي والحاضر». وتضمن الكتاب موجزًا تاريخيًا واقعيًا عن المسجد الأقصى المبارك، والحقّ المشهود للمسلمين فيه.

الكتاب من تأليف الدكتور عدنان علي رضا النحوي، ويقع في ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط.

صدرت طبعته الأولى ١٤١٤ هـ عن دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض.

١ـ الإخوة الأعزاء :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً)

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ـ شروط المسابقة:

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية ـ وليس نسخة مصورة ـ للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة ، مجلة الفيصل،
ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد (٢٠٨)

ج ١ : لأن علامات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة، سنكتفي بذكر اثنتين منها، هما:

١ـ ما ذكره ابن هشام في السيرة النبوية ، أن نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له: يا رسول الله، خبرنا عن نفسك؟ قال: نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حَملتْ بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، واستُرضعتُ في بني سعد بن بكر، فبينا أنا مع أخٍ ليَ خلف بيوتنا نرعى بَهماً لنا، إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجاً، ثم أخذاني، فشقّا بطني، واستخرجا قلبي فشقّاه، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه، ثم قال أحدهما لصاحبه: زِنْه بعشرة من أمته....» إلخ الحديث.

٢ـ وما ذكره ابن هشام عن سفر أبي طالب في تجارة له بالشام، مصطحباً معه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو غلام، وما كان من أمر الغمامة التي أظلته في رحلته، ثم مرورهم براهب يقال له: بَحيرى، ومعرفته رسول الله صلى الله عليه وسلم، حسبما ورد في كتبهم من علامات نبوته، فكان أن أقبل على عمه أبي طالب يوصيه بحفظه قائلاً له: فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فَأسْرِع به إلى بلاده.

وقد أفاضت كتب السيرة في وصف علامات نبوته صلى الله عليه وسلم، وما أكرمه الله تعالى به من حفظه إياه ـ بأبي هو وأمي ـ . وعلى من يرغب الاستزادة أن يراجع كتب السيرة، ومنها: شرح المواهب اللدنية، الروض الأنف، زاد المعاد، البداية والنهاية، تاريخ الطبري، السيرة الحلبية، وغيرها كثير.

* * *

ج ٢ : النبي الذي ابْتُلِي بالظلمة والوحشة هو يونس عليه السلام (ذو النون)، وقد ذكره القرآن باسمه الصريح في أربع آيات. أما الآية التي تدل على ابتلائه، فهي الآية رقم (٨٧) من سورة الأنبياء.

* * *

ج ٣ : الحاضنة التي تتولى تربية الصغير وتقوم على شؤونه، لها شروط نذكرها على سبيل الاختصار:

١ـ العقل: فلا حضانة لمعتوه، ولا لمجنون.

٢ـ البلوغ : لأن الصغير بحاجة لمن يقوم بشؤونه.

٣ـ القدرة على التربية: فلاحضانة لكفيفة، أو ضعيفة البصر، ولا لمريضة مرضاً معدياً، أو مرضاً معجزاً .. إلخ.

٤ـ الأمانة والخلق: لأن الفاسقة غير مأمونة (وإن كان هذا ليس شرطاً عند بعض الفقهاء).

٥ـ الإسلام : فلا تثبت الحضانة للحاضنة الكافرة للصغير المسلم (ويرى الأحناف جواز حضانة الكافرة).

٦ـ أن لاتكون متزوجة: فإذا تزوجت سقط حقها في الحضانة، ما لم يكن الزوج أجنبياً.

٧ـ الحرية : إذ إنّ المملوك مشغول بحق سيده، فلا يتفرغ لحضانة الطفل (واختار ابن القيم، ومالك رحمهما الله، عدم اشتراط الحرية).

* * *

ج ٤ : الثمرة التي يلتذ بها الفم والأنف والعين معاً، هي « الأتْرُجَّة ». وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

قال : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، طعمها طيب وريحها طيب ...» إلخ الحديث.

وتسمى أيضا « تفاح ميديا»، أو «تفاح فارس». وذكر أن بعض الأكاسرة غضب يومًا على قوم من الأطباء فأمر بحبسهم، وخيّرهم أُدْمًا لا يزيد لهم عليه، فاختاروا الأترج، فقيل لهم: لم اخترتموه على غيره؟ فقالوا: لأنه في العاجل ريحان، ومنظره مفرح، وقشره طيب الرائحة، ولحمه فاكهة، وحمضه أُدْم، وحبه ترياق، وفيه دهن.

* * *

ج ٥ : هما الروائي والقصصي الأمريكي إدجار ألن بو (١٨٠٩ - ١٨٤٩م)، والروائي والقصصي الفرنسي جي دي موباسان (١٨٥٠ - ١٨٩٣م).

نتائج مسابقة العدد (٢٠٨)

أ - فاز بالجائزة المالية الأولى وقدرها ٥٠٠ريال سعودي، مجدي صالح محمود عيد ، بور سعيد - مصر .

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، إبراهيم علي حمد الربيِّع، الأحساء - المملكة العربية السعودية .

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، باسم سلمان إسماعيل، دبي - الإمارات العربية المتحدة.

* * *

ب - فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١- مولوي منظور أحمد سومرو، السند - الباكستان.

٢- زيوش سعدية، الجلفة - الجزائر.

٣- محمد أبو اليسر الأحمد، حلب - سورية.

٤- رجاء الحاج محمد ابنيحيى، الدار البيضاء - المغرب.

٥- سعود عبد العزيز العوين، الرياض - المملكة العربية السعودية.

* * *

ج - وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢عددًا)، كل من:

١- علي عبد الواحد علي ربيع، الغربية - مصر.

٢- سارة سليمان الجبرين، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٣- نضال محمد علي صلاح الأديمي، صنعاء - اليمن.

٤- رنا إبراهيم أحمد أبو عيد، الزرقاء - الأردن.

٥- أيمن الأمين علي الأمين، الخرطوم - السودان.

٦- خالد محمد الزواوي ، الإسكندرية - مصر.

٧- منصور عبد الله ناجي عبد الله السامعي، تعز - اليمن.

٨- نداء بن عبد الرحمن العضيباني، عفيف - المملكة العربية السعودية.

٩- دينا الحاج عبد الحق التدلاوي، الدار البيضاء - المغرب.

١٠- دعاء رجب عبد المنعم ، الإسكندرية - مصر.

* * *

د - كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من :

١- بلفار عبد الرشيد بن السعيد، المسيلة - الجزائر.

٢- حسن عبد الرحمن رابح، الخرطوم - السودان.

٣- يوسف أحمد أحمد البولاقي، بور سعيد - مصر.

٤- خالد أحمد عبد محمد العالم، الزرقاء - الأردن.

٥- ممدوح محمد عتيق السمني ، الظهران - المملكة العربية السعودية.

أسئلة مسابقة العدد (٢١١)

السؤال الأول : وردت في القرآن الكريم آيات عدة تصور مراحل خلق الجنين، وتطور نموه . اذكر آية منها.

* * *

السؤال الثاني : بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم طرأت أحداث جديدة اقتضت التوسع في الاجتهاد لبيان الأحكام الشرعية. اذكر باختصار أركان الاجتهاد.

* * *

السؤال الثالث : صحابي جليل، عُرِفَ بحفظ كتاب الله والفقه فيه، مدحه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله «لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر» . فمن هو؟

* * *

السؤال الرابع : مَنْ أصحاب الكتب التالية: « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة»، « المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي»، الصادح والباغم»؟

* * *

السؤال الخامس : تمثال الحرية، وبرج إيفل، عملان فنيان هندسيان صممهما جوستاف إيفل. أيهما أقدم تصميمًا؟

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم : ....
المهنة : ....
العنوان : ....

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد (٢١١)
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

قصة قصيرة

عندما اختفت عبير

حسني سيد لبيب

شق صوتها صدر الليل..

- بنت تائهة يا أولاد الحلال.

جابت شوارع الحي وحواريه، دروبه وأزقته. رافقتها جارتها أم سعد، التي لفت الطرحة السوداء حول رأسها ورقبتها، سريعا، وهرولت في إثرها قائلة:

- غير ممكن أتركك لوحدك!

من فينة لأخرى، تنادي معها بصوتها القوي، ترتكن عائشة إلى حائط، تسند ظهرها، لا تتمالك نفسها. غير متصورة أن وحيدتها تختفي في غمضة عين. انشغلت في المطبخ تعد طعام العشاء قبل رجوع زوجها من المقهى. انسلت الصغيرة لتلعب مع البنات في الحارة، كما اعتادت كل يوم. لكنها اليوم لم ترجع كعادتها مع جارتها هالة. اختفت الصغيرة. أما هالة فمنعها المرض من اللعب واعتكفت مرغمة بالبيت.

راحت تسأل الجيران وأصحاب المحلات الصغيرة، فلم تلق جوابًا شافيًا. أتى زوجها، وأغضبها بزعيقه وصراخه. اتهمها بالغفلة وقلة الحيلة، وأنها لا تصلح أن تكون أما. غربت عن وجهه صائحة نائحة مولولة، بعد أن رُجِمَتْ بكلماته الحجرية بألا تعود إلى البيت من دون عبير. وصمم على أن حياتها معه رهن بعودة الصغيرة، وصفق الباب بشدة خلفها. ضعفت أمام غضبه ووعيده، فهرولت إلى الشارع تستصرخ الناس أن يبحثوا معها عن ابنتها. جرت أم سعد في إثرها، وهرع جارها الطيب الشيخ سيد ليجالس زوجها، ويقرر الاثنان إبلاغ أقسام الشرطة والإعلان عن اختفائها في المسجد القريب، واستئجار سيارة تجوب المنطقة بمكبر صوت، لعل وعسى..

- كبدي عليك يا عبير، أين أنت الآن؟!

ناحت عائشة. تلوت ألمًا. ارتمت على الأرض إعياء. أسعفتها أم سعد، تحاول إفاقتها، وطلبت منها أن تتماسك. أطلت عجوز من نافذة ضيقة وقالت:

- ربنا يصبرك يا شابة. إن شاء الله تعود.

صوت عائشة، دامعة العينين، يترك أنينه في قلب كل من يسمعه. الساعة تجاوزت الحادية عشرة مساء، دون جدوى. رقّ قلب أم، خرجت من بيتها تسأل:

- كم عمرها؟

- تسعة أعوام.

- كبدي!

وسارت معهما تنادي على البنت الضالة. ثم عادت إلى بيتها، واعدة بأن يبحث عنها زوجها بعد صلاة الفجر!.

عادا بخفيْ حنين وقد انتصف عقربا الساعة. لم تقوَ عائشة على صعود الدرج فجلست عند أول درجة. أمسكت أم سعد بيدها..

- قومي ادخلي شقتك.

- غير ممكن.

- أبو عبير لا يرضيه أن تبيتي خارج البيت. للنهار عيون.

ثم تركتها وهرعت إلى حسين تستعطفه. لكنه كان جادًا فيما قال، ولم تصدق أم سعد.

- المسكينة ستموت لأجل عبير. ارأف بحالها. وإن شاء الله ترجع عبير.

- عائشة انشغلت عن البنت حتى اختفت تماما من الحي. لو تنبهت عقب اختفائها، لكان البحث سهلا. عائشة لا تأخذ بالها.

- اعذرها. ساعة الغفلة..

ولم تجد حلا أفضل من أن تبيت معها الليلة. أنهضتها وهي في حالة إغماء. لم تبح لها بشيء. ولم تَدْرِ عائشة هل دخلت شقتها أو شقة أم سعد، وأضربت عن الشراب والأكل، وقضت ليلتها تبكي وتولول..

قد يكون ظالمًا. لكن ماذا بوسعه أن يفعل وقد اختفت وحيدته؟.

إنه الإهمال والتقصير من عائشة. قد يشاركها بعض الذنب. يلوم نفسه الآن، يعنفها

فجلوسه على المقهى كل مساء أبعده عن شؤون البيت. ها هي عبير تختفي. ولقد أصر على ألا تبيت زوجته بالبيت. ولكن ماذا هو فاعل لو لم يعثر عليها؟ جن جنونه. إنه لا يتصور أن تضيع ابنته. أرهق نفسه طول الليل حتى الواحدة صباحا. لم يبق سوى سويعات وتطلع الشمس. أحرق أنفاس الليل بدخان التبغ. صوت بداخله، يُحمِّله جزءًا من المسؤولية. لكن الأم لا بد أن تأخذ بالها. الطائر يحافظ على فراخه. القطة تخاف على صغارها، وتنقلب مخالبها إلى سلاح دام لكل من يمس الصغار بسوء. فما بال عائشة تبدو كالشاردة لا تأخذ بالها من شيء؟ ذاك طبعها. وكثيرا ما ردد رأيه فيها، ولكثرة ما قال، صار من نافلة القول الذي لا يلقى عندها أذنًا صاغية.

يعود الصوت يؤنبه: أنت لم تحسن التصرف، وليس مبيتها عند الجيران بالأمر المقبول. وماذا لو لم تعثر على عبير؟ هل أنت جاد في تطليقها؟ توتر حاد، وحزن مقيم، إلى أن أغفت عيناه دقائق معدودات، سرعان ما أفاق بعدها إلى واقعه المرير.

عبير، طفلتهما المدللة، هل اختطفها أحد؟ هل ضلت الطريق؟ هل دهستها سيارة في الشارع العمومي؟ أعوذ با الله... ارتعدت فرائصه ولم يتمالك نفسه. انصبّ كل تفكيره في ابنته. لم ينشغل كثيرًا بحال عائشة. إنه يخشى أن تصاب البنت بمكروه، وأصرّ أن يتجه إلى المستشفيات عقب صلاة الفجر، ويسأل عن حالات الاستقبال.. ربما.. ابنته.. واعتصر قلبه ألمًا وكمدًا..

حين نزلت عبير إلى الحارة، لم تجد هالة. جلست إلى عتبة المنزل الحجرية وشردت قليلا. هل ترجع إلى البيت، أو تذهب إلى بيت هالة وتنادي عليها؟ قالوا إنها مريضة، ومنعها الطبيب من ترك السرير. كما أن أمها تردد على مسامعها أنها بنت، ويجب أن تساعد أمها. حين تبكي تسمح لها بالنزول ساعة ذهاب أبيها إلى المقهى، وكثيرا ما منعتها من اللعب مع هالة، مع أنها تعطيها الملبس والشيكولاته. جَدّها لم تره من زمن.. راودتها فكرة. أن تذهب إليه بمفردها. المشوار بعيد. لكنها كبرت وتعرف الطريق إلى بيت الجدّ. لا شك أنه سيغرقها بكميات كبيرة من الحلوى سوف تملأ جيوبها وتعطي هالة. قادتها خطاها إلى الشارع الكبير المزدحم، الذي تسير فيه السيارات الكبيرة. وقفت حيرى. كيف تعبر الطريق إلى الناحية المقابلة؟ تريثت طويلا، وهي تجول بعينيها يمنة ويسرة، وحين اطمأنت عبرت سريعا. الحمد الله. قد وصلت إلى الطوار دون مساعدة من أحد. مشت خطوات قليلة إلى أن وصلت إلى موقف سيارة الركوب. انتظرت حتى جاءت رقم (٨) التي تقلها إلى حيث يقطن الجد الحبيب. اندست بين الركاب فرحة لأول مشوار بعيد تقوم به. لذة المغامرة أسعدتها. لم ترتجف ولم تخف. لقد كبرت وبدأت حياة جديدة.

لماذا تقتصر على مشاوير المدرسة القصيرة؟ كانت تسير على قدميها مع صويحباتها خمس دقائق فقط. أما الآن، فالمشوار لا يقدر عليه سوى الكبار، وهي كبيرة. كبرت أنا. صار عمري تسع سنوات. صرت أكبر. صرتُ أطول. صرت أحلى. حين أنجح في الوصول إلى بيت جدي، ستفرح أمي وأبي. سيعتمدان عليّ في الذهاب والمجيء من غير خوف.

أتى المحصل وطلب منها ثمن التذكرة. لم تعمل حسابها وتأخذ نقودًا. ماذا أفعل يا ربي؟ أطرقت في خوف. ردد المحصل على مسامعها:

ـ تذاكر يا عروسة.

ـ ليس معي نقود.

مدّ شيخ مسن يده بعشرة قروش، لكن المحصل ردها إليه وقال لعبير:

ـ اليوم مجانا، وبعد ذلك لازم تدفعي الأجرة.

فَرِحَتْ وقالت:

ـ حاضر

وضحك جمع من الركاب.

وثقت في قدرتها على الوصول. وفي آخر الخط نزلت مع الركاب، وسألت عن شارع (النهضة). مشت قليلا إلى أن وصلت إلى بيت جدها رقم (١٦) صعدت الدرج المتآكل. وأمام باب الشقة وقفت تدق الجرس. دهش الجد العجوز لمجيء عبير وحدها.

ـ ألم تقولي لوالديك؟

أطرقت. فطن الجد أن عبير غامرت. وبقدر فرحته بها، حزن لأن أبويها لا يعلمان. واعتبر ذلك نذيرا. لا بد أن ينبه ابنه وزوجته إلى خطر متوقع. يعرف عن حسين استهتاره وتغيبه عن البيت. ويعرف عن عائشة سهوها وعدم تركيزها في شيء مهم.

لم يستطع أن يعود بعبير ليلا، فعيناه لا تميزان المرئيات بدقة. أرجأ ذلك إلى الصباح. ومن ناحية أخرى سيكون درسًا قاسيًا لهما.

احتفى بالصغيرة.. قدم لها الطعام والشراب، وأهداها قصصا لطيفة، ولعبا جميلة.

في الصباح، توجه إلى بيت ابنه ومعه عبير، ولقَّن الزوجين الدرس القاسي. لم يتفوه كلاهما بكلمة واحدة. كانا حطام جسدين.. احتملا التأنيب والتوبيخ

ولما امتدت يد حسين لضرب ابنته، منعه أبوه قائلا:

ـ الأهم من الضرب أن ترعى عبير، وأن تكون قريبا منها.

ـ ضحكت عبير حين قبلها جدها الحبيب قبلته الحانية، وقال لأبويها:

ـ البنت كبرت... ما شاء الله.. أصبحت عروسا..

وملأ جيوبها بالملبس والشيكولاتة.

الحركة الثقافية في شهر

حملة فى سلطنة عمان لترميم المخطوطات الأهلية .

تمديد موعد تلقى الترشيحات لجائزة محمد حسن فقى .

جائزة جديدة للدراسات عن آثار العدوان العراقى .

مكتبة جمال حمدان تهديها عائلته إلي مكتبة القاهرة .

اليونسكو تبدأ حملة دولية لإحياء مكتبة سراييفو .

أوروبا تختلف حول لغاتها ، والحل فى اللاتينية .

السعودية

دراسة تصور شامل لموسوعة الأدباء

تم تكليف الأندية الأدبية في كل من مكة المكرمة والقصيم والمنطقة الشرقية بوضع تصور شامل لأسس إصدار موسوعة للأدباء السعوديين يشمل تحديد القواعد والمعايير والشروط، ليتم تقديمه إلى الإدارة العامة للأندية الأدبية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب خلال النصف الثاني من شهر محرم الجاري، التي ستقوم - بدورها - بدراسة واستخلاص صيغة موحدة توزع على الأندية الأدبية للعمل بموجبها، على أن يتم إقرار الصيغة النهائية للموسوعة في اجتماع للأندية الأدبية ومندوب الإدارة العامة يعقد بعد عام.

جاء ذلك ضمن توصيات المؤتمر العاشر للأندية الأدبية السعودية الذي اختتم أعماله في جيزان في منتصف شهر ذي القعدة الماضي ١٤١٤ هـ.

تضمنت التوصيات التنسيق بين الأندية بشأن طباعة الكتب الكبيرة التي ترى بعض الأندية ضرورة إصدارها بجهود جماعية، والتأكيد على أهمية الارتفاع بمستوى المادة العلمية المنشورة عبر الأندية الأدبية، والتوسع في تشجيع الكتاب السعودي تأليفًا ونشرًا، وأهمية التواصل مع المراكز العلمية في الجامعات لمعرفة ما لديها من مشروعات علمية يمكن التعاون من أجل إبرازها، والاكتفاء بالتأكيد على توصيات المؤتمرات السابقة والمؤتمر التاسع، وتثبيت مسمى اللقاءات باسم «الاجتماع السنوي للأندية الأدبية» بدءًا من الاجتماع المقبل، الذي تقرر أن يستضيفه نادي الرياض الأدبي، إلى جانب توصيات أخرى.

وكان المؤتمر قد كرَّم خلال جلساته عددًا من الأدباء والكتاب الرواد، من بينهم الراحلان: محمد علي السنوسي، ومحمد زارع عقيل، والكاتب محمد إبراهيم العقيلي، ومجموعة أخرى.

تسليم جائزة أمين مدني


أمين مدني

رعى صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد ابن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة، في الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة الماضي ١٤١٤ هـ، الحفل الذي أقامه نادي المدينة المنورة الأدبي بمناسبة توزيع جائزة أمين مدني للبحث في تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها والدراسات المتعلقة بها، في سنتها الأولى.

وكانت الجائزة قد خُصصت هذا العام للأعمال والدراسات المتعلقة بالمدينة المنورة بصفتها عاصمة الإسلام الأولى، ولما يمثله تاريخها وأحداثها من مكانة ذات أهمية في تاريخ الجزيرة، حيث تقاسم الجائزة كل من: د. محمد العيد الخطراوي (سعودي) عن أعماله الأربعة الآتية: «المدينة المنورة في العصر الجاهلي: الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية»، «المدينة المنورة في العصر الجاهلي: الحياة الأدبية»، «المدينة المنورة في صدر الإسلام: الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، «المدينة المنورة في صدر الإسلام: الحياة الأدبية»، والدكتور صالح لمعي مصطفى (مصري) عن كتابه: «المدينة المنورة: تطورها العمراني وتراثها الحضاري والمعماري».

وتقرر أن يكون موضوع الجائزة في سنتها الثانية لعام ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م أحد الموضوعين التاليين:

- الموانىء في الجزيرة العربية منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى قيام الدولة العثمانية.
- الحياة الاقتصادية في الحجاز كما تعكسها كتب الرحالة المسلمين، حتى مطلع القرن العشرين الميلادي.

يُذكر أن الموافقة السامية على إنشاء الجائزة صدرت في ١٤٠٩/١٢/١٣ هـ بناء على توصية صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ابن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب، وتقدم سنويًا من طريق النادي الأدبي في المدينة المنورة، وتبلغ قيمتها خمسة عشر ألف دولار أمريكي، وتضم لجنتها العلمية كلاً من: الشيخ حمد الجاسر والشيخ محمد موسى الحافظ ود. عبد الرحمن الطيب الأنصاري ومحمد هاشم رشيد، إضافة إلى أمين الجائزة إياد أمين مدني.

وفاة
محمد سعيد المسلم



محمد سعيد المسلم

فقدت الحركة الثقافية السعودية واحدًا من أعلامها بوفاة الأديب والباحث محمد سعيد المسلم عن عمر يناهز ٧٣ عامًا.

وُلد الفقيد عام ١٣٤١ هـ في مدينة القطيف، وفيها تلقى دراسته، إلى أن غادرها إلى بغداد طلبًا لمزيد من العلم، والتحق بأحد معاهدها لدراسة اللغة الإنجليزية، كما حصل على دبلوم في المحاسبة ومسك الدفاتر.

ومارس الفقيد الأعمال الحرة، كما عمل في أحد البنوك السعودية، ومارس العمل الصحفي في جريدة «الجمهورية» ببغداد، وترأس تحرير جريدة «أخبار الظهران» في أول صدورها، وعرف فنون الكتابة المختلفة فكتب في الشعر والقصة والمقالة والتاريخ والنقد، ونشر نتاجه في كبريات صحف العالم العربي، لعل أبرزها «الأديب» و«الثقافة» و«الآداب» و«العرب»، كما أسهم في الحياة الثقافية عبر مشاركاته المتعددة في الندوات والمحاضرات والملتقيات والمؤتمرات.

وله عدة مؤلفات مطبوعة منها: ديوانه الرابع «عندما تشرق الشمس» وكتاب «ساحل الذهب الأسود: دراسة تاريخية».

إضافة إلى كتب كانت عشية وفاته تحت الإعداد، منها موسوعة تاريخية جغرافية بعنوان «الخليج العربي: حضارة وتاريخ»، وكتاب بعنوان: «تبسيط النحو العربي».

الملتقى الشعري السعودي الأول في أبهـا

ينظم نادي أبها الأدبي في منتصف شهر صفر المقبل ١٤١٥ هـ الملتقى الشعري السعودي الأول، بمشاركة مجموعة كبيرة من الشعراء والنقاد.

تُشرف على الملتقى الذي يستمر أربعة أيام الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

يتضمن برنامج اليوم الأول: الافتتاح وأمسية شعرية، وخصص اليوم الثاني لدراسة شعر الشاعر محمد عبد القادر فقيه وسيرته، حيث يُقدِّم الشاعر علي الأمير دراسة عنه، تعقبها قراءات شعرية مفتوحة يشارك فيها ضيوف الملتقى.

ويناقش الحضور في اليوم الثالث محور «الشعر السعودي الحديث»، كما تقام قراءات شعرية مفتوحة، ويختتم الملتقى في اليوم الرابع بقراءات شعرية مفتوحة.

مهرجان نسوي للتراث

افتتحت حرم صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، في الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة الماضي، مهرجان التراث الوطني السعودي الذي نظمته في جدة الجمعية الفيصلية النسوية الخيرية.

تضمن المهرجان فقرات عديدة، شملت معروضات تمثل أنواع الأدوات وأوجه النشاط المهني والفني واليدوي الذي كانت تمارسه المرأة السعودية قديمًا، مثل المشغولات والمطرزات والمصنوعات المنزلية المختلفة.

كما احتوى المهرجان على عروض لأبرز الثياب والملابس الشعبية والتراثية التي تشتهر بها مناطق المملكة، وتقديم لأشْهر المأكولات السعودية.

وكرّم المهرجان صاحبة السمو الملكي الأميرة حصة بنت خالد بن عبد العزيز، أول رئيسة للجمعية، تقديرًا لدورها في تأسيس الجمعية ورعاية مسيرتها على امتداد سبعة عشر عامًا.

المسابقة الأدبية الرابعة لنادي الشرقيـة

فتح نادي الشرقية الأدبي باب تلقي المشاركات في مسابقته الأدبية الرابعة في مجالات القصة، والشعر، والبحث.

المسابقة مفتوحة للمواهب الواعدة من الجنسين، على أن تكون القصيدة عمودية أو

ملتزمة بالتفعيلة، وأن تتناول القصة قضايا المسلمين المعاصرة، وتَحدَّد موضوع البحث بدراسة أدبية عن أحد الأدباء السعوديين، وأعماله الأدبية، لا تقل عدد صفحاتها عن عشرين صفحة.

وتحددت نهاية شهر محرم الجاري ١٤١٥ هـ موعدًا نهائيًا لقبول المشاركات.

كتابات الشيخ ابن عبد الوهاب بالأوردية

بدأت عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض في إصدار سلسلة جديدة من مطبوعاتها تحت عنوان «مختارات من مؤلفات علماء المسلمين».

الكتاب الأول من هذه السلسلة صدر - مؤخرًا - باللغة الأوردية بعنوان «مختارات من كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب».

قام بإعداد مادة الكتاب د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، ونقله إلى اللغة الأوردية د. سمير عبد الحميد إبراهيم.

مسابقة للفنون التشكيلية

تُعلن في الثالث من شهر محرم الجاري أسماء الفائزين في مسابقة الخطوط السعودية الثانية للفن التشكيلي.

واختارت لجنة تحكيم المسابقة أربعين عملاً فنيا من بين نحو ثمانمائة عمل تقدم بها فنانون سعوديون وأجانب للفوز بجوائز المسابقة.

ومن ناحية ثانية تخرجت في المركز السعودي للفنون التشكيلية في جدة الدفعة الثانية من الدورات التي ينظمها المركز للفنانات التشكيليات، وقامت سمو الأميرة مشاعل بنت فيصل بن عبد العزيز بتسليم الخريجات وعددهن ١٧ فنانة شهادات معتمدة من الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

كتب جديدة

نشيد الفطرة: من تراث الفكر العربي الإسلامي المعاصر، تأليف محمود رداوي، صدر عن دار المعمر للطباعة والنشر والتوزيع في الرياض.

الإخوة والأخوات، جـ ١، تأليف الحافظ أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، صدر عن دار الراية للنشر والتوزيع في الرياض.

ما لا بد منه في أمور الدين، تأليف أبي بكر بن محمد عارف خوقير المكي، حققه وعلّق عليه خالد علي محمد، صدر عن دار سعد النجيم للنشر والتوزيع.



د. عبد الكريم الأسعد

محاضرات في التطبيق النحوي، تأليف د. عبد الكريم محمد

محاضرات وندوات

نظمت رابطة الأدباء في الكويت أمسية قصصية شارك فيها القاصان حمد الحمد ومنى الشافعي، قدم الأمسية وليد الرجيب.

«الصراع والأزمة في الصومال» عنوان محاضرة ألقاها بدعوة من النادي العربي في بريطانيا د. محمد صالح حسن.

«تاريخ البحرين الحديث في المصادر العربية حتى بداية القرن العشرين»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية الآداب في البحرين عبدالله بن خالد آل خليفة.

«تنبيهات للحجاج والمعتمرين» عنوان محاضرة ألقاها في جامع البنغلي في الدمام الشيخ منصور بن صالح الهديب.

«وجوب التحاكم إلى شرع الله» عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة المكرمة الثقافي الأدبي، سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز.

«الشاعر د. إبراهيم العواجي، كان ضيف أمسية أدبية نظمها نادي مكة المكرمة الأدبي الثقافي، وأدارها د. راشد الراجح الشريف.

نظّم القسم الثقافي بفرع جمعية الثقافة والفنون في الأحساء أمسية شعرية شارك فيها كل من عبدالله الحربي وناجي الحرز وعادل الرمل، أعقبتها مداخلات من الحضور.

«لنتعلم من الوسائل التعليمية» عنوان محاضرة ألقاها في الكلية التقنية بالدمام د. زكريا يحيى لال.

«الوسائل العلمية في التعليم الهندسي» عنوان محاضرة ألقاها في قصر جمعية المهندسين الكويتية د. حسن حمودة.

«أصول مبكرة للكويت» عنوان محاضرة ألقاها على مسرح ثانوية عبدالله السالم في منطقة حولي بدعوة من دار الآثار الإسلامية، المستشرق أو لريش هارمان.

الأسعد، صدر عن دار النواف في الرياض.

النونيات: قصائد شعرية متشابهة من شعر الجزيرة العربية في القرون التاسع والعاشر والثالث عشر والرابع عشر الهجرية، جمع ودراسة وتحقيق د. عبدالله بن محمد أبو داهش، صدر عن مطابع مؤسسة المدينة المنورة في جدة.

الإمارات

قرية من بداية العصر الإسلامي

اكتُشفت في جزيرة صير بني ياس قرية يعود تاريخها إلى بداية العصر الإسلامي.

عُثر في القرية على قطع فخارية أثرية، ويأمل العلماء في أن يتمكنوا من تحديد تاريخ القرية من خلال دراسة تلك القطع.

جريدة يومية بالإنجليزية

تعتزم دار الخليج للصحافة في الشارقة إصدار صحيفة يومية باللغة الإنجليزية.

يُنتظر أن يصدر العدد الأول من هذه الصحيفة في وقت لاحق من العام الميلادي الحالي، حيث قطع المشروع خطوات تنفيذية كبيرة.

ويُذكر أن الدار تُصدر جريدة «الخليج» ومجلتي «الشروق» و«كل الأسرة».

البحرين

ندوة علمية

نظم قسم الدراسات العامة بكلية الآداب في جامعة البحرين ندوة علمية عن «إشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية: مقاربة واقع المجتمع العربي».

شارك في الندوة باحثون من مختلف البلدان العربية، ناقشوا ما يزيد على مائة بحث، دارت حول محاور الندوة المختلفة مثل: المنهج وتقنياته في العلوم الاجتماعية المعاصرة، وتجارب من العالم الثالث، والمنهج في العلوم الاجتماعية: مقاربة الواقع العربي.

سلطنة عمان

ترميم مخطوطات المواطنين

بدأت سلطنة عمان - في اطار احتفالاتها بعام التراث - في ترميم وطبع المخطوطات الموجودة لدى مواطنيها .

ووجهت وسائل الإعلام نداء متكررًا للمواطنين الذين بحوزتهم مخطوطات لتسليمها إلى جهات الاختصاص كي تُتخذ الإجراءات اللازمة لترميمها، ومن ثم إعادتها إلى أصحابها .

وقدّر مصدر بوزارة التراث القومي والثقافة عدد المخطوطات الموجودة في حوزة المواطنين بنحو ثلاثين ألف مخطوطة، تم تجميع ما يقارب خُمسها وطُبع منها أربعمائة مخطوطة. وتُبذل جهود حثيثة لتجميع الباقي وترميمه، تمهيدًا لطباعته.

مجلة ثقافية جديدة

تصدر قريبًا أحدث المطبوعات العمانية، وهي مجلة ثقافية فصلية متخصصة، تحمل اسم «نزوى».

«حاضر الرواية في سورية» عنوان محاضرة ألقاها في قسم الدراسات العربية الإسلامية والدراسات الشرقية بالجامعة المستقلة (أوتونوما) في مدريد نبيل سليمان.

«العلاقات الإسلامية اليهودية» عنوان محاضرة ألقاها في فندق حسان بالرباط د. عيسى العلوي.

«الاتجاه التجديدي المحافظ في القصيدة السعودية» عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي د. محمد صالح الشنطي.

«التحضر في مصر» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الفرنسي للدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية في القاهرة د. مجدي ربيع.

«ترقيم البيوت التراثية في العالم العربي» عنوان محاضرة ألقاها في متحف البحرين الوطني جون وارن.

«أنماط غربية وحقائق عربية لأحداث شرق أوسطية» عنوان محاضرة نظمتها دار الآثار الإسلامية في الكويت، وألقاها د. فرنسيس روبنسون.

«أسماء الأشْهر في البلاد العربية، وطريقة توحيدها» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي العربي بدمشق شحادة الخوري.

«المنهج السلفي العلمي والتربوي» عنوان محاضرة ألقاها في جمعية إحياء التراث الإسلامي في الكويت الشيخ عبد الرحمن المغراوي.

«دور لعب الأطفال في تهيئة الطفل للمستقبل» عنوان ندوة نظمها المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة شاركت فيها بدراسة د. سرية عبدالرازق، وعلقت عليها د. سعدية بهادر، وأدارت الحوار د. سنية صالح.

«البوسنة والهرسك.. فلسطين ثانية» عنوان محاضرة ألقاها في مبنى اتحاد الكتّاب العرب في دمشق عبد الوهاب زيتون.

«علماؤنا وتراث الأمم» عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي د. محمد أبو موسى.

تتبع «نزوى» - حسب قرار وزير الإعلام العماني عبد العزيز الرواس - دار جريدة «عُمان» ويرأس تحريرها سيف بن ناصر بن عيسى.

الكويت

جوائز الدراسات حول آثار العدوان العراقي

أحدثت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي جائزة جديدة في العلوم والفنون والآداب تشجيعًا للعلماء والباحثين على إجراء دراسات وأبحاث حول آثار العدوان العراقي ومضاعفاته على الكويت.

تُمنح الجائزة لأفضل البحوث التي تناقش تلك الآثار في مجالات العلوم البيئية، العلوم التاريخية، العلوم النفسية والاجتماعية، العلوم الاقتصادية، القصة والرواية.

يمكن للمُرشَّح أن يتقدم بنفسه أو ترشحه هيئة أو مؤسسة غير سياسية، ويرفق مع الترشيح خمس نسخ من العمل المُرشح، الذي يُشترط أن يكون منشوراً أثناء الغزو العراقي أو بعده، على أن لا يكون قد سبق له نيل جائزة. وأن يصل إلى المؤسسة قبل نهاية شهر أكتوبر ١٩٩٤ م.

وتقرر تخصيص عشرة آلاف دينار كويتي (نحو ٣٣ ألف دولار أمريكي) كجائزة لكل مجال، مع شهادة تقدير تعرض مميزات العمل الفائز.

توصيات ندوة الأليكسو

أوصت الندوة الفكرية لتطوير المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة وتحديثها في ختام اجتماعاتها في الكويت في مطلع شهر ذي القعدة الماضي بضرورة الاهتمام باللغة العربية كأحد المشروعات الكبرى للمنظمة، مع عدم إغفال أهمية تعلم اللغات الأخرى.

ودعا المؤتمرون المنظمة إلى وضع نظام واضح للأوليّات يتفق مع إلحاح القضايا المختلفة، وأكدوا على أهمية استخدام إنجازات الثورة العلمية الراهنة في مجال الإعلام والاتصال، مع ضرورة تبني مشروع عربي للترجمة من اللغة العربية وإليها.

وأوصت الندوة بتوثيق علاقة المنظمة بالمثقفين والمفكرين العرب، مؤكدة على أهمية إشراكهم في عملية التطوير الراهنة في شتى المجالات.

وقد شارك في الندوة وزراء وممثلون للدول الست الأعضاء في مجلس التعاون لدول الخليج العربية إضافة إلى مديري المنظمة الحالي والسابق.

دار نشر طبية

يعتزم المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية تأسيس دار نشر طبية إقليمية مقرها الكويت، وتتوافر لها فروع على مستوى الوطن العربي.

سوف تسدّ الدار ثغرة عدم وجود ناشرين طبيين متخصصين في العالم العربي، وتسهم في تطوير أنشطة المركز في مجال المطبوعات الصحية، وتغطية النشر في المجالات الصحية المختلفة باللغة العربية أو ثنائية اللغة.

كتب جديدة

حمام روماني، مسرحية تأليف ستانسلاف ستراتيف، ترجمها إلى اللغة العربية محمد سعيد الجوخدار، صدرت عن وزارة الإعلام.

الطاغية: دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، تأليف إمام عبد الفتاح إمام، صدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة».

مصر

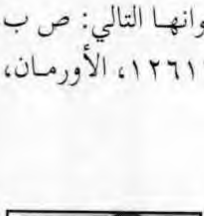
تمديد الترشيح لجائزة محمد حسن فقي


محمد حسن فقي

مددت مؤسسة يماني الثقافية موعد تلقي الترشيحات لنيل جائزة الشاعر محمد حسن فقي في مجالي: أفضل ديوان شعر، وأفضل مؤلف أدبي في نقد الشعر، إلى غرة سبتمبر ١٩٩٤ م، استجابة لطلب بعض الجامعات والمحافل الأدبية العربية.

وأعلنت المؤسسة عن تواصل استقبال طلبات الترشيح على عنوانها التالي: ص ب ١٠٨ الرمز البريدي ١٢٦١٢، الأورمان، الجيزة، مصر.

مهرجان وندوة في ذكرى رحيل العقاد


عباس العقاد

نظمت كلية التربية بجامعة الإسكندرية - مؤخراً - مهرجانًا شعريًا

وندوة أدبية بمناسبة مرور ثلاثين عامًا على رحيل عباس محمود العقاد.

شارك في الندوة مجموعة من كبار الأساتذة، منهم الدكاترة: محمد زكي العشماوي والطاهر أحمد مكي ويسري سلامة وعبد اللطيف زكي، حيث تناول كل منهم جانبًا من جوانب إبداع العقاد وفكره.

وأسهم طلاب الجامعة، إلى جانب مجموعة من كبار الشعراء منهم عبد العليم قباني وعباس خضر وفاروق شوشة وعزيزة كاتو وأحمد سويلم ومحمد إبراهيم أبو سنّة وآخرون، في المهرجان الشعري، حيث تركزت معظم القصائد في ذكر مناقب العقاد.

مكتبة جمال حمدان هدية لمكتبة القاهرة



د. جمال حمدان

أهدت أسرة المفكر الراحل د. جمال حمدان محتويات مكتبته الخاصة التي تضم أربعة آلاف كتاب إلى مكتبة القاهرة الكبرى. وتمثل الكتب المتخصصة في تاريخ مصر وجغرافيتها ثلاثة أرباع الكتب المهداة.

وقرر وزير الثقافة فاروق حسني أن توضع محتويات هذه المكتبة في ركن خاص تقديرًا لما قدمه د. جمال حمدان من إسهامات فكرية.

الفائزون بجائزة تيمور المسرحية

قام وزير الثقافة فاروق حسني بتوزيع جوائز مسابقة محمد تيمور للإبداع المسرحي قبل نهاية شهر ذي القعدة الماضي.

تقاسم المركز الأول الإماراتي جمال محمد سالم عن مسرحيته «بهلول والوجه الآخر» ، والمصري أسامة نور الدين عن مسرحيته «جيوس»، وفاز بالمركز الثاني المصري عبد المنعم العقبي عن مسرحيته «الضمير الغائب»، ونال المصري أسامة جلال الجائزة الثالثة عن مسرحية «الشطرنج».

صحيفتان جديدتان

صدر - مؤخرًا - العدد «صفر» من صحيفة «الأهرام أبدو»، والعدد الأول من مجلة «موسيقى الجيل».

تعد «الأهرام أبدو» أول صحيفة أسبوعية باللغة الفرنسية، وتصدر في حجم الصحافة الشعبية (التابلويد) في ٢٨ صفحة عن مؤسسة الأهرام، ويرأس مجلس إدارتها إبراهيم نافع، وتقدم صورة متكاملة للأحداث المحلية والدولية مع التركيز على العالم العربي وأفريقيا.

أما «موسيقى الجيل» فتعنى بنشر كل ما يتعلق بموضوعات الموسيقى العربية والأجنبية وقضاياها، ويرأس تحريرها سعدون الفشني.

بينالي الإسكندرية الدولي

شارك ٦٤ فنانًا يمثلون ١١ دولة في الدورة الثامنة عشرة لبينالي الإسكندرية الدولي لفنون دول البحر المتوسط.

وفاز اليوناني سبيليد بولاس بجائزة البينالي الكبرى التي تحمل اسم «الإسكندرية» عن عمل مركب باسم «طعام النحل المقدس».

وحصد المصريون سبعة جوائز من بين ١٨ جائزة، حيث فاز صبحي جرجس بجائزة النحت، والسيد القماش بجائزة الرسم، ومحمود شكري بجائزة المحكمين في مجال النحت وجميل شفيق في مجال الرسم، وعصمت داوستاشي بجائزة المحكمين في مجال العمل المركب، وعبد الوهاب عبد المحسن في مجال الحفر، وحصل مجدي عبد العزيز على جائزة شرفية وشهادة تقدير في المجال نفسه.

تجمع تشكيلي عربي جديد



عز الدين نجيب

قام فنانون تشكيليون وباحثون من تسع دول عربية بتشكيل أحدث جماعة فنية عربية تحت مسمى «التجمع العربي للدراسات الجمالية والبحوث الفنية والنقدية».

أُعلن عن التجمع في القاهرة وعَمّان، والمؤسسون هم: عز الدين نجيب، عصمت داوستاشي (مصر)، توفيق السيد، محمد صادق، إبراهيم خليل (الأردن)، طارق الشريف، أسعد عرابي، حسن كمال، صلاح الدين محمد (سورية)، شوكت الربيعي، خالد السلطاني، ماهود أحمد (العراق)، فتحي العربي (ليبيا)، سمير الصايغ (لبنان)، علي اللواتي (تونس)، وإبراهيم مردوخ (الجزائر). واختير عز الدين نجيب(مصر) وتوفيق السيد (الأردن) لتولي مسؤلية التنسيق والاتصال في مرحلة التأسيس.

كتب جديدة

أعز ما يُقرأ، جـ ١، إعداد خالد علي محمد العنبري، صدر عن مكتبة آل ياسر

الحركة الثقافية في شهر

للنشر والتوزيع.

البوسنة والميراث الدامي، دراسة تاريخية سياسية أعدها نزار سمك. وصدرت ضمن سلسلة كتب جديدة بعنوان «تحت دائرة الضوء»، عن دار المحروسة للنشر والخدمات الصحفية.

عفواً..مازلت أحلم، مجموعة قصصية للكاتبة السعودية نورة الغامدي، صدرت عن دار مجد في القاهرة.

يوم صامت في طنجة، رواية الطاهر بن جلون، ترجمها إلى اللغة العربية د. شفيق السيد صالح، وصدرت عن مكتبة مدبولي في القاهرة.

تروبادور الصمت، مجموعة نصوص كتبها بشير السباعي، وصدرت عن دار النيل في الإسكندرية.

طفل الجيل الملتهب، مجموعة قصصية لسناء محمد فرج، صدرت ضمن سلسلة «أصوات أدبية»، عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

التمرد على الأدب، دراسة في تجربة سيد قطب أعدها د. علي شلش، وصدرت عن دار الشروق.

دليل مجلة فصول في عشر سنوات ١٩٨٠ - ١٩٩٠ م (كشاف ومستخلصات)، إعداد سعدية محمد إبراهيم، بإشراف ألفت عبد الرحيم، صدر عن مركز المعلومات والتوثيق بالهيئة المصرية العامة للكتاب.

الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي بين الماضي والحاضر، تأليف د. محمد عبد القادر أحمد، صدر عن مكتبة النهضة المصرية.

الأخطبوط الأحمر: قصة الصراع الكبير بين أجهزة المخابرات العالمية، تأليف توم باور، صدر عن دار الرشاد.

شرق وغرب (رحلات لم تنشر للدكتور محمد حسين هيكل)، جمعها وأعدها للنشر أحمد محمد حسين هيكل، صدرت ضمن سلسلة «كتاب الهلال»، عن مؤسسة دار الهلال.



د. محمد حسين هيكل

مختارات من القصص القصيرة في ١٨ بلداً عربيًا، اختارها وقدم لها د. الطاهر أحمد مكي، وصدرت عن مركز الأهرام للترجمة والنشر.

الفكاهة عند نجيب محفوظ، تأليف مصطفى بيومي، صدر عن الشركة المصرية العالمية للنشر.

صورة الإسلام في الإعلام الغربي، تأليف د. عبد القادر طاش، صدر عن دار الزهراء للإعلام العربي.

السودان
معرض الخرطوم الدولي للكتاب

شاركت مائة دار نشر تنتمي إلى ١١ دولة عربية وأجنبية في معرض الخرطوم الدولي الأول للكتاب الذي نظمته دار الخرطوم

رسائل جامعية

«سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن: دراسة موضوعية» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين في الرياض، تقدم بها حسن بن صالح الحميد.

«الحملة البريطانية على الحبشة ١٨٦٧ م» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة القاهرة، تقدم بها محمود عباس أحمد.

«مناهج وطرق تدريس اللغة العربية» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة البحرين، تقدمت بها إماء أبو إدريس.

«الميسر في شرح مصابيح السنة للإمام التوربشتي من أول باب أوقات النهي من كتاب الصلاة إلى نهاية كتاب الصوم: تحقيقًا ودراسة» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها أحمد بن عبدالله حمد الباتلي.

«شخصية المتنبي ونشأته، وأثرهما في شعره» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، تقدمت بها منى أمين مصطفى.

«دور مركب الثيولا في علاج التليف الكبدي» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية العلوم بجامعة المنوفية في

للطباعة والنشر والتوزيع بالتعاون مع بيت الثقافة.

تميز المعرض بانتظام عروضه في ولايات السودان المختلفة، وحظي الكتاب العلمي والمراجع الجامعية - وبخاصة المعربة - بالجزء الأكبر من الاهتمام تمشيًا مع سياسة تعريب التعليم الجامعي.

والغريب أن السودان لم يشارك إلا بثلاث دور نشر فقط، من بينها الداران المنظمتان للمعرض، فيما شاركت ١٥ دارًا للنشر من مصر و١١ دارًا من الولايات المتحدة الأمريكية، و١٠ دور من بريطانيا، و٧ من لبنان.

لبنان
مجلة لديكور المنازل

- صدر في بيروت - مؤخرًا - العدد الأول من مجلة «إيوان» التي تعنى بديكور المنازل والفن التشكيلي.

ترأس تحرير المجلة الشاعرة الفنانة التشكيلية مهى بيرقدار الخال، أرملة الشاعر الراحل يوسف الخال.

مجلة لطبّ الأسنان

صَدرت - مؤخراً - في بيروت أول مجلة متخصصة في طب الأسنان.

تحمل المجلة اسم أخبار الأسنان (دنتل نيوز)، وتصدر فصلية بثلاث لغات: العربية والإنجليزية والفرنسية، ويشارك في تحريرها مجموعة من أطباء الأسنان اللبنانيين والعرب والأوربيين.

كتب جديدة

مذكرات أدريان، (معالجة روائية لسيرة الإمبراطور أدريان) تأليف مرجريت يورسنار، ترجمة د. عفيف دمشقية.

الحساسية الجديدة: مقالات في الظاهرة القصصية، تأليف إدوار الخراط.

صدر الكتابان السابقان عن دار الآداب في بيروت.

الطربوش، رواية لروبير سوليه، ترجمت إلى اللغة العربية بإشراف أحمد حاطوم، وصدرت عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر في لبنان.

متاهة الرمل، رواية الكاتب التونسي، الحبيب السالمي، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

الصراع بين التيارين الديني والعلماني، تأليف: محمد ضاهر، صدر عن دار البيروني في بيروت.


الزركلي

ديوان الزركلي، للشاعر والمؤرخ الأديب خير الدين محمود محمد فارس الزركلي، صدر عن مؤسسة الرسالة في بيروت.

شرح حدود ابن عرفة الفقهية، تأليف محمد بن القاسم بن يحيى بن أبي الفضل ابن محمد الرّصّاع ت ٨٤٩ هـ، تحقيق د. محمد أبو الأجفان، صدر عن دار الغرب الإسلامي في بيروت.

تأثيرات شهرزاد: فن السرد العربي الحديث، تأليف د. محسن جاسم الموسوي، صدر عن دار الآداب في بيروت.

الأمة والدولة: جدليات الجماعة والسلطة في العالم العربي والإسلامي، تأليف المهندس الفضل شلق، صدر عن دار المنتخب العربي في بيروت.

مصر، تقدمت بها فاتن رشدي عبد الغفار.

«نقض تأسيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق من قوله فصل: قال الرازي الخبر الثالث ما روى صاحب شرح السنة في كتابه بأن آخر من يخرج من النار، عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث طويل أنه قال: فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون إلى قول الرازي: الفصل الخامس في لفظ اللقاء» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها محمد بن عبدالله البريدي.

«تحقيق ودراسة كتاب كاشف معاني البديع في بيان مشكلة المنيع لأبي إسحاق» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها يحيى بن عبدالله السعدي العبدلي.

«قوادح القياس عند الأصوليين» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها صالح عبد العزيز العقيل.

«تداخل الأصول عند اللغويين وأثره في بناء المعجم العربي من خلال مدرسة القافية» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها عبد الرزاق فراج الحربي.

السلطنة في الفكر السياسي الإسلامي، نصوص مختارة جمعها وقدم لها وأعدها للنشر د. يوسف إيبش، صدرت عن دار الحمراء في بيروت.

الأردن
اختتام الموسم الثقافي لمجمع اللغوي

اختتمت - مؤخرًا - برامج الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الأردني، التي أقيمت بمشاركة علماء وأكاديميين من عدة بلدان عربية مختلفة.

افتتحت البرامج بمحاضرة عن «وضع المصطلح العربي في علوم الفقه الإسلامي» ألقاها د. فتحي الدريني الأستاذ بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، واختتمت بمحاضرة للدكتور تمّام حسان الأستاذ بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، عنوانها «وضع المصطلح العربي في النحو والصرف».

اكتشاف مستعمرة رومانية

اكتشفت في إحدى ضواحي عمان مستعمرة رومانية تضم عددًا من المباني الأثرية المهمة، يُعتقد أنها مدينة أثرية متكاملة تعود إلى بداية القرن الميلادي الأول.

اكتشفت المستعمرة بطريق المصادفة، حيث كان أحد الملاّك يقوم بعمل بناء خاص في تلك الضاحية التي كانت تدعى قديمًا «فيلادلفيا»، وأثناء نقل الحفريات وجدت أعمدة كلسية مزخرفة بأوراق الأكانتوس، وتيجان أعمدة على غرار تيجان الكورنتيان الرومانية، وحين علمت دائرة الآثار العامة بالأمر أوقفت العمل في البناء.

كتب جديدة

أصول الإيمان، تصنيف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تحقيق وتعليق د. باسم فيصل الجوابرة، صدر بالزرقاء.

صبي الأسرار، مجموعة شعرية لخيري منصور، صدرت عن دار الشروق في عمان.

سورية
الاحتفال بذكرى علماء العرب والمسلمين

قررت اللجنة المشكلة في المجلس الأعلى للعلوم لاختيار العلماء العرب والمسلمين للاحتفال بذكراهم على هامش أعمال أسابيع العلم المقبلة، اختيار العالم «الكندي» لتحتفل به جامعة دمشق هذا العام.

كما تقرر أن تحتفل جامعة تشرين باللاذقية في العام المقبل ١٩٩٥ م بابن ماجد الملاّح، وجامعة البعث في حمص عام ١٩٩٦ م بأولاد موسى بن شاكر.

كتب جديدة

السعودية: دولة العصر الحديث، تأليف محمد سامر العطري، صدر عن دار مجلة الثقافة في دمشق.

ثمن الدعاء، مجموعة قصصية للكاتب سعيد كامل.

التسامح في الإسلام، تأليف د. شوقي أبو خليل.

الهوايات والأهواء، تأليف د. توفيق الحاج يحيى.

أساسيات علم المناخ، تأليف د. علي حسن موسى.

صدرت الكتب الأربعة السابقة عن دار الفكر في دمشق.

الوجيز في قصة الحضارة، الجزء الثالث، تأليف د. غازي مختار طليمات.

كلمة ذوي الشهيد، مجموعة قصصية لأديب النحوي.

صدر الكتابان السابقان عن دار طلاس في دمشق.

الطاحون، (تجارب وذكريات) تأليف د. محمود جمعة.

مختارات من الأدب الإيطالي، ترجمها إلى اللغة العربية سمير الصغيرْ.

الكهان في مصر القديمة، تأليف سيرج سونيرون، ترجمة عيسى طنوس.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار الأهالي في دمشق.

تقاسيم، ديوان للشاعر جمال علوش.

الغناء في موسم الحداد، مجموعة شعرية لإبراهيم عباس ياسين.

الرمال المتحركة، مجموعة قصصية للكاتبة أليس إلياس.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن اتحاد الكُتّاب العرب في دمشق.

نحو علم عربي للسياسة، تأليف د. جورج جبور، صدر عن دار المنارة في دمشق.

السيدة دلووي، رواية فرجينيا وولف، ترجمها إلى اللغة العربية عبد الكريم محفوظ، وصدرت عن دار جفرا للنشر في حمص.

تاريخ مدينة دمشق، المجلد الثالث والأربعون، تأليف ابن عساكر، صدر عن مجمع اللغة العربية في دمشق.

العراق
قرية عمرها ١١ ألف عام
اكتشفت في منطقة حوض سد صدام قرب مدينة فايدة بشمالي العراق قرية عراقية من العصر الحجري تعود إلى ما قبل ٩ آلاف سنة قبل الميلاد.

وعثر الآثاريون في القرية على بيوت دائرية مشيدة بالطوب اللبن.

ليبيا
مجمع للغة العربية
صدر قرار من اللجنة الشعبية العامة (رئاسة مجلس الوزراء) بإنشاء مجمع للغة العربية في ليبيا.

يتكون مجلس المجمع من عشرين عضواً، خمسة من العالم العربي، والباقون ليبيون.

الجزائر
كتب جديدة
المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد بين عامي ١٧٨٠ - ١٧٩٨ م، تأليف د. يحيى بوعزيز.

سيد قريش، رواية لمعروف الأرناؤوط.

سفر الليل، سفر الرجال، روايتان لأنطوان دي سان الخربوري.

الحكايات، رواية بالفرنسية لشارل بروات.

صدرت الكتب السابقة عن ديوان المطبوعات الجامعية.

الفن الإسلامي في الجزائر، موسوعة مصورة أعدها رشيد بوروبية.

تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية من ١٩١٩ - ١٩٥١ م، تأليف محفوظ قداش.

صدر الكتابان السابقان عن المؤسسة الوطنية للكتاب في الجزائر.

تونس
مدينة للفنون
قررت تونس تشييد مدينة للفنون في قرطاج تناط بها مهمة عرض أعمال الفنانين التشكيليين التونسيين والعالميين، وبعث الحركة الفنية التشكيلية.



الرئيس زين العابدين بن علي

يحظى المشروع باهتمام شخصي من الرئيس زين العابدين بن علي، الذي أقر إصدار جائزة تشجيعية سنوية تمنح لأفضل الأعمال التشكيلية.

المغرب
التنوع اللغوي في ندوة
نظمت جمعية البحوث والدراسات اللسانية بالتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية في فاس - مؤخراً - ندوة علمية بعنوان «التنوع اللغوي من الوقائع إلى النظريات».

شارك في الندوة إلى جانب الباحثين المغاربة باحثون من الولايات المتحدة الأمريكية والنرويج وفرنسا وبريطانيا وهولندا.

وتمحورت المناقشات حول عدة موضوعات، منها: الاكتساب اللغوي، واللسانيات الاجتماعية، والتنوع الزمني والجهوي، والتفاعل بين التركيب والدلالة، والتنوع اللغوي واتساق الضمائر، وموضوعات أخرى.

من الكتب الجديدة
أطياف الظهيرة، رواية للكاتب بهوش يا سعيد، صدرت عن دار عالم المعرفة في الدار البيضاء.

إيران
المواطن الإيراني يقرأ دقيقتين يوميًا!
قالت دراسة أجرتها صحيفة «سلام» حول توزيع الصحف وقراءتها في إيران واليابان: إن المواطن الإيراني يخصص يوميًا دقيقتين فقط من وقته لقراءة الصحف والمطبوعات الأخرى، مقابل ٤٦ دقيقة يخصصها المواطن الياباني لقراءة صحيفته المفضلة.

وكشفت الدراسة عن أن معدل توزيع الصحف اليومية في إيران لا يزيد على ١.٥ مليون نسخة، أي ما يعادل ٢٦ - ٣٢ نسخة لكل ألف مواطن، موازنة بـ ٧٢ مليون نسخة توزع يوميًا في اليابان بمعدل ٥٨٠ نسخة لكل ألف مواطن.

ويذكر أن الأمم المتحدة وضعت حدًا أدنى لمعدل توزيع الصحف بحيث يعني تدنيه عن مائة نسخة لكل ألف مواطن وجود خلل في المستوى الثقافي.

فرنسا
حملة دولية لإحياء مكتبة سراييفو
بدأت منظمة اليونسكو العالمية حملة لإحياء المكتبة الوطنية في مدينة سراييفو وإعادة تجديدها، بتخصيص مبلغ مائة ألف دولار لهذا الغرض.

وطالبت المنظمة مختلف البلدان والهيئات والمنظمات بتزويد المكتبة التي أصابها

العدوان الصربي بدمار شامل بعدد من الموسوعات والقواميس والكتب التاريخية والعلمية.

وكان مركز جورج بومبيدو في باريس قد استضاف - مؤخرًا - معرضًا عن سراييفو استمر حتى الرابع من شهر ذي الحجة المنصرم تحت عنوان «أطلال مدينة محاصرة».

ضم المعرض مجموعة كبيرة من الصور التي توضح ما أصاب سراييفو من خراب، وبخاصة الأماكن التاريخية والأثرية والحضارية مثل المسجد الأبيض الذي شُيد عام ١٥٣٦ م والمكتبة الوطنية التي كانت تضم مجموعة من أنفس المخطوطات.

معرض الكتاب العربي - الأوروبي

شارك أكثر من مائتي ناشر فرنسي وأوربي، إضافة إلى العديد من دور النشر العربية، في المعرض الأوروبي العربي الثالث للكتاب الذي اختتم أعماله في معهد العالم العربي بباريس في منتصف شهر ذي الحجة الماضي.

ضم المعرض للمرة الأولى هذا العام جناحًا خاصًا للمجلات احتوى على أكثر من مائة مجلة، وأقيمت على هامشه نشاطات ثقافية وفنية، منها أمسية شعرية، وعرضان مسرحيان يستلهمان أعمال نجيب محفوظ، وندوة حول الترجمة، ومائدة مستديرة بين كتاب مغاربة باللغة العربية وروائيين عرب باللغة الفرنسية.

مجلة «سبأ»

صدر - مؤخرًا - في باريس العدد الأول من مجلة «سبأ» وهي مجلة متخصصة في شؤون الحضارة اليمنية القديمة.

يرأس تحرير المجلة جوليان روبان، ويدير التحرير الشاعر شوقي عبد الأمير.

قناة تلفازية معرفية

تقرر إنشاء محطة تلفازية معرفية تختص ببث البرامج التثقيفية والترفيهية.

يتولى إدارة المحطة الجديدة جان ماري كافادا، وهو وجه تلفازي معروف كان مرشحًا لإدارة القناتين الحكوميتين فرانس (١)، فرانس (٢).

معرض طريق الحرير البحرية

يستضيف متحف البحرية في باريس حاليًا معرض «طريق الحرير البحرية» الذي تنظمه المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو).

يستمر المعرض حتى السادس من شهر محرم الجاري ١٤١٥ هـ (١٥ يونية ١٩٩٤م)، ويسترجع ملامح انطلاق الغرب بحرًا لاكتشاف الشرق، من أساليب الإبحار في عرض المحيطات وخرائطه وأدواته لبلوغ ضفاف الصين والهند واليابان.

جائزة إذاعة فرنسا لطالب مصري

فاز الطالب المصري أشرف أمين محمد أمين بجائزة القصة القصيرة في المسابقة التي نظمتها إذاعة فرنسا الدولية.

تقدم للمسابقة نحو خمسة آلاف شاب ينتمون إلى ٨٥ دولة، وكانت الجائزة من نصيب الفائز الذي يدرس في مدرسة دي لاسال بالقاهرة، عن قصته «شجرة التسابيح»، وهي باللغة الفرنسية.

وفاة الأديبة ليديا روسيللو

توفيت في باريس - مؤخرًا - الكاتبة الفرنسية ذات الأصل الروسي ليديا شويتزر روسيللو عن عمر يناهز ٨٧ عامًا.

وُلدت روسيللو في موسكو عام ١٩٠٧ م، وانتقلت للإقامة في باريس عام ١٩١٤ م، وقدمت في الخمسينيات الميلادية عدة أعمال أبرزها روايتا: «المسافرون» و«قطعة القماش الجميلة»، ثم وجهت جهودها لترجمة الأعمال الأدبية الروسية إلى اللغة الفرنسية. ومن أهمها ترجمة أعمال الكاتبة الروسية الشهيرة نينا بربيروفا.

أحدث الكتب

إيدا.. قصة قاتلة أبيها، للكاتبة فرانسواز هاميل، صدرت عن دار فلاماريو للنشر في باريس.

المعلوماتية: رهانات اقتصادية وسياسية، ط ٢، تأليف ريجون، صدر عن دار هايتيه الفرنسية.

بريطانيا

العيد المئوي لبرج لندن

يحتفل برج لندن الشهير «تاور بريدج» في الحادي والعشرين من شهر محرم الجاري ١٤١٥ هـ (٣٠ يونية ١٩٩٤ م) بمرور قرن ميلادي على تشييده.

وكان البرج قد شيد في ٣٠ يونية عام ١٨٩٤ م لتوفير نقطة عبور سهلة للخيل

والعربات والأفراد في ذلك الوقت.

وفي نطاق الاستعدادات الجارية للاحتفال، أقيم معرض للصور الفوتوغرافية في الممر الشرقي الذي يربط بين برجيه التوأم على ارتفاع ١٤٣ قدمًا فوق نهر التايمز.

يتضمن المعرض لقطات من الافتتاح الملكي للبرج، ولقطات تصور الحركة التي شهدها، منذ افتتاحه إلى اليوم.

وفاة كوهر

توفي - مؤخرًا - في لندن الفيلسوف البريطاني النمساوي الأصل ليوبولد كوهر عن عمر يناهز ٨٥ عامًا.

وُلد كوهر في أوبردوف بالنمسا عام ١٩٠٩ م، وبعد هجرة إلى بريطانيا وأمريكا الشمالية استقر في بريطانيا، واشتهر عام ١٩٥٧ م بكتابة «سقوط الأمم».

أحدث الكتب

بعيدًا عن المدينة، رواية الكاتبة الجزائرية آسيا جبار، نقلتها من الفرنسية إلى الإنجليزية دورثي بلير، وصدرت عن دار كوارنت للنشر.

دليل النمو المالي، (نصائح لرجال الأعمال) تأليف كولبن بارو، صدر عن دار سكول أوف مانيجمينت في لندن.

خطاب الجنون في الثقافة العربية، تأليف محمد حيان السمان، صدر عن دار رياض الريس.

مدينة لندن: عالم في ذاته ١٨١٥ - ١٨٩٠ م، المجلد الأول، تأليف ديفيد كيناستون، صدر عن دار شاتو في لندن.

المليونير الجاهز، (سير ذاتية لبعض كبار رجال الأعمال) كتبها مارك فيشر، وصدرت عن دار نشر هاموند بوكست في لندن.

بلجيكا

هل تعود اللاتينية لغة لكل أوروبا؟!

يعاني الاتحاد الأوروبي - بعد انضمام السويد والنمسا والنرويج وفنلندا إليه - من مشكلة طريفة تتمثل في أن أعضاءه يتحدثون باثنتي عشرة لغة، مما يجعل ذلك الحشد الكبير من المترجمين الذين يوظفهم لترجمة قراراته وتقاريره، وعددهم ألفا مترجم، عاجزين عن أداء عملهم بالكفاءة المطلوبة.

وإزاء تعصب دول الاتحاد - وبخاصة فرنسا وإنجلترا - للغاتها، يبدو أن الحل الوحيد المتاح للخروج من هذا المأزق هو تبني لغة واحدة لكل دول الاتحاد، بالعودة إلى اللغة اللاتينية التي تعد اللغة الأم لسكان دول الاتحاد.

إيرلندا

متحف الجوع!

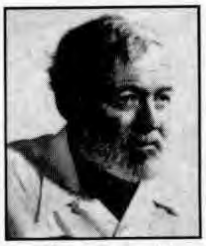
يُفتتح قريبًا في جزيرة ستروكستاون غربي دبلن «متحف الجوع» الذي يجسد المجاعة الكبرى التي قتلت - ما بين عامي ١٨٤٥ - ١٨٤٩م - قرابة مليون أيرلندي، وأجبرت مليونًا آخر على الهجرة إلى أمريكا وكندا.

يأمل مؤسسو المتحف ألا يقتصر تأثير المتحف على كونه معرض آثار، ولكن ليظهر للزوار - أيضا - أن هناك عوامل سياسية واقتصادية في العالم حاليا مماثلة لتلك التي أدت إلى حدوث مأساة الجوع في القرن الماضي.

الولايات المتحدة

جائزة همنجواي لريشمون والقلم الأدبية لروس

مُنحت الروائية بيرتي ريشمون جائزة همنجواي الدولية عن روايتها الأخيرة «الصادق»، والكاتب فيليب روس جائزة القلم الأدبية لعام ١٩٩٤ م عن روايته «عملية شايلوك».



إرنست همنجواي

وتعد ريشمون - وهي أمريكية - أول امرأة تحصل على هذه الجائزة.

أما روس فهو روائي وقاص، من أشهر أعماله رواية «وداعًا كولومبس» وثلاثية «زوكرمان».

أحدث الكتب

الرواية العربية منذ عام ١٩٥٠ م (ببليوجرافيا، مقابلات، مقالات نقدية) تأليف مجموعة من الباحثين، تقديم د. عيسى بلاطة، صدر عن دار مهجر للنشر والتوزيع في كمبردج وماساشوستس.

نجيب محفوظ: من الشهرة الإقليمية إلى الاعتراف العالمي، تأليف مجموعة من الباحثين، وتحرير مايكل بيرد وعدنان حيدر، صدر عن دار سيراكوس في نيويورك.

هيلاري رودهام كلينتون سيدة أولى لزماننا، تأليف دوتي رادكليف، صدر عن دار وارنر بوكس في نيويورك.

مصادر غير موثوق بها: دليل للكشف عن تحيز وسائل الإعلام في مجال إعداد المواد الإخبارية، تأليف مارتن لي ونورمان سولومون، صدر عن تارول بيلشنج جروب في نيويورك.

ما سمات المجتمع المتحضر؟

نسمع عن مصطلحات الدول المتقدمة، والعالم الثالث، أو النامي، ونسمع عن مصطلح العالم المتحضر، وهذه المصطلحات تثير كثيرًا من الأسئلة والملاحظات.

إذا كانت الدول المتقدمة تفخر بما لديها من تقنية متطورة في كل مجال لا سيما المجال العسكري، فهل تستطيع هذه الدول أن تفتخر بأنها دول متحضرة؟ هل التقدم العلمي هو معيار السلوك الحضاري؟ وهل تستطيع تلك الدول المتقدمة علميًا أن تقول إن أفرادها يتوافر لديهم السلوك الإنساني الراقي؟

نعتقد أن السلوك هو معيار الحضارة، ومعيار الوعي، ومعيار الثقافة، إنه الشيء الملموس والترجمة لما في عقول الأفراد من أفكار، وما في أفئدتهم من مشاعر.

إننا نلاحظ أن وسائل الاعلام التابعة للدول المتقدمة تربط بين الحرية والتحضر وبين التقدم العلمي والسلوك، في حين أنها على محك الممارسة تقدم أسوأ الأمثلة في السلوك والعلاقات الإنسانية.

ها نحن مثلاً نرى موجة نازية جديدة في ألمانيا تجتاح الشوارع وتعتدي على الأبرياء، فهل هذا سلوك متحضر؟

وها نحن نرى ما يفعله الصرب في البوسنة والهرسك. فهل هذا سلوك متحضر؟

وها نحن نسمع كل يوم عن سلوكيات لا تَمتُّ إلى الحضارة بصلة في كثير من الدول المتقدمة، منها الجرائم الفردية، ومنها الجرائم المنظمة التي هي بمثابة الدولة داخل الدولة ولا يستطيع أحد إيقافها!

هناك بطبيعة الحال عوامل أخرى يتم بموجبها تصنيف الدول وعلى رأسها العوامل الاقتصادية، ولكن ما فائدة التقدم الاقتصادي إذا كان لا يتوازى مع العوامل الاجتماعية، والصحية، والثقافية؟

إنَّ المثقفين في تلك الدول المتقدمة علميًا يصرخون بأعلى أصواتهم منادين بحل مشكلات مدمرة تتعلق بالتربية، والعلاقات العائلية، وتفكك الأسرة، ويشيرون إلى ضعف العلاقات الاجتماعية، وإلى التلوث البيئي، وسيطرة السلوك المادي، وانتشار المخدرات، والأمراض، والجريمة. وعندما نستمع، إلى وسائل الإعلام نجد أنها تصنف تلك الدول بالدول المتحضرة!.

في مقابل ذلك، وفي خضم التفاعلات السياسية، تقع حوادث معينة داخل نطاق العالم العربي فتسارع وسائل الإعلام الأجنبية إلى إطلاق صفة الإرهاب، والتخلف، والوحشية علينا، وتبدأ لجان حقوق الإنسان - وفق معاييرها الخاصة - في إعداد تقاريرها المنحازة المتناقضة التي تكيل بمكيالين! الشواهد على ذلك كثيرة وأقربها ما يحدث في البوسنة، ومجزرة الخليل. إن هؤلاء الذين يُحكِّمون معايير حقوق الإنسان حسب أهوائهم يدّعون أنهم ينتمون إلى المجتمعات المتحضرة رغم انفضاح معاييرهم وتناقضها.

المجتمعات الأخرى في المقابل انساقت وراء البهرجة الإعلامية المسيطرة، وأصبحت تردد - دون تمحيص - ما تبثه وسائل تلك الدول مُدَّعية التقدم. نعم انساقت المجتمعات الأخرى وراء تسميات العالم الثالث، والعالم النامي وغيرها من التسميات المحبطة!

هل أصبحت القوة الإعلامية هي السلاح الأقوى في السيطرة على العالم؟ وإذا امتلأ هذا الإعلام بالحقائق المزيفة فهل يعكس ذلك صورة مجتمعات متحضرة؟ أو مجتمعات متقدمة؟ وفرق بين الاثنين. أليس كذلك؟

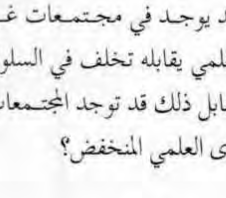
وإذا كانت مجموعة أو أقلية تدير وسائل الإعلام في معظم الدول (المتقدمة/ المتحضرة) وفق أهوائها السياسية ومعتقداتها، فأين موقف الحضارة، وأين حقوق الإنسان المتحضر؟

أليس من المنطق إذن القول بأن التقدم العلمي وتطبيقاته المختلفة قد يوجد في مجتمعات غير متحضرة، أي تقدم علمي يقابله تخلف في السلوك الحضاري؟ ثم في مقابل ذلك قد توجد المجتمعات الأخلاقية ذات المستوى العلمي المنخفض؟

لا أدري؟

يوسف القبلان

من كتاب العدد



يوسف محمد القبلان

- بكالوريوس تربية وعلم نفس، كلية التربية، جامعة الرياض (الملك سعود حاليًا).
- ماجستير في السلوك الإداري، وكان عنوان الرسالة «آثار التدريب الوظيفي على الرضا الوظيفي» جامعة كاليفورنيا ستيت بالولايات المتحدة الأمريكية.
- يشغل حاليًا منصب المدير العام للعلاقات والإعلام والنشر بمعهد الإدارة العامة بالرياض، الذي يعمل به منذ عام ١٤٠٣هـ.
- من أهم مؤلفاته المنشورة: «أساسيات التفاعل الجماعي في العمل»، «مفاهيم وتطبيقات في السلوك الإداري»، «أسس التدريب الإداري وتطبيقاته في المملكة».
- له تحت الإعداد والطبع: «قيادات إدارية»، «إدارة التدريب»، «طريق النجاح»، «أفكار إدارية».
- ترجم العديد من الكتب في المجال الإداري من الإنجليزية إلى العربية، منها: «الاجتماعات، كيف تجعلها ناجحة؟»، «اتخاذ القرارات الفعالة»، «كيف تحفز موظفيك».
- له بحوث ومقالات عديدة منشورة، كما حضر الكثير من الندوات والمؤتمرات في مجال تخصصه